من الاداء الله المعاس
الى عبده ولى الدين
سنة ١١٣٠

سن تقبه الى السود
عدد الاوراق
١٠٥

۱۰۲
۲-۵

T. C.
İSTANBUL BÜYÜKŞEHİR BELEDİYESİ

۸۲

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : V. Carullah
ESKİ KAYİT No. 82
YENİ KAYİT No.
TASNİF No.

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من ارسل رسولا بالهدى ودين الحق ، وبيّن له من شعائر الشرائع كل حاجز ودقيق ، انزل عليه لظهر بيّنات وابهر حجج ، قرآنا عربيا غير ذي عوج ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ، ناطقا بكل امر رشيد ، هاديا الى الصراط العزيز الحميد ، آمرا بعبادة الصمد المعبود ، كتابا مثت بها مثاني تقشعر منه الجلود ، تكاد الرواسي لهيبته تمور ، وتبذوب منه الحديد ويميع صم الصخور ، حقيقا بان يبشر به الجبال ، ويبشر به كل صعب مختال ، انجم كل مصقع من منبره قحطان ، وبكت كل مفلق من سحرة البيان ، بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته ، لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ، نزله على فترة من الرسل ، ليرشد الامة الى اقوم السبل ، فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين ، فاصبحوا دجى البطاح وسطع نور اليقين ، فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه ، واتى من غايته وعصاه ، واتخذ الهه هواه فقد هام في مهاوي الردى وتردى في مهاوي الغرور ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، صلى الله عليه وعلى آله الاخيار ، وصحبه الابرار ، ما تناوبت الانوار ، وتعاقبت الاعصار ، وعلى من تبعهم باحسان ، مدى الدهر والازمان ، وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي ابو السعود حامد العمادي ، ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم ، وما كان حرف منها مسطورا في محكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ، ولم يكن شيئا مذكورا ، ليست الا معرفة الصانع المجيد ، وعبادة الباري المبدئ المعيد ، والاسبيل الى ذاك المطلب الجليل ، سوى الوقوف على مواقف التنزيل ، فانه عز سلطانه ، وبهر برهانه ، وان تدبر آياته قدرية في صحائف الاكوان ، ونصب راياته وحدية في صفائح الاعراض والاعيان ، وجعل كل ذرة من ذرات العالم ، وكل قطرة من قطرات العلم ، وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع ، وكل حرف رقم في لوح الاختراع ، مرآة تامة مجلوة عن حالة ، ومطالعة صفات كماله ، حجة نيرة واضحة المكنون ، وآية بينة لقوم يعقلون ، برهانا باهرا جليا لا ريب فيه ، ومنهاجا سويا لا يضل من يتبعه ، بل ناطقا بتلو آيات ربه فهل من سامع وداع ، ومجيبا صادقا فهل له من داع ، يكلم الناس على قدر عقولهم ، ويبرز جواهرهم بحسب مقولهم ، نجاورتارة بوضع عبارة ، ويلوح اخرى بالطف اشارة ، لكن الاستدلال بتلك الايات والدلائل ، والاستشهاد بتلك الامارات والمعايير ، والتنبه لتلك الاشارات السرية ، والتفطن لمعاني تلك العبارات العقلية ، وما

تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر ، وكنوز آثار التعاجيب والعبر ، مما لا يطيق به عقول البشر ، الا بتوفيق خلاق القوى والقدر ، فاذن مدار المراد ، ليس الا كلام رب العباد ، اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية ، والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية ، والكاشف عن خفايا خطائر القدس ، والمطلع على خبايا سرائر الانس ، وبه تثلب المكارم الفاخرة ، وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخرة ، خلا انه ايضا من علو الشان ، وسمو المكان ، ونهاية الغموض والاعضال ، وصعوبة المأخذ وعزة المنال ، في غاية الغايات القاصية ، ونهاية النهايات الدانية ، اعز من بيض الانوق ، وابعد من شماط العيوق ، لا يتسنى الوصول الى معارجه الرفيعة ، ولا يتأتى الرقي الى مدارجه المنيعة ، كيف لا وانه مع كونه مستمدا لدقائق العلوم النظرية والعلمية ، ومنطويا على رقائق الفنون الخفية والجلية ، حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية ، ومحيطا بمناط الدلائل الاصلية والفرعية ، مشتملا عن اسرار الحقائق والنعوت ، مخبرا باطوار الملك والملكوت ، عليه يدور فلك الاوامر والنواهي ، واليه يستند معرفة الاشياء كلها وهي ، قد شمخ على اعز ممتنع وارفع طراز ، واحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز ، طويت حقائقه الابية عن العقول ، وزويت دقائقه الخفية عن اذهان الفحول ، تبور دونه القول سبحانه ، وتخطف ابصار البصائر هيبة ومهابة ، ولقد تصدى لتفسيره عوام اهل مشكلاته ، اساطين ائمة التفسير في كل عصر من الاعصار ، وتولى لتيسير عويصات معضلاته ، سلاطين اسرة التدبر والتحرير في كل قطر من الاقطار ، فغاصوا في لجته ، وخاضوا في ثبجه ، فنظموا اقرائده في سلك التحرير ، وابرزوا فوائده في معرض التقرير ، وصنفوا كتبا جليلة الاقدار ، والقوا برا جميلة الآثار ، اما المتقدمون المحققون ، فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني ، وتبيين المرام ، وترتيب الاحكام ، حسبما بلغهم من سيد الانام ، عليه شريف التحية والسلام ، واما المتأخرون المدققون ، فراموا مع ذلك اظهار مزايا الدقائق ، وابداء آحاد الفرائد من بين الناس دلائل اعجازه ، وتشاهدوا شواهد فضله وامتيازه ، عن سائر الكتب الكريمة الربانية ، والزبر العظيمة السماوية ، فدونوا اسفارا بارعة ، جامعة لفنون المحاسن الرائعة ، يتضمن كل منها فوائد شريفة ، تقر بها عيون الاعيان ، وعوائد لطيفة تستشف بها آذان الاذهان ، لا سيما الكشاف وانوار التنزيل ، المستفادان بالشأن الجليل ، والنبأ الجليل ، فان كلا منهما قد احرز قصب السبق الى احراز ، كأنه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز ، صفى قشرها مرآيا المرايا الحسان ، وسطورها عقود جمان ، وفلائد العقيان ، ولقد كان في سوالف الدهور والاعوام ، وسوالف الايام ، اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما ، وزمان انتقابي لمفاوضتهما ومدارستهما ، يدور في خلدي على استمرار ، انا آناء الليل واطراف النهار ، ان انظم درر فوائدهما في سمط دقيق ، واربتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق ، واضيف اليهما ما ألقيته في تضاعيف الكتب الفاخرة ، من جواهر الحقائق ، وصادفته في اصداف العوالم الزاخرة ، من زواهر الدقائق ، واسلك خلالهما بطريق السرد صريح ، على نسق انيق واسلوب بديع ، حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ، ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ، ماسحا للفكر العليل ، بالعناية الربانية ، وسمحا به النظر الكليل ، بالهداية السبحانية ، من غرائب معارف يمتد اليها اعناق الهمم ، من كل باد بهر لبيب ، وغرائب رغائب تتروى اليها احداق الافهم ، من كل بحر اريب ، وتحقيقات رصينة ، تقيل عثرات الاقدام ، في مداحض الاوهام ، وتدقيقات متينة ، تزيل خطرات الاوهام ، من خواطر الانام ، في معارك الافكار ، يشتبه فيها الشؤون ، ومدارك انظار ، يختبط فيها الظنون ، واسرار من وراء استار المكنون ، من دقائق السر المخزون ، في خزائن الكتاب المكنون ، ما تنظر بين اليه النفوس وتقر به العيون ، من خفايا الرموز ، وخبايا الكنوز ، واهديها الى الخزانة العامرة للمبنى والزاخرة ، لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض ، واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض

آل وهو السلطان الاسعد الاعظم وخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر وارث خلافة الكبرى الكابر عن
كابر رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور مرغم انوف الفواغنة وجبابرة معز جباه القياصرة و
الاكاسرة فاتح بلاد المشرق والمغارب منصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذى شرق غرته المنير فانتهى
الى مشرق الاشتين وغرب حتى بلغ مغرب الشمس اودنا بحيث عم مرمر متزاحم الافواج وعسكر كخضم متلاطم الامواج
فاصبح ما بين افقى الطلوع والغروب وما بين نقطتى الشمال والجنوب منتظما فى سلك دلالة الواسعة ومندرجا تحت ظلال
رايته الرافعة فاصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بتذكار اسمه الميمون فيالله من ملك استوعب ملكه الربع البسيط واستولى
على الكرة المحيط فكانه قضاء ضربت فيه حياته اونصبت عليه الوهيته واعلامه مالك ممالك العلم ظل الله الظليل على كافة
الانام قاصم القياصرة وقاهر القوم سلطان العرب والعجم والروم سلطان حشرتين وخاقان لخافقين الامام
المقتدر بالقدرة الربانية وخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخلافة الطرفين الجليلين المعظمين وحماية الحرمين
الجليلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخوافق العثمانية السلطان ابن السلطان السلطان سليم خان ابن
سلطان منظم المنصور وخاقان خموقر المشهور صاحب مغازى المشهورة فى اقطار الامصار والفتوحات
المذكورة فى صحايف الاسفار السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد وخاقان المجيد السلطان بايزيد خان
لازالت سلكه سلطنته منسلكة الزمان وارواح اسلافه العظام مستنشقة فى روضة الرضوان وكنت اتردد
فيه بين اقدام واجم لقصور ثانى وعزة المرام ابن الحضيض من الذرى شتان بين الثريا والثرى و
بهيهات اصطياد العنقاء بالشباك واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك فمضت عليه الشهور والسنون
وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤن فاتفقت بتدبير مصالح العباد برهة فى قضاء البلاد واخرى فى قضاء العباد
فحال بينى وبينما كنت اخال تراكم المهمات وتزاحم الاشغال وجموم العوارض والعلائق
وهجوم الصوارف والعوائق والتردد الى المغازى والاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت فى تضاعيف
هاتيك الامور اقرر فى نفسى ان انتهز نهزة من الدهور وتتيسر لى القرار وتطمئن بى الدار واظفر
بوقت خال اتبتل فيه الى جناب ذى العظمة والجلال واوجه اليه وجهتى واسلم له سيرتى وعلانيتى وانظر
الى كل شئ بعين الشهود واتعرف سر الحق فى كل موجود تلافيا لما قد فات واستعدادا لما هو آت واتصدى
لتحصيل ما غرمت عليه والتوانى لتكميل ما توجهت اليه بفراغ بال واطمئنان وحضور قلب وفراغ جنان
فبينما انا فى هذا الخيال اذ بدا لى عالم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقعت فى امر اشق من الاول
امرت بحمل مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فاقيمت معضلة طويلة الذيول وصرت كالمرتاد من حطب
السيول فبلغ السيل الزبى وغرقنى اى غمر غواب ماج بين زيد وعمرو فاصبحت فى ضيق الحجر وسعة الاشعار اشهر من نار
على علم فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت احسبكم لحوادث برهة واستمرض الايام وهى صحاح الى ان تقشعت وتبين
تحقق ان الفتنة نائمة فلعن الضرمت غرى الايام عن الغور نزوع البال ورايت ان الفرصة على ضاح الفوات وشمل الاسباب
فى شرف الشتات وقد مشى الكبر وتصالت القوى والقدر ودنا الاجل من الطول واشرفت شمس عمرى على الافول عزمت
على انشاء ما كنت انويه وتوجهت الى املاء ما ظلت اتبغيه نادبا ان اسميه عنوانا بتوفيق الله لاكماله وانعامه اذ كان العقل السليم الى
مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم المكاره على وتزاحم المشاغل دونه بين يدى متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلال
عالم الملك والملكوت فى ان يعصمنى عن الزيغ والزلل ويقيمنى مصارع السوء فى القول والعمل وبوفقنى لتحصيل ارومة ارجوه

وجه سحه

بذكر محمد

الى انتهاء سلسلة

فى ذلك سحه

كسر

حوادث

وبهديني الى تكميله على احسن الوجوه وبجعله خير عدة وعتاد واشفع به يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحوبابه فصنيع
ورفعت ايدى الضراعة والسوال الى جنابه الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق وثبت
اقدامنا على مناهج هداك وانطقنا بما فيه اثرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا فى لحظة ولا آن وخذ بايدينا الى الخير حيث كان جنبنا
عن اجتباه الاستكانة ضارعين ولابواب فيضك قارعين انت الملاذ فى كل امر مهم وانت المعاذ فى كل خطب ملم لارب غيرك
ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر والبك المصير

الفاتحة فى الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة فى فتح الكل ثم اطلقت على اول كل
شئ فيه ترتيب بوجه من الوجوه كالكلام الترتيبى حصولا والسطور والاوراق الترتيبية قراءة وعدا والتاء للنقل
من الوصفية لا الاسمية او هى مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته
كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقى بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة فى تعلقه بالكتاب ثانيا حتى يرد انه لا تسمى
الخ ثم ان ختم الشئ عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بالاول على معنى ان الفتح متعلق اولا
فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزأ منه وكذا الكلام فى الخاتمة الخ فان بلوغ الاخر الشئ ايضا اولا
وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذى تحققته والمراد بالاول ما يتم الاضافة فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على
السورة الكريمة بهما باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصى لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح
اهل الاصول والاصيرة فى اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم فى اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لان التسمية
من جهته عز اسمه اومن جهة الرسول عليه السلام بالاذن فيكفى فيها تحصلها باعتبار تحققه فى علمه عز وجل او فى اللوح
او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
نجوما فى ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما فى جزء الشئ لا بمعنى من كما فى خاتم حديد فالمعرف ان
المضاف جزء من مضاف اليه لا جزئى له ومدار التسمية كونه مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا فى القراءة فى الصلوة ولا فى
التعليم ولا فى النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ فى صلوة حتى يتجه التسمية
مبدأ لتاليه واما الاخيران فلان اعتبار المبدأية من حيث التعليم او من حيث النزول سيندرج مراعاة الترتيب فى بقية اجزاء الكتاب
من تنكيت حيثيتين ولا ريب فى ان الترتيب التعليمى والترتيب النزولى ليسا على الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا
ومنشاء له اما لمبدأيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده
او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العلمية التى هى سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل
الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما سمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات
والايات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر فى ام القرآن لما اورده
الامام البخارى فى صحيحه من انه مبدأ القرآءة فى الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام
انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر فى ام القرآن كما انه الوجه فى تسميتها الكافية والوافية وتسمى سورة الحمد
الشكر والدعاء وتعليم الكل له لاشتمالها عليهما وسورة الصلوة لوجوب قرائتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام
هى شفاء من كل داء والسبع المثانى لانها سبع ايات تثنى فى الصلوة او لتكرر نزولها على ما روى انها نزلت مرة بمكة حين
فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكى بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلف الائمة في شان التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القران اصلا وهو قول ابن مسعود رضي عنه ومذهب مالك وجمهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها اية فذة من القران انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب لابن عمر ايضا رضي الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روى عن ابن عمر انها اية مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن مبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وهو القول الحديث الصحيح ولذلك يجهر بها عندهم فلا عبرة بما نقل عن الخصاص من ان هذا القول مما لم يسبقه اليه احد وقيل انها اية من الفاتحة مع كونها قرانا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزأ منها اولا ولا لكونها اية تامة اولا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة وقيل انها اية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض اية في الفاتحة واية تامة في البواقي وقيل انها بعض اية في الكل وقيل انها اية من القران مستقلة بعد السور حصدرة بها من غير ان تكون جزأ منها وهذا القول غير معزي في الكتب لاحد وهناك قول اخر ذكره بعض صناخرين لم ينسب الى احد وهو انها اية تامة في الفاتحة وليست بقران في سائر السور ولولا اعتبار كونها اية تامة لكان ذلك احد تجلي تردد الجمع فانه قد نقل عنه انها بعض اية في الفاتحة وامامن غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرانا اولا وقيل بين ان يكون اية تامة اولا قال الامام الغزالي والصحيح من ان صحي هو الترديد الكائن عن احمد بن حنبل في كونها اية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القران هذا وجمهور من هذه الاقاويل الثلثة الاول والاتفاق على اثباتها في مصاحف مع الاجماع على الفرق بين الدفتين كلام الله عز وجل ويقتضي نفي القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزأ من القران لا يستدعي كونها جزأ من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها اية مفردة منه واما ما روي عن ابن عباس من ان من ترك اية فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى وما روي عن ابي هريرة من انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاها بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة من انه عليه السلام قرأ سورة الفاتحة وقد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وآن دل كل واحد منها على نفي القول الثالث فليس شيء منها بنصاف في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها اية من كتاب الله تعالى متعددة بعد السور حصدرة بها لا على ما هو مطلوب من كونها اية تامة من كل واحدة منها الا ان يقال ان كونها اية متعددة بعد السور حصدرة بها من غير ان تكون جزأ منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السورة واما الثالث فناطق بغلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباقي منها متعلقة بمضمر ينبغي لعنه الفعل حصدر بها كما انها كذلك في تسمية اسما عند الطول والارتجال وتسميته كل قائل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة وجملتها تقديرا اي بسم الله اقرا او اتلو ونحوه تقديم المعمول لافتضاء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقديرا بدأ كما اقتضاه التبرك على البداية تحقيقا هو المقصود اعني تشمل البركة للكل وادعاء ان فيه اشعارا بالحديث الشريف من جهة اللفظ ومعنى بمعاونة تقدير اخر اذ من جهة المعنى حفظ ليس شيء فان مدار الاشعار هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل في حديث اكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يضم فيه ابدا به وهذا الى اخر السورة الكريمة معقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهدايته كما منها حمد وسوال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم مسالة وان كسرت وصل حتى حرف المفردة ان تقع لاختصاصها بلزوم حرفية وجر كما كسرت لام الامر ولام الابتداء داخلة مع مضمر متصل بينهما وبين لام الابتداء

والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون قد اوخلت عليها عند الابتداء همزة لان من ابهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن وليتهدى لنصريفهم على اسماء وسمي وسميت وسمى كهدى لغة فيها والله اسماك مسمى مبارك اشتركا له به ايثارا كما والقلب بعيد غير مطرد والاشتقاقة من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاطها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلاهما ومن لغاتهم سِمْ وسُمْ قال بسم الذي في كل سورة سمه واما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو مقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذات الله تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفيضة عند الاصحاب من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى تمكينية وميسرة وهي خطوبة بايا كما نستعين وتارة اخرى باسمه تعالى وحقيقتها طلب حصوله في الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فليتجل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم بان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهو التالي فجر الاضافة فلا بد من ذكر الاسم ليقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية او التبرك وانما لم يكتب الالف تكثيرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما حذف عنه وجوب الادغام والتعويض من خواص الاسم جليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لامع اعتبار احدهما بل بعينه ثم غلب على المعبود بحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حيث نص عليه بجوهري على انه اسم منها بمعنى الى لوه كالكتاب بمعنى المكتوب الا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها نحو لوها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر فيه لخصوصية قيامي وذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كذات تعلم علما كاسمي الفاعل والمفعول وكموضوع له الاسم حذكور وهو الذات المبهمة وبمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان لاحدهما على الذات كذات الصفة ولذلك لم يعلم عليها وقيل اشتقاقه من الاله بمعنى تحير لانه يسبب تحير في شانه العقول والافهام واما الاله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا اتالة واستاله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اذا سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح لمعرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به وآله غيره اذا اجاره واذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته تعالى بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وصف الاصل ثم غلب بحيث لا يطلق على غيره اصلا حاكما تعلم ويرده استماع الوصف به واعلم ان المراد بالكلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية

الفصل بين العالم والمعلوم بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى الكمال يقال ربه وربه تربية ثم وصف به الفاعل
مبالغة كالعدل ووصف به مبالغة من ربه يربه مثل نمه ينمه ثم سمي به الملك لانه يصلح شأن المملوك او يتعهده بالحفظ والرعاية
والمالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا
وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم
ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الاثر بالرب حيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه
الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ارجع الى ربك ويمتنع ان يعرف خبر الابه والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب لما يخلق فيه ويعلم به
به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين نحو عها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم
عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قول العلم بجميع اجزائه الحدث
وقيل هو اسم للاجسام والعلم من الملائكة والثقلين وما دونهم لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط
فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما في عالم
على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق بالاظهر والاختار
صيغة جمع لبناء شمول بوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو اريد تربية اناس منهم
من مقصود بالتعريف هو حقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحد
حيث صح ذلك بمعاونة التعريف نزل العالم وان لم ينطلق على آحاده منزلة جمع حتى قيل انه جمع لا واحد له
من لفظه فكما ان جمع المعرف يستغرق آحاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والدرجة الحسنين اي
كل محسن كذلك العالم يشمل افراد جنسي المسمى به وان لم ينطلق عليها كما انها احاد مفرده التقديري ومن قضيته هذا التنزيل
تنزيل جمعه منزلة جمع بحيث لو فكل احد من احاد الاقوال يتناول كل احد من احاد العالمين كل واحد من احاد
الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانا احدهم
بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء
على غيرهم واعلم ان عدم اطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما بحسب
الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتى فانه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه
يستدل عليه سبحانه بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في
الكل فان كلا بما ظهر في نفسه ما عز وهان وحضر في هذه الدار ما كان دليلا لائحا على الصانع المجيد وسبيلا واضحا
الى عالم التوحيد واما شمول بوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احدث به نطاق الامكان والوجود من
العلوي والسفلي وجميع ذرات الدنيا والمروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية
عنه آنا واحدا لما استتم لمقاره ولا اطمأنت به الدار الآن مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من تحت الاتحاد
سبحانه وتقدس في كل زمان ممتد وكل آن يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وجوده وصفاته ما لا يحاط
به الا بعلم الله العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستغني شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستغني بقاء
وانما ذلك من جناب الجمال الاول عز وعلا مما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد جميع ابواب آحاد عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه
على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع ابواب احاد عدمه الطارئ لما ان البدوام من خصائص وجود الواجبي وظاهر
ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وآن كانت متناهية لو جزئيا تناهي ما دخل تحت الوجود

كل الامور العدمية التي ظاهر دخل في وجوده وهي جمة غير عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون الشيء الواحد
موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقاؤها على العدم مع امكان وجوداتها في انفسها فاقتضاء
تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فاثار تربية عز وجل الفائضة على كل فرد
من افراد الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه ما اعظم سلطانه لا تدانيه العيون بالنظارة ولا تطاوله
العقول بالمقارنة شأنه لا يضاهى واحد لا يتناهى ونحن في معرفة آياته مرتهنون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون فنسألك
اللهم الهداية الى مناهج مرضاتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لانك الا انت تستغفرك ونتوب اليك
الرحمن الرحيم صفتان مدلولهما واحد باعتبار ذاته مختلفان باعتبار صفتيه فان الرحمة مما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على كل حي
الاطوار وجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم كل الاطوار كلها حتى ما في قوله تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المغايرة للرحمة فاريدا هنا في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل في تربيته
ان تفضل من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن حال يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لانه الاشعار بالمبدأ المشترك بين جميع ما يسمى بهما بطريق والاولى لمقاصده
مالك يوم الدين صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين بحذف الالف بعد الميم
الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في امور العالم بالامر والنهي
وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بالقصر
الماضي ومالك بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
واليوم في الوف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد هينا
مطلق الوقت والدين الجزاء اخيرا كان او شرا ومنه الكأس في المثل السائر كما تدين تدان والاول في الحديث الكيس من دان
العدو ان وتاهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم
كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمها في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
ولعله هو السر في بناء مفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها نحو غالبت اللص وناهرته فان قيام السرقة آلة
هي سبب للعقوبة بالقطع تنزل منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة فصار كأنها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فحسن
صيغة المفاعلة الدالة على ذلك تركيبة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر ظروف الزمانية الى
ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة وجمع وحي لكونه ادخل في
الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى المفعول
على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقائه على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك
امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به حكاية
الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الشمولي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة
المشبهة لا غير معولها في قراءة ملك يوم الدين وبوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه تحقق وقوعه وبقاؤه
ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر
من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث اللفظ حتى يلزم كون الاضافة لفظية اذ لا يسوغ
في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما للتعظيم
وتمهيد اولا بيانا تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين ملاك وملاك يوم لا ملك الا له تعالى واجراء ياتيك الصفات

الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الخطاب تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما يأتي من اقتضاء
العبارة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مقتضية عن وجوب ثبوت كل واحد منهما له تعالى وامتناع ثبوتهما لما سواه
اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما معترفتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية و
الثالثة رحيم فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل
واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاكمل والمعنى بالا
ايا ك نعبد وايا ك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتغيير للنظم من باب لا ايا بجار على نهج البلاغة في اقتضاء الكلام و
مسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام فان التنقل من اسلوب الى اسلوب او خل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب ويقع في كل
واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها وما
استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدلالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى مما اجرى عليه من النعوت
الجليلة التي اوجبت له تعالى الكمال الغير الدائم ظهوره بحيث يتذلل لخفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب
والايذان بان حق التالي بعد ما تأهل لما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما
سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه الذات و
الوجود ابتدا وبقاء على التفصيل الذي سمعت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى الطبقة العيانية وينتقل من عالم الغيبة
الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا في محضر الانس كانه واقف لدى مولاه مايزا بين يديه وهو
يدعوه بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته تخضع له العبادة
والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان يعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا
هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومئنة للبتتل اليه بالكلية
واياك ضمير منفصل منصوب وياليق به من الكاف والياء والهاء وحروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب
كما ان التاء في انت والكاف في اراءيتك وما ادعاه خليل من الاضافة يحتج عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين
فاياه واياب الشواب فما لا يقول عليه وقيل هي الضمائر وايا دعامة لها لتنصبها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك
بالتخفيف وفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل
والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضي به المعبود والعبودية الرضى بما فعل المعبود والاستعانة طلب المعونة على الوجه
الذي مر تحقيقه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاشعار
قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة
والاستعانة ولا يراد الاستعداد بالمناجاة وتحفظ وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول لاكم جليل وان مساعدة
الصفات الجارة عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى
والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه الوجوب وعده وقيل لان تقديم
الوسيلة على المسؤل ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المعقول فيه لينسابل كل مستعان فيه
كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤل هو المعونة في العبادة والتوفيق للاتمام سمها على ما ينبغي وهو الدائن بان التيسير
والمناسب بالحال الحامد فان استعانة سبق في خلده فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استعانته في

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة

اختصار

ملاحظة شؤونه تعالى واستشعاره بانه آية من آيات ربوبيته تلك ملاحظة من تحمد والثناء لا يكاد يحيط بما له من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي
عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه اخرا فكيف يتصور
ان يشتغل فيما يجريها بالا يعنيه من امور دنياه او مما يعنيها وغيرها كانه قيل اياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة
منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وكونها عند العابد اشرف المباغي ومقاصد
وكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن جملة ما يبعثه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو ويحال اي اياك نعبد مستعينين بك
وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين لما بذان بتقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبريا منفردا وعرض حاجته
واستدعاء المعونة والهداية مستقلا او ان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو دين الكمل
او ليشعر باشتراك سائر الموحدين له في محالة العارضة بناء على تعارضه الادلة الحجية لاذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة تميم
اهدنا الصراط المستقيم افرد او لمعظم افراد المعونة المسؤلة بالذكر وتعيين ما هو الاهم او بيان ان طلبها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا
والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والامر
تعديتها باللام والالم كما في قوله عز وجل قل ان الهدى هدى الله الحق ليحق نعوت حملت معاملة اسماء في قوله تعالى واختار
موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر مختصة في اجناس سنرتبة منها بقضية
كافاضة القوى الطبيعية وتحيوانية التي بها يصدر عن المرأ فاعليه الطبيعية وتحيوانية والقوى المحركة وتمكين الحواس الظاهرة والباطنة
التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فانها مكونية معربة عن يحيى بن يحال وهي الادلة الموضوعة في كل
فرد من افراد العالم جسما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعلمية بنزال المقال برسال الرسل
وانزال الكتب المنطوية على فنون الهداية التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة المكونية الآفاقية والانفسية
والتنبيه على مكانها كالتبصرة بجلالة قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وعلا ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية بخاصة وهي كشف الاسرار عما قلت الهدى
بالوحي او الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب يخصها وطالب يستدعيها ومطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين
اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا اثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا
واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة واطلاق لفظ المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن
كان حقيقة لان الهداية المزيدة هداية كان العبادة المزيدة عبادة فلا يلزم جمع بين حقيقة ومجاز وقرئ ارشدنا
والصراط المجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في سيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سمي به لانها تسترط السابلة
اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحاكيا ما يقرب من مخرجه وقد قرئ بهن جميعا وفصحى هن اخلاص
الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صراط كلكتاب وكتب وهو كالطريق وسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي وهو
طريق الحق وهي حالة التوسط بين الافراط والتفريط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو كالحكم والايضاح
من حيث انه مقصود بالنسبة وفائدة التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم الموصوفون بما علم في الاستقامة وتحققوا له لا
بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام القصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعوط بها فمن فاز بها فقد
حاز بجذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم محمد كورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين شهادة ماقبله من قوله تعالى ولقد نجيناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل
النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذ الانسان من النعومة وهي اللين ثم اطلقت على

ان يهديهم ربهم

ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي
ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها
وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها
بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى
عنه وتبوئته في اعلى عليين مع الملائكة المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم
ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة للموصول على انه عبارة عن احد الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة
المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضد الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين
فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون ووصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة
مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل
المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى
بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل
موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين
علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا
الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شأن البدل ان يفيد متبوعه مزيد
تأكيد وتقرير وفضل ايضاح وتعيين ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة
للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على
الاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلتين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله تعالى يراد به غايته بطريق اطلاق
اسم السبب بالنسبة الى مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل
بان يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد
ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى جرى على منهاج الآداب التنزيلية
في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتأكيد ما افاده غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جوازا انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول
عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل
هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله عليه السلام عن معنى آمين فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه
وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي عليه السلام لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة
وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن ابي حنيفة ان المصلي يأتي بها مخفية وعنه انه لا يأتي بها
الامام لانه الداعي وعن الحسن مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي عليه السلام وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي
كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله عليه السلام انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقرآن
مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم
ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي بسم الله الرحمن الرحيم مائتان وسبع وثمانون آية

الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم
ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما
وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من
كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي
لا اقول الم حرف وذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه
فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف
المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك
ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او
القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة
في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول
الا على ذات الموضوع لا اسمائها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلاثة احرف فكما ان الحسنات في قراءة [illegible] ذلك الكتاب
بمقابلة حروفه البسيطة موافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها
الملفوظة والالفات الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة
في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات
الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها
فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا يرى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف
حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل كل مسمى لكونه
من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة
اذ لا مناسبة بينها وبين مبنى الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل
ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر
ما آخره الف عند التهجي لا ابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لا لتقصر تارة فتكون حرفا وتمد اخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان ٣١
ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم تسمع له لاء هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم
المستورة والاسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور وعن علي رضي الله عنه ان
لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها
فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته تعالى
وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله
واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث
انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن الذي عليه التعويل
اما كونها اسماء السور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة

التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسما
للقرآن والتسمية بثلثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة
فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور
في عكسه حسبما تحققته آنفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على
نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لاسيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه لمخالفته القياس
واما كونها مسرودة على نمط التعديد فالذي عليه اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم
على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم
ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة
بما يباريه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب
من الغرابة انموذجا لما في الكتاب من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام
يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط فاغرب
من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لاسيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج عبقري
بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على
عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند الفحص والتنقير
حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من ان يطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان تنالها ايدي الافكار
وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور دون
ايرادها كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها
آية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فآية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية والمر لم تعد آية
والر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها
كلها وكهيعص آية وحمعسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح
آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط
التعديد لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء السور او للقرآن كان لها حظ منه اما الرفع
على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه
حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز
الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئ بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ
صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد كحم ويس وطس الموازنة لقابيل
وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن
فكأنه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل
تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين
على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر
والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا

لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد
ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها عند شرحه
في موقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف
والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر
صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع
حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه
التردد في ان المسمى هي السورة او كل القرآن ذلك ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على البعد [illegible] والكاف للخطاب
والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو
شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول
من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره
على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى السورة ولئن ادعي
اعتبار الحيثية الثانية في الاول بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على
حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز وعلا الكتاب اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة
لما افادته الجملة الاولى من نباهة شأن المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغن
عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس من
الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى البعض واصله الجمع والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة
الجمع والضم في الاشياء الخفية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة قبل ان تنال الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي
السورة جميع القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح
او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه
كأنه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة
وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص
به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كأن ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه
كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد
فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ ههنا لحمل الكتاب
على الجنس لان فرده المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار
كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن نقص
بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون
الم خبر المبتدأ المحذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ
ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هي السورة او القرآن ومعنى البعد
ما ذكر من الاشعار بعلو شأنه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشأن البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود
فمعنى البعد ح ظاهر خلا انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالموعود في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ما قيل وان كان

هو القرآن فهو مافي التوراية والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد
فذلك مبتدا والكتاب اما خبره او صفته وخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدا اى هو المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ
الم تنزيل الكتاب وهو اسم لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلث المذكورة او على انه خبر ثان
للم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدا المقدر آخرا على راى من يجوز كون الخبر الثاني جملة نحو قوله تعالى فاذا هي حية تسعى
واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب موكدة
لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مبنية لتضمنها معنى من الاستغراقية لانه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اى لا ريب موجود او نحوه كما
في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب بالكلية فوض في الكتاب او خبره هو
الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل خبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان
لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب لاستغراق وهذا يجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا احصل فيك الريبة
وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث
دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه علم او يستوجب البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيقته وكونه
وحيا منزلا من عند الله تعالى لانه لا يرتاب فيه احد اصلا الا بريب كيف تجوز ذلك في حقه تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا فاتوا
في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او ان ارتبتم فيما نزلنا الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا
كون الريب فيه لمزيد تشنيع بساحة التنزيل عنه مع نوع استكبار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد ههنا
ذلك الاستكبار كما يقصد الاستكبار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول
هدى مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اى من شانه ذلك وتخصيص دلالته الموصلة
اليها بالمتقين لوقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى واتانا او اياكم لعلى هدى او في
ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه
اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر وحاصله ان الهدى المتعدي هو توجيه الموصل لان
اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار التوصل وجودا
في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل
بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على اطلاقهما بل هما معتبران في مفهومهما على وجه مخصوص يتحقق التقابل بينهما
ولو صحة ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم لا ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار انحراف
عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه حمرة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين وتحقيقه للتقابل بينهما واما
النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصل مفهوم الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كان
عدم الوصول بالفعل معتبرا في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى
اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه فمتى
فيستحيل تحققه قطعا لاستحالة التوجه الى الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى الزيادة ولان التوجه
الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا امتدادا

يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من اناته تلك الازمنة لفارقه في ذلك الآن مقابله
الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد باعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه لزم ان يكون
التوجه المقارن للغاية مجدية في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاحترام الميتة مثلا من غير تقصير و
لا جور من قبل حتى يتوجه ولا اخلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار
وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا
وهو الاكثر الاشهر فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه
في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله
وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسمآت خاصة وعرض له بالقياس الى كل
اثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له في
التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله
كالاعتاق والتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انك زد ذلك الجسم الذي هو اثر خاص لذلك الاعتاق
اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس
الى آثاره الملازمة له وهذا امر مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار التي له مدخل في وجودها في جملة من غير ان يجب عليه
وتفارقه اخرى بحسب وجوداسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا
فحيث كانت مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة ايما تترتب عليه من متمماته ولم تعتبر
الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب اشتمال المامور به والاضافة العارضة للدعوة بحسب
اجابة المدعو فان الاشتمال والاجابة وآن عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليها غالبا لكنهما حيث كانا باختيار
اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم يعتبر الاضافة العارضة
لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسم الامر والدعوة بل جعلا عبارة عن نفس الطلب كمتعلق بالمامور به والمدعو سواء وجد الاشتمال
والاجابة اولا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الاشتمال والاجابة فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المامور والمدعو
باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة لافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليها في الجملة
كذلك هدى المهدي اى توجيهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه حسبما
لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وآن كان مترتبا عليها في الجملة فلما لم يعد من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة
العارضة لها بحسبها داخلة في مدلولها علم انه لم يعد الهدى اللازم من متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لها
بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالاشتمال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق
الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا ومدعوا وليس من ضرورته اتصافهما بالاشتمال
والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه
لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدرج على اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم للاتصاف
بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستلزم
الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للاشتمال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستلزم
الا اتصافه بالدلالية التي هي عبارة عن المصدر المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا

الا ترى كيف اشتمل هذا الخبر على الفعل والمبتدا الذي هو الضمير والرفع رفعا تصويريا كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتميز بها عائدة الاثار
فيها قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف لغرضين اي للتفنن الموجب لايقاظ السامع
وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من نمط اخر صرفه عن سنن المسلوك مبنيا على اهتمام جدير بذلك منه من تكلم
ويستجلب بتزيد رغبة فيه من تخاطب ان قيل لاريب في ان حال الموصول عند كونه خبرا للمبتدا المحذوف كحاله عند كونه مبتدا اخبره او ذلك
فانه ينبئ جلية اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان
كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى والفلاح من الغنوت بجليلة فما السر في اجراء ذلك في الصورة الاولى من توابع
المتقين وعدة الوقف غير تام وفي الثانية تقتطع عنه وعدة الوقف تاما قلت السر في ذلك ان المبتدا في الصورتين وان كان
عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدا اجمالا حصل تحققه معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع
سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظرا لذلك سلك الصفات مسلك المراعاة جانب المعنى واما في الثانية فحيث كان الخبر
في الحقيقة ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب لا يجعل عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب لا يجعل موصوفا
حقه ان يكون خبرا حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار وبعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك
بل كان مشتملا على ما لاينبئ عنه المبتدا من المعاني الكثيرة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمعنى المطلوب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله
محافظة على الصورة وجمعا بين الحقين جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي لا لواحد يقال امنته وبالنقل تعدى لاثنين يقال
آمنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن تكذيب وتخالفه واستعماله بالباء للتضمين
معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة ومنه ما حكي عن يعرب ما آمنت ان احد صحى بة
اي صرت ذا امن وسكون وكلا هذين حسن ههنا وهو شرع لا يتحقق بدون التصديق بالمعلوم ضرورة انه من دين نبيا على
كالتوحيد والنبوة والبعث ونحوا او نظرا وهو كاف في ذلك اولا بد من انضمام الاقرار اليه للتمكن منه والاول رأي
الشيخ الاشعري ومن تابعه فان الاقرار عنده من لوازم الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو حق فانه جعلها خارجية
له خلا ان الاقرار ركن يحتمل السقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجرع ائمة امور اعتقاد بحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور
المحدثين وحقيقته ترجح احد طرفي الخبر على الاخر بالاعتقاد وجزمه ومن الاخر بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا
وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل الكفر عند المعتزلة ويؤمنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به
الغائب مبالغة كالنهاء في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او تخفيف كقيد في قيل وميّن في هيّن وميّت في ميت
لكن لم يستعمل في الاصل كالسيد في نظائره واما كان فهو مغاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرى بواحد منهما
ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم ينصب
عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوة وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الاخر واحواله من البعث والنشور وغيرها وبالجملة
وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما لتضمينه معنى الاعتراف او لتجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر
على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ولم اكن
بالغيب اي مؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي عليه السلام غير مشاهدين له فانه من كمال ايمانهم كما روي
ان النبي عليه السلام ذكر لاصحابه رسول الله عليه السلام وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره
ما آمن مؤمن افضل من الايمان بالغيب ثم تلا هذه الآية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لما كانوا منافقين الذين اذا لقوا
الذين آمنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور وقيل المخلص يؤمنون بقلوبهم لا

الذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء للآلة وترك ذكر المؤمن به على التفاوت بين التلفظ به للتعمد الى احراز نفس
الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الايمان والاباء لما كان فعلا اجاء سيق فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان
ويقيمون الصلوة اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرايضها وسننها وادابها ويزيفها من اقام
العود اذا قومه وعدله وقيل عن نحو اظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ
عليها كانت كالشاخص الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لاداءها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه
واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود الخشوع
والاول هو الاظهر لانه اشهر والى حقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبت بالواو مراعاة
للفظ المفخم واما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اهل صلى تحرك الصلوين وهما الفخذان الثانيان في اعلى الفخذ
لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه واما سمي الراعي مصليا تشبيها
له في تحنثه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى كقوله تعالى وتجعلون رزقكم
وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به حيوان والمعتزلة لما احالوا ان يمكن الله تعالى من حرام لانه منع من الانتفاع
به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول حراما لان اسناد الرزق الى الله تعالى يقتضي كونه حلالا والجواب ان النهي انما توجه الى
فعل الانفاق لا الى المرزوق ولا يلزم من كون الشيء مرزوقا جواز الانتفاع به بدليل ان الله تعالى رزق الكافر الطعام والشراب ثم حرمهما عليه
فجعلهم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم التخييم ما لم يحرم واختصاص
ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا بشمول الرزق بما روي عنه على في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله
ان الله كتب علي الشقوة فلا ارى ارزق الا من قبلي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة من انه قال عليه السلام لا اذن لك ولا كرامة
ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله
وبانه لو لم يكن حرام رزقا لم يكن المتقي به طول عمره مرزوقا وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاق
اخوان حلا ان في الكتاب مغاب الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن مستتر
بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه واخصه بها لاقترانه بها هو شقيقها وبالجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المعمول
للاهتمام وللحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع الحلال ون
التي سخهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان عما لا ينال به بالكسر لا ينفق منه وبه كرية ذهب من قال وما حتضناهم
من انوار حكمة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الموصول الاول على تقدير ي وصلة
بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة وهي معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام او ظل
بالاولين الذين امنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن كونه بالغيب وبالآخرين الذين آمنوا
بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبله كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم
بوصف الاتقان لتمادي اشتهرهم عن حالة لا يتهم الاوطى بالكلية لما فيها من كمال الفطاحة وحيازة الشرائع كلها الموجبة لمزاحمتها
بخلاف الآخرين فانهم غير تاركين لكل ما نراعيه بالمرة بل متمكنون باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز
ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت صفتين ذلا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات
كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب لا يراد
بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله بل شان خطير

ستتبع لاحكام آية حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احد هما تتمة لآخر قد شفع الاولى بالصلوة والصدقة اللتين
هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة لها فان كمال العلم بالعمل وقرن الكتاب بالايقان بالآخرة مع كونه منطويا
تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتم رضا بمادة اعتقاد اهل الكتاب بان من تحلى بكل شيء من هذا القبيل بتقدير تعلق البا بالايقان وقس عليه الحال
عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادات البدنية مع قطع النظر عن كون من به والايقان بالكتب المنزلة
اثر رجحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مغرونا بما يحرز به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم
اجلا موقنون بدين الايمان بما يدرك العقل جملة والايقان بما يصدقه من العبادات البدنية وما لية وبدين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع
كما مر وجوز وصول التنبيه على تغاير الفصلين وتباين السبيلين علما وان يراد بالموصول الكتاب بعد اندراج الكل في الاولى فيختص حكم وصول
اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جرير وميكال اثر جبريل ذكر هلكة تعظيما لشانهم وتحريضا لامثالهم والآخرة انهم
في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالكتاب انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المتبعة لها فنزول
ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان تلقاها الملك من جناب عز وجل تلقيا روحانيا او بحفظها
من اللوح المحفوظ فينزل بها على الرسل فيلقيها عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القرآن باسره والشريعة غنى آخرها والتعبير عن
انزاله بالماضي مع كونه بعضه منتظر قبلا لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ملئة شرف الوقوع تحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان عيسى ما كانوا سمعوا الكتب جميعا ولا كان يجمع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التوراة
والانجيل وسائر الكتب الالهة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل
حسب تعلقه في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الاية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن
تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بأمر المعاش وبناء الفعلين
للمفعول للايذان بتعين الفاعل وجري على سنن الكبرياء وقدم الآخرة هم يوقنون الايقان اتقان العلم
بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علم الله يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام
التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم
الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب
فان اعتقادهم في امور الآخرة بمنزل من الصحة مضمحل عن الوصول الى مرتبة اليقين والآخرة تانيث الآخر كما ان الدنيا تانيث الادنى
غلبت على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة اجراء للضم
ما قبلها مجرى ضمها في وجوه ووقتت وتظيره ما في قوله وقت الموجأن الى مؤنث وجعدة اذا ضافوا بها الوقود وقوله تعالى
اولئك اشارة الى الذين حكيت حضائحهم من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك الكمال متميز منتظمون
بسببه في سلك الامور الثابتة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله على هدى
خبره وما فيه من الابهام المفهم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء
بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيف يريد او على استعارتها لتمكنهم بالهدى
استعارة تبعية على تشبيههم باعتلاء الراكب دابته على سبيل التمثيل او على جعلها قرينة لاستعارة بالكناية بان الهدى والمركوب
للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال استوائهم فيه وقوله من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامة الاضافة اثر بيان فخامة
الذاتية موكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هداية تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف وتعظيم شانهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق تعظيم وتقريره بيان ما يوجبه ويقتضيه وقد

اوعدت النون في الرآية وبغير غنية وبجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة
لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لكل من فنون من مانحوه واستقروا
عليه من الحدس بحقيقة لا يسمع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل هي واقعة موقع جواب عن السوال بما بانت اتصافهم
كانه قيل ما للمتصفين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان دون غيرهم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب
اتصافهم بذلك ما تكون لزمام امر الحدس الجامع لفنون المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه
ولقد جار عن سنن الصواب من قال في تقرير جواب ان اولئك موصوفون بغير مستبعد ان يفوزوا دون الناكسين رؤسهم خجلا وبالله
آجلا واما على تقدير كونهما مفعولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الذي هو موصول الاول والكتاب معطوف عليه وهذه جملة مستانفة
وقع جوابا عن سوال نشا في اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين فقيل بيان ما اشاد استحقاقهم لذلك كما قيل ما بال المتقين مخصوصين
به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت جهتهم الكمال وبيان ما سيد عليه من النتيجة اي الذين هذه نعوتهم احقاء بما هو اعظم
من ذلك كوتك احب الانصار الذين قاموا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله اولئك هم اولياء حقيقيون بكرامتي
واعلم ان هذا مسلك يسلك تارة باعادة اسم من استوفى محاسن الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة
بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور الثابتة هدى والايجاز
الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى على المتقين جريا فصلا والكتاب مبتدا واولئك خبره ويجعل اختصاصهم
بالهدى والفلاح تعريضا بغيرهم الموصوفين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح واولئك هم المفعول
المكرر اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك
الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين جملتين خلتا عنه في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم
اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثانية مقررة للاولى
واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفس الامر مما يتنافس فيه
المتنافسون فعل بالفعل وهم ضمير فصل يفصل مخبرا عن الصفة ويؤكده البتة ويفيد اختصاص حكم المسند اليه او مبتدا اخبره المحذوف
وجملة خبرا لاولئك وتوسيط العاطف بين الجملتين للدلالة على ان كلا من الفريقين هم المتميزون بملكات لهم مجعولون في الآخرة اوساط رتبة الى ما يليهم فهم كل احد
من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بناء اختصاص المتقين بهذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه
في تضاعيف تفسير الاية الكريمة من الترغيب في اقتفاء آثارهم والارشاد الى اقتباس انوارهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق
ان الذين كفروا كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال اثر
بجامعيتهم في كمال وكمال وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من
التباين في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى موتة بين رفعة شان الكتاب في الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال
المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد او كما اجعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستئناف مبني على سوال نشا من كلام
المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجدي
الانذار والتبشير ولا يوثر فيهم الغظة والتذكير فهم فاكهون في تيه الغي والعناد عن مناهج العقول وراكبون في مسلك المكابرة وجماح
متن كل صعب وذلول واما اوثرت هذه الطريقة ولم يوسس الكلام على بيان الكتاب بادي بدء كما اوثرت هناك فلان الكتاب
الاخير ليس محاورته كالاشياء التي تعرض له في اثناء العناد كالاية وان من حروف الجر التي به الغرض عدد حروف والباء على الفتح ولزوم

لا سماء ودخول نون الوقاية عليها كما تقدم ولعلتني ونظائرها واعلم ان معانيه وتعلقه خاصة فالوصول على اربعين ولذلك اعملت عليه
الفرع وهو نصب الاول ورفع الثاني اذا ما بكونه فرعا في العمل وخيلافيه وعند الكوفيين لا عمل لها فيه بل هو باق على حاله بقضية الاستحقاق
واجيب بان ارتفاع خبر مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمالها لحرف تاكيد
الشبهة وتحقيقها ولذلك تليفي بها القسم ويصدر بها الاجوبة وبوتي بها عند مواقع الشك والانكار لدفعه ومرة قال عمر وقولك
عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه متاكد لنفيه وتوليف حكم وصول
الى المعهد والمراد به ناكسي اعيانهم كابي جهل والوليد بن مغيرة واضرابهم واحبار اليهود او المجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه
من قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر فعال اما لكثرة غيث اعجب
الكفار نباته وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه تمكفير بسلاحه وهو ان يكون على الرجل السلاح بدنه ذو الشريعة انكار
ما علم بالضرورة مجيئ الرسول عليه السلام به وانما عد لبس السلاح وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرها كفرا لدلالته على التكذيب فان
من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كما لزنى وشرب الخمر واحتج المعتزلة على حدوث القران
بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوث
حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم سواء اريد اسم يعني الاستوآء الذي به كما ينعت بالمصادر
مبالغة قال تعالى الا الكلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى
ءانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستوآء بين مدخوليها
كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه
او مبتدا وسواء عليهم خبر مقدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به
اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتباع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان
عليهم والعدول الى الفعل لافادة ان ايهام التجدد وحصوله لادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستوآء وتاكيده
كما اثير انه قيل سواء استبدا ام ما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام ان لا يكون الانذار وعدمه سواء لان يكون المسند الانذار
وعدمه والانذار اعلام مخوف لاحتراز عن افعال من تنذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد بهذا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه
على المعاصي والاقتصار عليه لانهم سيواء بالنسبة اليه اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع مضار
اهم من جلب المنافع فخيل لم يتاثروا به فلان لا يرغبوا البتة رأسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وتسهيلهما
والثانية بين بين وتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على لام كن قبله كما قرئ قد افلح
وقرئ بقلب الثانية الفا وقد تسهل ذلك على اللحن لان ما يؤنسون جملة مستقلة موكدة لما قبلها بمنزلة لما فيه من ايجاب ما نفيه الاستوآء فلا محل
لها من الاعراب او حال موكدة له او بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض على هو علة للحكم او خبر ثان على رأي من يجوزه عند كونه جملة والآية
الكريمة ما استدل به على جواز التكليف بالا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فحظر استحالة ايمانهم لاستحالة اجتماع الضدين الذي
هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم
المستمر وحتى ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثالية غير واقع لاستحالة
والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس بما كلفوه الا يمان تفاصيل ما نطق

القران حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه السلام اجمالا على ان كون مدلول عبارة عنهم ليس
معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة وانما الزام الرسول عليه السلام فضلا عن الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم
ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان
اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة ختم الله على قلوبهم استيناف تعليلي لما سبق من حكمه وبيان لما يقتضيه
وبيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد وبختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له اولا في فيه من
التعرض له كما في البيت الخارج والكيس ثم عمم والاول هو المناسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب
تاديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن ضياء حنظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها حتى اصلا اما على
طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على الحواجز المانعة الخالية المبنية لتمكن شيء معقول محسوس بجامع عقلي
هو الاشتمال على منع الغير عما من شانه وحقه ان يصله ويستعار له ختم ثم يشتق منه صيغة الماضي والامر على طريقة التمثيل بان
يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة اي زنة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور
الدينية النافعة وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من
امور عدة اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو ختم والباقي منوي مرادا قصد
بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع
الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز الذي هو باقية على حالها من كونها
حقيقة او مجازا او كناية واما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ الخالية ليس فيها التجوز المشهور
ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولا وضعيا لها ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعارة الهيئة المشبهة مستعملا
في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له وبهذا
قد ما المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى ان التمثيل قسم برأسه ومن رام تقليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل
الدلالات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما شبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وتبعه
الاستعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاسناد جميع الحوادث عند نا من حيث تخلقها الى مسببها
وورود الاية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث اكتسبت مستندة اليهم فان خلقها منه تعالى
ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يشير اليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وبخو ذلك واما المعتزلة
فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتكرر ذلك في قلوبهم حتى صار
كالطبيعة لهم شبه الوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن
او تقلوب قد ختم الله تعالى عليها كما يحال بالوادي اذا اهلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة ومنها ان ذلك فعل الشيطان
او الكافر واسناده اليه لتسببه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم قد رسخ في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى
تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد طريق ايمانهم
بالكلية وفيه استعارة بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية ما كانت تقوله
يقولونه مشافهة لهم على سبيل الخاتمة الكفر حاشا لله وغداة اذا نا وقرومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الاخرة وانما
اخبر عنه بالماضي لتحققه وتقربه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة

يوم القيامة فيبغضونهم ويتبغضونهم على سمعهم عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه والوقف على الوقف عليه لا على قلوبهم والاشتراك لهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم لما ان بانها الاصل في عدم الايمان والاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فاختم عليه ختم عليها بالذات مخلوقة بخلق جديدة لوقوعه على سمعهم وهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة الى معنى ويطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم لكثرة اشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحالة اولان حياتهم من حيث السمع هذي به تتيقن الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم مهما من حيث البصر حتى به يشاهد الاحوال الحاكمة على التوحيد فيما نهاهن بالتقديم واسنب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكر هما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى اكتمال العقل بالمعارف التي تتلقف من افواه بها والتوحيد لان من فقد حس السمع اعتبار الاكمل او لتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كالكلام في ايقاعه على ابصارهم غشاوة الابصار جمع بصر كالكلام فيه كما سبق في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بحيث لا يستمكن على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على ابرأى سيبويه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية لما يذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة البصرة من الايات المنصوبة في الافاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم من ذلك ايضا كذلك واما الايات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليهم حينا فحينا اوشك بان يختم عليها وعلى ما هي احد طرفي معرفته اعني القلب بجملة الفعلية وعلى ابرأى الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم بنفسه كقوله تعالى واختار موسى قومه والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وغشاوة بالعين غير المعجمة والرفع ولهم عذاب عظيم وعيد دنيوي لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال عذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويبرده ولذلك سمي نقاخا فانه يتنقع العطش ويكسره وقرئ بالنون لانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم شديد وان لم يكن عقابا يراد به ردع جاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاجداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل او المبالغة في ذلك كما في ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا عما يعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين ومن الناس شروع في بيان ان بعض من حكيت احوالهم اثره ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون اليه ضربا آخر من الشر والفساد وتعديل لجنايا تهم السيئة المستتبعة لاحوال بائسة عاجلة وآجلة واصل ناس اناس كما يشهد له انس وانامي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض منها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما ما في قراءة ان الانايا يطلعن على الانانيس الامشياطين فشاذ كما ينبئ عن ذلك ظهور همزته وتعلق الانايا بهم كما سمي جن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو حركة انقلب واوه الفا ثم همزت كما في الفاتح وقيل من ناس ينوس اذا تحرك وقيل من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيأ ثم قلبت الفا فهمزت بذلك لشبهها بهم وروي عن ابن عباس انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد الي فنسي وقيل لانه ما للعهد او للجنس فمقصور على المصرين حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم اومن اولئك المعدول الى الناس من يذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل

الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او نعت لمقدر هو المبتدا كما في قوله عز وجل وما منا الا له مقام معلوم فمن في قوله تعالى من يقول موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والجملة وبعض الناس صفتي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي او فريق يقول كقوله تعالى من حكموا منين رجال يحبون على ان يكون نماط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او صفته وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك حمد كورين واما جعل الظرف خبرا على ما هو رأي في سوارد الاستعمال فبانه جزالة المعنى لان كونهم من الناس على ما هو فالاخبار به عارٍ عن الفائدة كما قيل فان جعلناه توهم كون المراد بالناس جنسهم مطلقا وكذا اعتبار الجواب عنه بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة شائع في الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه وانت خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او عن جنس المقصور على عشرين وايا ما كان فالفائدة ظاهرة بل الان خبرية الظرف تستدعي ان يكون اتصاف هؤلاء تلك الصفات القبيحة مقصورا في ثلث عشرة آية عنوانا للموضوع مفوضا عنه غير مقصود بالذات ويكون ضباط الافادة كونهم من اولئك حمد كورين ولا ريب لاحد في انه يجب حمل النظم الجليل على اجزل محملي واحراهما وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله تعالى آمنا بالله واليوم الآخر وما بعده باعتبار معناها وحمدا بالبوم الآخر من وقت تحشر الاموات الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم الايمان بهما لذكر مع تكرير الباء للاعتناء بامرهما والايذان بخطرهما واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقايد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في تحقيقه اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاهدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وبخ ذلك وحكاية بعض اقوالهم ليبان كمال خبثهم ودعاويهم فان ما قالوه لا يصدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه بمرأى منهم على المسلمين ومسمع منهم وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما تضمنه وما مجازية فان جواز دخول الباء في خبرها ان ليس لنفي النفي انتفاء مخالف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهمن ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام في نحو ما هو بمعونة المقام يدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الاستقبال يدل على الاستمرار الوجودي وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على الاستمرار الامتناعي لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل والمعنى ان الايمان عما قيدوه به لا يتاتى منهم ليس من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق لفظيا ومدلول الاية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا خلافا لجماعة فيها على الكرامية القائلين بان من نطق بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه مؤمن يخادعون الله والذين آمنوا بيان لما يقولون توضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من كيفيته كانه قيل لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ الى يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع وخدع اليوم صاحبه خلافا لما يريده من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه مساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فيتمكن منه بسهولة من قولهم ضبت خادع وهو الذي اذا امترا طرائش يده على باب جحره يوهم الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيبهم من شرة الكفرة وايا ما كان فنسبته

لله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اى يعاملون معاملة من يخادع الله تعالى وهو عالم بخباياهم كما فى قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم واما على طريقة المشاكلة لما وقع فى قوله تعالى ما يخدعون الا انفسهم حيث عبر عن جزاء الخداع بالخداع وقيل المعنى يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بايعوك انما يبايعون الله بدليل قوله تعالى يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة ذلك للمبالغة كما مر واما بالحمل على التمثيل والتنزيل منزلة من يخادع الله تعالى فلا حاجة الى ما قيل من ان فيه تكلفا من غير داع اليه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما فى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله والبقاء صيغة الماضى بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كأنه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يجازيهم على خداعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى وهو منيزه وصنعه تعالى معهم بما جرت احكام الاسلام عليهم وهم عند اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامثال الرسول عليه السلام وهو منيزه بامر الله تعالى فى ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة وصيغة كما قيل مجازا على التسمية للذوق السليم اما الاول فلان كما نفيهن لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم كمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدى للخدع واما الثانى فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غائلتها آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز قائلا وما يخدعون الا انفسهم فالتعرض لحال الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اى يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها بالاكاذيب فيلقونها فى مهاوى الهلكة وما يخادعون وكيفما هو كيف ومن حافظ على الصيغة فيما قيل قال وما يعلمون تلك المعاملة الشنيعة بمعاملة المنى وعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهى ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اى يخدعون وخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحى به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به ولما ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر خداعهم راجع اليهم لا يتخطاهم لا غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يخادعون اى يقتصرون على خدع انفسهم وحال انهم ما يشعرون اى ما يحسون بذلك لتمادى غيهم فى الغواية وحذف المفعول اما للظهور او لتعمم اى ما يشعرون بشئ اصلا جعل طمسا وبالا بالنسبة الى صنعهم فى الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذى لا يخفى الا على مزاول كحواس مختل المشاعر فى قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الملائق به ويوجب تخلفا فى افاعيله ويؤدى الى الموت استعير ههنا لما فى قلوبهم من سخيمة وسوء العقيدة وعداوة النبى عليه السلام وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى الهلاك الابدى والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير متعارف الناس من الامراض وجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما يخدعون من الاستمرار عدم انيكاكهم او تعليل له كأنه قيل مالهم لا يؤمنون فقيل فى قلوبهم مرض نفيعة فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانها لا تؤثر فيها النذكير والانذار وجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبهم اتضح كونهم من الكفرة المحتوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما انزل وحى او كلفوا بتكليف عجزوا ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والحذر عند مشاهدتهم قوة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا فعلهم من القاء الرعب وقذف الرعب فى قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبى عليه السلام بانزال الملائكة وتاييده بفنون الحضر والتكثير فعوله تعالى فى قلوبهم مرض صح اسنادها اليه تعالى تعليقى لقوله تعالى يخادعون الله ما كانه قيل مالهم يخادعون الله ولم لا يجازون بما يفعلون فقيل فى قلوبهم مرض ولهم فى الآخرة عذاب اليم اى مؤلم

يقال الم وهو اليم كوجع وهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما فى قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده قاني الا والوجع حقيقة للمولم وحضروب بكاف ان جد للجاد وقيل هو بمعنى المولم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجيء فى قوله تعالى بديع السموات والارض بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية او حاملة فى حقيقة على يكذبون وكلمة كان فيه لافادة دوام كذبهم وجدده اى بسبب كذبهم او مقابلة كذبهم المتجدد والمستمر الذى هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انت الايمان ولو سلم فهو مقتض لكونهم اخبارا بعدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبى بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على حقيقة هر بناء على رأى من يجوز ان يكون لكان تارة مصدرا كما صرح به فى قول ان عمر بذل وحلم ساد فى قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير اى لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتب العذاب عليه من بين سائر موجبات القوية اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب الشراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ واما لان الايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للاشعار الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان طرق العذاب كلهم من جهاتهم شتى وان الاقتصار عليه لذلك اشعار بغاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضى الله عنه وبه وروى مرفوعا ايضا الى النبى عليه السلام اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روى ان ابراهيم كذب ثلثة كذبات فالمراد به التعريض وانما سمى به تشبيها بصورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف اى بالذى يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبى عليه السلام او القرآن او ما مصدرية اى بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القرآن او موصولة اى بالذى يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما فى بين فى بان وتخلص فى تخلص والتكثير كما فى موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشى اذا اجرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان الحمائق تتوقف فى امره متردد فى رأيه ولذلك قيل لمذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض شروع فى تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف لزمن مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا على الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل معناه الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مصدر يفسره المذكور والفساد خروج الشئ عن حالة الائقة به والصلاح مقابله والفساد فى الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدى الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال لمن حمل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك فى النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو انما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل لها من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان او الاستئناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس بتوسيط بالاجنبى وان جعلت موصوفة فمحلها الرفع وجمعه وذكر ان اذا نهوا من جهته المؤمنين عما هم عليه من الافساد فى الارض قالوا اراءة للناس بين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلى انكار كون ذلك افسادا واداء كونه اصلاحا محضا كما سيأتى بتحقيقه انما نحن مصلحون اى مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق بشائبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغى ان يرتاب فيه واما كلام مستانف مسوق لتقرير شناعتهم واما عطفه على يكذبون بحسب المعنى ولقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا التخريص التعليلى حقه ان يكون بلا وصل ظاهرة العلية مسلة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما فى قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين اولذكر ما يستلزمه استئنافا ما ظاهرا كما فى قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر

من الضلال عن سبيل الله ما يوجب حتماً تبيان جانب الآخرة الى آخر ما حملها يوم ح ٠ وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بجملية
فصداً كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا آية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية لا غير ذلك ولا ريب
في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شئ منها معلوم الانتفاء البتة عند السامع
المذكورة حتى يتحتم الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد وجهين
مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصداً واستقلالاً لا كيف لا وقوله عز وجل الا انهم هم المفسدون ينادي بذلك
نداءً جلياً فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد واوآه على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستئناف الموذي الى زيادة
تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت جملته بحرف التأكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان النكرة الانكارية اذا دخلت على
النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعاً كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من جملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم
واختها التي امن من طلائع وقيلا هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المغرة للتنبيه وعرى تجرد وسط ضمير
الفصل لمرة ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعويض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون فان كلا يدان بان
كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من ردّ مضمونها
ولو لان المراد تفصيل جناياتهم وتهديدها تشهم وهتك استارهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب ٠ والله اعلم بالصواب
واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اذا ما نصح وانكا لا لمارشاد آمنوا خذف المؤمن به
لظهوره او اريد العلم الايمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي آمنوا ايماناً مماثلاً
لايمانهم فما مصدرية او كافة كافة في رجا فانها تكف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة ويكون للتشبيه بين مضمونى الجملتين اي
حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بمقتضية العقل فان اسم الجنس
كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعاً للكمالات المقصودة منه ولذلك سلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان
وقد جمعها من قال اذا الناس سكان الزمان زمانه اولكمد والمراد به الرسول عليه السلام ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم
كما بين سلام واضرابه وكيف آمنوا ايماناً موقونا بالاخلاص متحضاً عن شوائب النفاق مماثلاً لايمانهم قالوا مقابلين للامر
بالمعروف بالانكار منكرين واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم كما ان المؤمن كما آمن السفهاء مشيرين بالوم الى من اشير اليهم
في الناس من الكاملين او جمهورهين او الى الجنس بمرة وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثها
قصور العقل وقلة طول الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم
في السفاهة وتمادیهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فمن حسب الضلال هدى يسمى الهدى لا محالة ضلالاً او تحقيراً
شأنهم فان كثيراً من المؤمنين كانوا اغنياء آمن منهم موالٍ كصهيب وبلال او للتجدد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد
بالناس عبد الله بن سلام وامثاله وآيا ما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل وسديد غيه مخامة شأنه بجلالة ان يكون صدور هذا
القول عنهم بحضرة من المؤمنين الذين صحبوهم حيناً من الدهر وخبروهم وحيث كان مرجوه تنصيحهم وارشادهم
كونهم مجاهرين لامناقضين وذلك مما لا يكاد يساعده الثبات والتأني وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين
قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم وانت خبير
بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في محفل في معرض ما جرى بينهما في مقام محاورة مما لا عهد به في الكلام فضلاً عما هو في منصب الايحاء
فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من المؤمنين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكيد عنيق ونوع في
النفاق عريق يصنع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين يشاهم محتمل لشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاماً

ترضاه

وكذا قولهم راعنا ويحتمل بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروهاً كانوا يخاطبون به رسول الله عليه السلام استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون
في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهى عنه كذلك هذا الكلام محتمل عشر كما ذكر في تفسيره وبخير بان يحمل على ادعاء الايمان كاذباً
الناس وانكاراً ما انتهوا به من النفاق على معنى انؤمن كما آمن السفهاء وبحجابين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كما يتبع الناس
حتماً تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاءً بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلاً
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ رد وجهلهم الشنيع بتجهيل حيث صدرت جملته بحرف التأكيد جسماً اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة
مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان جملة
على المعنى الاخير كما هو رأي الجمهور مناف طالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كونهم منهوا عنه من الافساد اصلاحاً
كما مر لظهار منهم للشقاق وبروز باثنى صدم من تفوق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمسلمين كما ذكر في
بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم في تلك الحالة
مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارهم بالاعطاء الدنية وانما نهاهم عن ضعفهم الملجئ الى التوسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين
فضلاً عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعاً فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بخلافه كيف لا وانه يقتضي ان يكون تمام تفوق
في تلك الدعوى صادقين قاصدين كل اصلاح وبانيتهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا يعاشرونهم
الا مضارة للدين وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار
صدور الافساد والمنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما نهتم عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاءً
بهم وارادة لارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الآية والله سبحانه اعلم بما اودعه
في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون وله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بالايقين
بما انه اكثر طباق الاذكر الصنف الذي هو فتن من فتون الجهل ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق واهم على الباطل منوط بالتمييز بين
الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والافساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به
مفسداً قاهراً بريئاً يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمنى طبقاً حسب تباين المنى طبقين وسياق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذ
والتربية عن تعاقبهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الايمان فليس في شائبة النكير ما يدري ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا
ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فقال ابن ابي انظروا كيف اردهم لكم آلا السفهاء عنكم فلما دنوا منهم
اخذ بيد ابي بكر رضي فقال مرحباً بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله عليه السلام في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله
ثم اخذ بيد عمر رضي فقال مرحباً بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه الصلوة والسلام
ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحباً بابن عم رسول الله عليه السلام وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت وقيل
قال له علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلاً يا ابا الحسن اني لاعرف هذا واعلم ان ايمانك
كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فانثنوا
عليه خيراً وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله واخبروه بذلك فنزلت والتقاء المصادفة يقال لقيته
ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا واذا خلوا من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالباء ومن خلا بمعنى
مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى
في قوله تعالى الى شياطينهم لتضمنه معنى الانهماء اي واذا انهوا اليهم السخرية ؟ وانت خبير بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهماء مما لا وجه له

والمراد بشياطينهم المتمالئون منهم بشيطانيتهم في التمرد والعتاد والمظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للشركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تامة اصلية فوزنه فيعال على انه لم يسمع شيطن اذا بعد فانه يبعد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط اى هلك او بطل ومن اسمائه البطال وقيل معناه هاج واحترق قالوا انا معكم اى في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية تحقيقا لكون مودعاهم عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتاكيد لاجل اغرائهم على تصديقهم وتوفير رغبتهم وتوفر ثمرتها لهم لا لانكار الشياطين خلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يؤكدون عندهم احراز الايمان طرفهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه او الشك فيه او انما نحن في اظهار الايمان مستهزؤن بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استئناف مبني على سوال نشأ من ادعاء حمقهم كانه قيل فما ذا قالوا لهم عند قولهم انا معكم فاجيبوا بانهم قالوا انما نحن مستهزؤن بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد نعتوا اجوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تاكيد لما قبله فان مستهزئ بالشئ مصر على خلافه وابدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشئ السخرية منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى واصله تخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ هزأ على مكانه وتهزأ به ناقته اى سرع به وتخف والله يستهزئ بهم اى يجازيهم على استهزائهم سمى جزاؤه باسمه كما سمى جزاء السيئة اما لمشاكلة في اللفظ او لمقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم حقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء ويعاملهم معاملة المستهزئ بهم امهلهم في الدنيا وباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وامهلهم في الآخرة فيما يروى انه يفتح لهم باب الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في الاستهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتفاقم ذلك عليهم حتى اضطرهم الامر ان يقولوا ما يصير امرهم الى ما عاقبته حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يجرهم الى المعارضة بالمثل وسيستهزئ بهم الاستهزاء البالغ الذي ليس استهزاء وهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان حالا يوصف وانما عبر بصيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وهم كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك استمرار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ذلك كما انا عند قوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون وعد لهم اى يزيدهم ويقويهم من مد تجيش وامده اذا زاده وقراه وشده مدت الدواة والسراج اذا اصلحتها بالمد والزيت واثاره على يزيدهم للايذان بان ذلك مضبوط بسوء اختيارهم لما انه انما يحقق عند الامداد وما يجري مجراه من الحالة الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد وهو صحيح في ان القراءة المشهورة ليست من تحدي في العمر على انه يستعمل بالوجهين كالاملاء قال تعالى ونمد له من العذاب مدا وحذف مجاز وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لايصاله الى الابعد ليصير في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر وتكراره اخراجهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان لغة في لقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتاييد ما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور ركنوا خصائص مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدرى اين يتوجه واستناد هذا المد الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي محقق للقاعدة اهل حق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث تحقق اليه سبحانه وان كانت

افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وممتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على سلكه عكسوا الامر فجاءوا آتاهم الله اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنهم الطائفة فتزايد الرين في قلوبهم فمنشأ ذلك مدد الطغيان فاسند ايلاءه اليه تعالى في المسند مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب له وفاعله تحقيقا هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه تعالى واقداره او لذلك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمال تمييز بحيث صار وا كانهم حضار تشاهدون عليهم وما فيه من معنى البعد لما ذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى الذين اشتروا الضلالة بالهدى وجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان كمال جهالتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية مساوئها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الحيود عن القصد والهدى التوجه نحوه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستعملا فيه فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شئ باعطاء ما في يده عينا كان ذلك منه او معنى كالاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان استعمل مطلقا مرسلا ومنه قوله اخذت بجمته رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه وقد اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم يمثل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى بحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الى ملة جميع اصناف الكفرة حتى تكون حاصلة لهم من قبيل هو نور وهو الكلام الخالص بهو لا على ان اللام للعهد وهو عمهم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند الياس عن اهتدائهم وختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في خبر الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتاخذ المقدمات المنتجة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع التجدد والاثرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الايات الباهرة وسمعوه من حجج القاهرة من جهة الرسول عليه السلام وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة التامة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية حاصلة لكل احد بناء على ان اضاعتها غير مختصة بهولا ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد يختم على القلوب مختصة بهم فليس في اضاعتها خطر من الشناعة على ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يقتضي ان يكون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى ههنا ماضيا تبعا والعدول منه حمل الاشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل الشراء في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل بهر ونق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بجاوب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جنايتهم الاخروي من جنايا تهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي عليه السلام وحقية دينه بما كانوا يجدونه في التوراة من نعوته عليه السلام وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل

زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولما سلخ طلل الهدى
على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة فما ربحت تجارتهم عطف على الصلة داخل في حيزها
والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو المقصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل
على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استفاد فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن عبارة عن
خسرانها اليها وهو لاربابها بناء على التوسع كمبني على ما يتهما من الملابسة وفائدة المبالغة في تخسيرهم ملابسته من الاشعار
بكثرة الخسران وعمومه المستتبع لسرايته الى ثيابهم واير اد هذا اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح لتلك الاستعارة
وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد لكل شياع في التخسير والتحسير ولا يخفى
ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لما نحن فيه مما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وعبر عنهم عليه معربة عن كون
تلك صناعة لهم راسخة اذ ليس من ضرورات الترشيح ان يكون باقيا على حقيقته تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها
كما في قولك رأيت اسدا وافى البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ
البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه للملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة
كما في قوله فلما رأيت النسر عز ابن دايه وعشش في وكريه جاش لي صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا
من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفرخ للرأس واللحية والصدغين اعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار
معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن دايه للشيع الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول
والنزول المستتبعين ترشيح لتلك الاستعارتين باعتبار المذكور وقوى تجارتهم وتعدادها للعدد والمضاف اليه
وما كانوا مهتدين اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح وليس كذلك الربح في صفقة
فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان رأس
مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالمرة
منزل في جملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة في الترتب على الاشتراء المذكور والا فعطفها على ما قبلها
شذهم عن زيادة كشف لحالهم وتصوير لها بصورة ما يؤدي الى الخبر بحسب حالها بصورة ما يفضي الى
الخبر من حيث النفس هو بالاضاءة اينانة لفظها عنها فان التمثيل اللطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من
مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم جاهل البغي ومنع سوقه بجامح الاباء كيف لا وهو رفع لحجاب عن وجوه
المعقولات الخفية وابراز لها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للممكن في صورة الممتنع واظهار للوحشي في اباءة المألوف
والمثل في الاصل بمعنى المثل وهو نظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه
بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بليغا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد
استعير لكل حال او صفة او قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله
عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي شأنه عظيم وخطره جليل وقوله كمثل جنة الآية وقوله تعالى كمثل الذين
كمثل الذي اي الذين هم كالذي فحذفوا حالا انه وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا الى
الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائلين لان المقصود بالوصف هي جملة الواقعة صلة له
دون نفسه بل انما هو صلة لوصف المحذوف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك يوغل فيه فيحذف
بأوه ثم كسرته ثم انقلب على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو بعض منه فحقه ان لا يجمع

ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شأن اخواته وليس الذين جمعا مصححا بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة
المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر
لطيف مضيء حار يحرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها اي
سطوعها وارتفاعها لذاتها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو
الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وبنى مستعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار
ما حول المستوقد او فلما اضاء ما حوله والتأنيث لكونه عبارة عن الاماكن والاكنة او اضاءت النار نفسها فيما حوله
على ان ذلك ظرف للاشراق المنسبر انتشارها للنفسها او مازيدة وحوله ظرف وتأليف نحو الليل والنهار وتذكير
للعام حول الانه يدور وذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واستقاقه من النار والضمير للذي وجمع باعتبار المعنى اي
اطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستيقاد
ونحوه مما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما اشتد ضرامها او نحو ذلك وهو جواب اذا او استئناف اجيب به عن
سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير
على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به لسارعوا في الاثم كأنه قيل فلما اضاءت
ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها واكتساب الاذهاب الى الله تعالى اما
لان الكل بخلق الله تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يروون به بعيد
الفعل بالباء دون الهمزة ملابسة من معنى الامساك والامساك يقال في ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل
لا يمسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء
النور في جملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما ينبئ عنه قوله وتركهم في ظلمات
لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة تترك الباصر بعضها
على بعض كما يفيده جمع والتنكير التفخيمي وما بعده من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر
واما ان المراد بالنار ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفأها الله تعالى ووصفها باضاءة ما حوله من باب الترشيح او النار حقيقة التي يوقدها الغواة ليسوء بها
بعض المعاصي وينهدوا بها في طرق الغي والفساد فاطفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الآل بعدهم محلا وخللا
وله مفعول واحد فتضمن معنى تصيير مجرى مجرى افعال القلوب كما في فتركنه جزر السباع ينشنه يقتضي حسن بانه
وتعصمهم والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تمنع البصر ومتعلقه من الرؤية وقرئ في
ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كأن الفعل غير متعد وجمع ان حالهم العجيبة
التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعتين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم
ترى مؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو نور الفطرة كما يؤيده
بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا احصلوه من التوراة حسما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد
ينتفع بها فاطفأ الله تعالى ونركه في ظلمات ثائمة لا يهتدي فيها الابصار صم بكم عمي اخبار لمبتدإ محذوف هو ضمير المنافقين
او خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع وصمم الصلابة والكتان لا خرم
ومنه حجر اصم والقناة الصماء وصمام القارورة سداداها سمي به لتقدان حاسة السمع بها لان سببه الكتان ما طن الصماخ

تعريف نار الاستعارة

الضاءة محل سعد ولازما

مع الحاظ فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على مافي مصدرها من الاستعارة
والمبنية على التمثيلية قد اقتصر من طرفي المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة
والختم منوق بالفاظ تخييلية بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الآذان بالاصابع لا ينجي عنهم شيئا فان القدر لا بد ان فوقه حذر ولا حيلة للانسان
بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى الاصحاب التعليل بان مادتهم من الامور المهلكة
المحكمة بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ
من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون فقد دل به على انه لا مدفع لهم
من عذاب الله كما في الدنيا والآخرة وانما وسط بين احوال المشبه مع ان القياس تقديمه او تأخيره لاظهار كمال العناية
وفرط الاهتمام بشأن المشبه يكاد البرق استئناف اخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق
فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم اي يختلسها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من
الوجود لكن اخذ ابهاما به وتناضد مبادية لكنهم لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا
عن ان ونشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله فانبت لا فهم وما كدت آئبا وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في قوله
قول رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا كما يجري عليه بالحذف ما بينهما من المقاربة في اصل المقاربة وليس فيها شائبة
الانشائية كما في عسى وترى يخطف بكسر الطاء ويخطف بفتح الياء وتخا بنقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها
في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس
من حولهم كلما اضاء لهم كلما ظرف ومامصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها
الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في اثناء
ذلك الهول الفظيع بابصارهم ما فعلوا اذا نهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم مشوا في ذلك المشى اوفع مطرح
المفعول محذوف اي كلما بلغ لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما اضاء مشوا فيه اي في ذلك المشى اوفع مطرح
نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو لتكثر ما يعدم منه
واذا اظلم عليهم اي خفي البرق واستتر والمظلم وان كان غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على استتاره اسند اليه مجازا
تحقيقا لما يريد من المبالغة في موجبات تخطفهم وقد جوز ان يكون منقولا من ظلم الليل ومنه ماجاءنا قول اي تم
هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلما بهما عن وجه اخر وكسيب وبعضه قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا اي وقفوا
في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة تحرزا من مزيد خطفه اخرى عسى تأتي لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى
ملجأ يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة والتقامع الاظلام لبيان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصح فكلما وجدوا
فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير الب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو مجرد الخصوص امر مفروض فيه هو الشرط ما بينهما من الدوران حقيقة
او ادعاء ومن قضية مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمتنازع فيه مكابرة واما دلالتها على انتفاء مجرد
فقد قيل وقيل وتحي الذي لا يحيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي
دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لاستحالة الضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران
الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية علة لوجود الهداية

وكم شنها غارة فتنادى تصفرا

حقيقة ووجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يتوسل التعليل بانتفاء
الجزء الى انتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستغراق الذي لكل لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الشيء
لامتناع غيره والتحقيق ان الاستدلال بانتفاء الشيء على انتفاء غيره ان كان ذلك الشيء ظاهرا او مسلما عند المخاطب
كان خفيا او منازعا فيه كما في قولك لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فساد العالم وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم ظاهر البتة في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء الازمين فيتعين انتفاء الملزوم
حقيقة في الاول وادعاء بالطريق الاولى وان كان خفيا ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية
التي رجحت كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الشيء للعلم بانتفاء الاول
ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران بحرفي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء
فلان الجزاء المشروط بالشرط الذي هو طلوعها ليس مجرد اي ضوء كان بل الضوء الخاص المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو مجرد
الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا
بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له او لا فان اعتبر فالدلالة ثابتة كذلك المدار فان كان بينه
وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا علق لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان على صورة بعدم
الطلوع لكنه في تحققه معلق بسبب آخر ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو ليس مدارا لوجود الضوء في تحققه
وانما وضع موضع المدار لكونه كما شافعا عن تحقق مدار آخر له كما نه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلا
ولا شبهة في ان هذا الخبر امنتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما
منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من
الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من حر مرضعته غير منافٍ لانتفائه الذي هو كونها
ربيبته عليه السلام بل يجامع له ومن ضرورة مجامعة اثر يهما اعني حرمة ان تكون ربيبته عليه السلام وحرمة التناكح
من كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة طبعا على
ذلك اصلا كيف لا وسياق الكلام حينئذ لبيان ثبوت جزاء على كل حال تعليقه بما فيه يعلم ثبوته عند وقوع ما لا يتنبه
بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذن لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان
في الثريا لناله رجال من فارس في قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاخبرية المذكورة قد ينفيها
بما نيها فيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع قرض انتفاء اسبابها او تحقق اضدادها
انتفاؤها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله لئن كان كاذبا ليضيق الله عليه ولو لم تمسسه نار وهلم تفاصيل
وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى او لو كان آباؤهم وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر كحبها والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل
حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة معصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والآية الكريمة واردة على الاسلوب
الثاني مفيدة كمال قطاعة حالهم وغاية هولها وهمهم من الشان وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية
الله تعالى بازالة شاعرهم لبقيت تتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها للربط جزاؤها بشرطها مجردة عن
الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الآخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها
اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمونا للجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قولك لو شئت لقمت

مع كلمة لو
انتفاء شرطه
عدم الدوران
كلمة لو على انتفاء الجزاء دائما

ان ابكى دما لكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما
تقتضيه من تحكم والمصالح وقرى لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الآية
والافئدة المشهورة لا السمع مصدر في الاصل وجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من محل الاستئنافية وقيل على كلما اضاء الخ وقيل
عز وجل ان الله على كل شئ قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني
والشئ بالحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه غلب في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول
واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص بهذا بالممكن موجودا كان او معدوما
بقضية اختصاص تعلق القدرة به ما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي
ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما ان العليم
يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاه عليه فان علة الموجود
هي علة البقاء وقدم مخصصه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه
انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى
عبارة عن نفي العجز واستحقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه ارادته او بقدر
قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى خصصه لانه شئ وكل شئ مقدور له تعالى والم ان كل واحد من
الفريقين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب و
الحشف البالي بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين وهداهم الفطري بالنار وتاييدهم اياه بما
شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وازالته باذهاب النور
الفاري واخذ الصلابة بقابلته بالاستهم الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها وبشهوات النفس بالبوادي الباب بالذ وتمكنهم
وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحيوة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحيوة الارضية وما عرض لهم
بسببه من الغموم والاحزان وانكاف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما فيه
اسماعهم من الوعيد بحاي من يهوله الرعد والبرق فيخاف هواعقه فيسد اذنيه مبالغة لاحتراسه منها وانهم انهم
لما لم يهم من رشد بدركونه او ربما يحيرونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حتى
عن اتم معصية بوقوعهم اذا اظلم عليهم بمكن حمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة
في احد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة
في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بان ينتزع من
المناخرين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين
واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة يجعل الهيئة المنتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بان ينتزع من
الذي يقتضيه حزالة التنزيل ويستدعيه نخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر آخر عليه
هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان يكون مثلا للفرا
يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى طوى طبقة كتابه الكريم وتخرب الناس في شانه الى ثلث فرق
مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرايع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والنفاق
واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بالهاس النعوت والاحوال وبين لكل

من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات تهزا لهم الى الاصغاء وتوجيه الكلام اليهم تحريكا للتلقي وجبرا
لما فات العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته وزجرهم عن الاشراك به وبالحرف وضع لندا
البعيد وقد ينادى به تحقيرا تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله يا رب وهو اقرب اليه من
حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لطماعه من محل القرب ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته
وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشانه وايا ما كان اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف
باللام لانه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا
استغنارا بانه المقصود بالنداء وتحت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف
الربوبية لما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كتكرير سلوكها في التنزيل بحيث
كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تفتقر
منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية وكثيرا ما يغفلون فاقتضى الحال المبالغة
والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة
باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملئكة كلهم اجمعون واخذا
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بعموم ما شافاها وانما من عداهم ممن يوجد منهم فبغير واسطة في
خطاب المشافهة وانما فبواسطة اخراجهم تحت حكمه لما تواتر من دينه عليه السلام ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل
للموجودين من المكلفين ولمن يوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري
من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فمكي او ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها
ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ابعد في تحقق العبادة في
بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر بالنسبة الى الامر المشترك الشامل لاولئك العبادة والاتيان بها
والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم اعني الايمان لان الامر
بها منتظم للامر بالايمان به وقد علم من محل ضرورة اشتراطها به فان امر محدث بالصلوة مستتبع لامره
بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية الذل والخضوع
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد وقيل يا ايها العبدوا
وحدوا واطيعوا ولا يخفى كون بعض من حضر قبل الآخرين ممن لا يرجى منهم الانزجار بموجب نص قاطع بان
الامر لقطع الاعذار وليس في تكليفهم بما يرغمهم ويسوءهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بوجوده
في حكم نص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم سواء اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود
النص بذلك فلا جبر اصلا لعم تخصيص خطاب بالكسرين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون و
ايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاستمرار بعلتيها للعبادة
الذي خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتمجيد والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص
الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب بحسب الحقيقي والاضافية التي يستتبعها اربابا والخلق ايجاد الشئ على تقدير
واستواء اصله التقدير يقال خلق النعال اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين
من قبلكم عطف على الضمير المنصوب وتوسيط ما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق الاصول لهم من موجبات العبادة

خلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اى كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم بحذف
المضاف واقيم المضاف مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم الخالقة كائنة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول
خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدى الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج جملته
تخريج الصلة التى حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية خلق
وان اعترفوا بانفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لما بدا ان بانى خلقهم للتقوى
من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ الذين من قبلكم بالجر الموصول الكامل
الاقل وصلته توكيد اكما فى جاءنى الذى ضربت زيدا والام بين المضافين فى لا آبالك الوى بجعله موصوفا بالظرف خبر المبتدا المحذوف
اى الذين هم انكس كائنون قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوضعى لكلمة لعل هو ان توقع امر مترد بين الوقوع
وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل
اما من جهة المتكلم كما فى قولك لعل الله يرحمنى وهو الاكثر ان لم نقل فى الاستعمال ان سكنى الانسان قائمة به واما
من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم فى التكلم التام بالكلام الجارى بينهما كما فى قوله اسيئ فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز اذ بان ذلك الامر فى نفسه مبنية للتوقع
متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت فى الآية الكريمة جهة
المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان
يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مبنية لها للمقاصد اسبابها برجاء الراجى من حمر وجه امرا مهيئا
لمطلوبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مبنية لها للمقاصد اسبابها برجاء الراجى من حمر وجه امرا مهيئا
لحصول ما يرجوه فى كون متعلقين بكل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل
تبعية حرفية للمبالغة فى الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع والى التمثيل بان يلاحظ خلقه
سبحانه اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها ويسترعى من ذلك
هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجى ورجائه من المرجو مبنية شيأ سهل المنال فيستعمل فى الهيئة الاولى
ما حقه ان يستعمل فى الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة فى انتزاع
الهيئة المشبه بها اعنى كلمة الترجى والباقى منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر فى التمثيل كما مر مرارا
واما جعل المشبه ارادته تعالى فى الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز
تخلف المراد عن ارادته فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اى كائنا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه
بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اى خلقكم وايا هم مطلوبا منكم التقوى او علة
كان خلقهم على تلك الحالة اى فى سبق خلقهم لاجل التقوى كأنه قيل خلقكم لتتقوا او الكى تتقوا اما بناء
افعاله تعالى على اغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب غاية على ما هى ثمرة
له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى الغايات ومصالح متنقية جليلة من غير ان تكون
هى علة غائية لها بحيث لو لاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل علمهم
للمأمور به وتأكيدا فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل فى الوجوب واثبر يتقون على تعبدون مع موافقته للرءوس
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة فى ايجاب العبادة والتشديد فى الزامها ان التقوى مصاص
امر العابد ومنتهى جهده فاذا الزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة جمعى طلب

لعلكم تتقون

فى معنا بالحقيقى وبجعله حال من ضمير اعبدوا اى كائنة قبل اعبدوا ربكم راجين للانتظام فى زمرة المتقين فيفاير
ما مر فى الوجه الاول والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التى هى التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل
ما يشغل سره عن مراقبته وهى اقصى غايات العبادة التى يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام الفوز بكل خير
بين انه والاثبات عليه يرجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتى التوقى عن العذاب المخلد والتجنب
عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر فى تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفى المفعول الماضى
التقديم من قوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا فى ايجاب العبادة
وفى التأخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه
بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اى خلقكم وايا هم حال كونكم جميعا بحيث
يرجو منكم كل راج ان تتقوا فان سمتى دعاء لما بشرهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الآفاقية و
الانفسية كائنا حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا الا محالة وهذه محالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء
قطعا واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس
مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة فى الانفس والآفاق مما يقتضى بذلك قضاء
متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اصلهم اضهم لما انه اقوى شهادة وادل
دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذى جعل لكم الارض فراشا وهو فى محل النصب على انه صفة ثانية لربكم
موضحة او ماوحة او على تقدير اعنى او امدح او فى محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا او قال ابن مالك
التزم حذف الفعل فى المنصوب على المدح اشعارا بانه اثر ايكاف المنادى وحذف المبتدا فى المرفوع اجراء
لوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا اخبره فلا يجعلوا كما قيل فيستدعى ان يكون مناط النهى ما فى حيز الصلة
فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل فى ذلك مع كونه اعظم شانا واجل خطرا
والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الحال على الحالية وظرف متعلق به على التقديرين و
تقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس
عند تأخر ما حقه التقديم لاسيما بعد الاشعار بمنفعة تبقى مترقبة له فيتمكن له بها عند وروده عليها فضل تمكن
او لما فى المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاذب اطراف نظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل
بعضها بارزا من غامر اقتضاها طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها
والنوم فيها كالبساط الممهد وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها
مصححة لاقرارها وقرئ بساطا ومهادا والسماء بناء عطف على مفعولى الذى جعل بتقديم الثانى على الاول
حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اى جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس
يطلق على الواحد وعلى المتعدد او جمع سماءة او سماوة والبناء فى الاصل مصدر سمى به المبنى بناء كان او قبة
او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا اذا تزوج احداهن ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ما
عطف على جعل اى انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روى ذلك عن على رضى الله عنه
والمراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار فى موقع الاضمار وهو على الاولين للزيادة التقرير ومن للابتداء
الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اى كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة ولما تقدم ظرف

السماء بناء جسم

على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول الصريح فاقال ان السماء اصله ومبداوه واما ما من التشويق اليه
مع مافيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اى بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع
في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار اوبان اجرى عادته بافاضة
صور الثمار وكيفياتها المختلفة على المادة الممتزجة من نحو وان كان جميع ما يثمر في تحقيقه قدرته تعالى ومشيته
فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مباد ومواد كما ابدع نفوس العباد والاسباب لكن عز وجل في ان
منقلبة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجد دلائل على الابصار عبرا وتزيد طمانينة الى عظيم
قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرج به ثمرات ولو قوعها بين منكرين الحي
تعالى ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم
ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل ثمر رزق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول
به لمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات
مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق واما بناء ورود الثمرات دون الثمار
مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على
التوحيد اولان المجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى ثم نركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلثة قروا
ولانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى مرزوق
اى رزقا كائنا لكم او لمنافعكم على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا لاباكم فلا تجعلوا لله
اندادا اما متعلق بالامر الذي ترتب عليه كانه قيل اذا مر تم بعبادة من هذه اثاره من حيث تفرد بهذه النعوت
الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا واما قيل اندادا باعتبار الواقع لا الان مدار النهي هو جعيته
وقرئ ندا واوقع اسم تحليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفة وتعليل الحكم بوصف
الالوهية التي عليها يدور امر التوحيد والاستحالة الشركة والايذان باستتباعها لشر الصفات واما معطوف
عليه كانه قيل لا تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي
او الانتهاء اولان ما ذكر النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه مخصوصا به
والاظهر ان موضع الاضمار بالامر انفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر وبايا ان ذلك فيما يكون الاول
سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بفعل مضمر
في طلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى الله موسى اي فتفكروا لتنقوا وتخافوا عقابه فلا تشركوا به
بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تسببه لعلم في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو الفرد
بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل لكم على تقدير رفعه على المدح اي مريدي خلقكم بهذه
الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه دليل على مرجوحية الامر من لزوم كون خلقهم وخلق اصلا فهم بمعزل من مناسبة
النهي مع عراقتها فيها وقيل هو خبر لا مقول تاويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم تخصيص الذي لا يرى الا نقص
في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كقولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوي من ندني
او نفر وناد وده خالفته فنص مخالف المماثل بالذات كما خص صاوي بالمماثلة في مقدار وشبيه ما يعبده المشركون
من دون الله انداد اوحى لانهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في استحقاقه لما انهم ما تركوا عبادته تعالى

الى عباد نها وسموها آلهة بهت حالهم حاكم من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باكس
من عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فنهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا انداد الذي يستحيل ان يكون له ند واحد و
في ذلك فاكر موحد طجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل ارباب واحدا ام الف رب اوبين اذا تقسمت الامور تركت الآلهة
والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير ودولة تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بقصد التقييد لما افاده النهي
من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا اذ لك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه
وحالكم انكم من اهل العلم ومعرفة بدقايق الامور واصابة الراي او مقدرا حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون
بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في
قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلك من شيء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه
هذا هو الذي يسند عليه عموم خطاب النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم للاتخاذ والانتهاء كما هو مطلوب من
من الكفرة والثبات عليه كما هو شان المؤمنين جميعا مرتبة في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي
فيستدعي تخصيص خطاب الكفرة لامحالة اذ لا يتاتى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف
للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالم
بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم خطاب للمؤمنين ايضا
فقد نأى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام
بين الشتات والتيام اذ لا يحيد في آية التحدي من توجيد خطاب وتخصيصه بالكفرة لامحالة مع ما فيه من ربا بحمل
المؤمنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان باتهم مستمرون على الطاعة والعبادة حتما
مرتفع صدور السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري وفتح سوي لا يعضل من فتح به
ولا يذل من ثبت قدمه عليه وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي
من جملته ما تلى من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل عن عند الله عز وجل على رسوله
عليه السلام كان ما ذكر فيها من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع
السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها تنزاهته عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه
بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما لتهكم بهم
بتمكين صدورهم عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من تعكبره والعناد هو الارتياب في شانه واما بحمل ذكر
تخارج من دائرة الاحتمال كان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا فكيف الوقوع
واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها واما لم يقل وان
ارتبتم فيما نزلنا لما اشير اليه فيما سلف من مبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حتى
تعلق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهة العالية واعتبار استقرارهم فيه و
احاطتهم به لا في اعتبار ضعفه وقلته بالاان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في
مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب فيحتاج دفعه الى
ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وتنكير ريب
كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وعلا و

ابتداء الستر بالمنبئ عن التدريج على مطلق الانزال المذكر منه ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان
وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا انزاله سببا وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كأنه
قيل ان ارتبتم في شان ما نزلناه على محمد وتدريج مهما تلوا انتم مثل نوبته فذة من نوعه وبخ فرد من نوعه فانه
ايسر عليكم من ان تنيلوا جملة واحدة ويتحدى بالكل وبهذا كاترى غاية ما يكون في التبكيت وازاحة العلل وفي
ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضميره جلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به مزيد
وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان
بان الارتياب فيه ارتياب في المنزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله
للتعجيز والقاء الحجة كما في قوله تعالى فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وكتبيته الارتياب لتحريرا او الاتيان بالمامور به
للاشعار بانه عبارة عن حصر مرهم المذكور فانه كسبب لاول مطلقا وكناية على تقدير الصدق كانه قيل ان كان
الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فانتم كمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من
القران العظيم المترجمة واقلها ثلث ايات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من حروف مقروءة
محوزة على حيالها او بحيوية على فنون رائقة من العلوم حتوا سور حمدية على ما مضى او من السورة التي هي الرتبة
كما في ولرمط حراب وقد سورة في المجد يس غيرها بمطار فان سورة القران مع كونها في انفسها رتبا من حيث
الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها
القاري شيئا فشيئا وتبوا وواوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله
بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير للمنزل اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة
والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية بوهم ان له مثلا تحققا قد اريد
بتعجيزهم عن الاتيان ببعضه كأنه قيل فاتوا ببعض ما هو مثله فلا يفهم منه كون تمامثله من تتمة المعجز عرضة فضلا
عن كونها مدار التعجيز مع انه المراد وبناء الامر على تحميل اراء معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لبث القيل
مثل هذا او على التهكم بهم بانهم ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويته
ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما مر اي الا فاتوا بسورة مثله كعشر سور مثله وقيل الى ابتدائية
فالضمير للمنزل عليه حتما لا ان رجوع الى المنزل بوهم ان له مثلا تحققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء
منه وقد عرفت حاله بخلاف رجوعه الا المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية بهون
تطرق الريب بجملته خلا ان تخصيص التحدي بفرد ما ركبه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمامور به
على العجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي عكرا
المنزل عما فصل من النعوت الموجبة للاستحالة وجرد مثله فاين هذا من تحدي ذاته جه وامرهم بان يجتمعوا
في حلبة المعارضة بجليلهم ورجلهم جسما يتطرق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله وتبعا وتوا على الاتيان
بقدر يسير عاثل في صفات الكمال ما اتى بجملته واحد من انبا جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او
القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من شيء يقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه فاستعير
للتفاوت في الاحوال والرتب فيقال زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد
وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الآخر فجرى مجرى اداة الاستثناء

والكلمة من اما متعلقة بادعوا لتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا ممتحا وزين الله تعالى لكم استظهار
من حضركم كائنا من كان او يحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشراكم الذين تفزعون اليهم
في وتعولون عليهم في المهمات او القائمون بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم المكتوبين لاستحلاف المحقوق
بتسفيد القول عند الولاة او القائمين بنصركم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى
من حكم الدعاء الاول مع اندراجه في تحضيرهم تاكيد تناوله لجميع ما عداه الا البيان باستبداده تعالى بالقدرة على
ما كلفه فان ذلك مما يوهم انهم يودعونه لكل ما يجابهم اليه واما في سائر الوجوه فلتصريح من اول الامر بانهم منه تعالى
وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات لاظهار الروعة وتربية المهابة
وقيل المعنى ادعوا من دون اوليا الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا
ان ما اتيتم به مثله ابتداء بانهم يأبون ان يرضوا لانفسهم الشهادة وهم بحيث ما هو بين الف وواحد الا استحالة وفيه انه يؤدي
بعدم شمول التحدي للاولين الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم الذين تصححون اسهم وعواكم والا شهد وا بانه سحر فالذين
الله يشهدان ما تدعيه حق فان ذلك ويدين المحق وفيه انه اريد بما يدعون حقيقته ما هم عليه من الدين الباطل
فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثليته ما اتوا به للمتحدى به مع عدم علمائه لابتداء التحدي يومئذ فقد
تقصد والمعارضة والتوابشيء شبيهه حاكم متروبين المثلية وعدمها وانهم ادعوا مستشهدين في ذلك
بالله سبحانه او عند ذلك فمن حاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى واتى لهم ذلك وما بنفض
لهم عرق والنبوا بنت شفة واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز عن امكنة او مرتبة
وقع حالا من ضمير المنى طبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي وادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى
في ادعائها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التحي وزوال التبعية عن الاصنام بالشهداء التعيين
مدار الاستظهار بها تبكيت بارز عموا من انها بمكان من الله تعالى وانها تنفعهم شفاعة لهم انهم على تحقق
فان ما هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم وقيل يا دون اليه تعالى كل خطب ملم كأنه قيل ادعوا
عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي ورطتكم فوجه الالتفات الايذان بتكاثف سخافة عقولهم حيث اثروا لهم
عبادة من لا الوهية له بجامعة بعض صفات الكمال عبادة مالا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معنى
الوضع الذي هو ادنى مكان من شيء القدامة كما في قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك
القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون نظرا لما الغوا معمولا لشهداءكم للكناية رايحة الفعل فيه من غير حاجة الى
اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة
واريد بهذا العنوان ما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وتشريح
ذلك بمعنى فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام بخطير حقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين
بان يستظهر وا في معارضة القران الذي اعجز كل منطيق بما دل من التهكم بهم مالا يوصف وكلمة من بهذا
تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانها ظرف فان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان
الفعل انما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقام كلمة من مقام احد
عادون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر ظروف المكان التي لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر
الا بمن خاصة وقيل حمراد بالشهداء استاره القوم ووجوههم فحضر دون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي ادعوا

الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به مثله تجاوزين في ذلك اولياء الله وحصلتم شهداء معاندين لهم ايذانا بانهم ايضا
لا يشهدون بذلك واتى قد يحتمل ان الله سبحانه رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما
ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ازجاء العنان والاسترداج الى الغاية التكتيت كانه قيل
تركنا الزامكم شهداء لا سبيل لهم الى احد جانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فانهم
ايضا لا يشهدون لكم حذارا من الكآبة وانقطاع حبل الشهادة البينة البطلان كيف لا واحرا لا يجاز قد يلمح من الظهور
الى حيث لم يبق الى انكاره سبيلا قطعا وفيه مامر من عدم جملائمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء
وايهام انهم تعرضوا للمعارضة والكوا شيئا احتاجوا في اثبات مثليته للمتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك
ان كنتم صادقين اى في زعمكم انه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فأتوا
بسورة من مثله بحو استلزام المقدم التالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بمقتضى
مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول ممارسة الخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب منظم
والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والايام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ودلالته على ان القدرة على الشئ من موجبات
الاتيان به ودواعي الامر به فان لم تفعلوا اى ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود
وجاوزتم في تحدكل حد معهود متشبثين بالذيول واكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم
الحاجة اليه بناء على كمال ظهوره تهاكلهم على ذلك واغاورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولا له
لما يجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سرى استقلاق المقام وهو الاتيان بان المقصود بالتكليف
هو ايقاع نفس الفعل المأمور به لا ظهارا لعجزهم عنه لاتحصيل المفعول الى المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجزاء
في الشرطية اعني الامر بايقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس
الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما
يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل واما تعلقه بمفعوله الخصوصي فهو خارج عن مدلول الفعل
المطلق وانما سيتفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها
وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا اعطى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء ويمنع يفعل المنع وعلى هذا قوله تعالى
فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ايتوني بآية كم من ايكم فانه لما كان مقصودا يوسف عليه السلام
بالامر ومرمى غرضه بالتكليف استحضار عينها من لم يكتف في الشرطية الاولى بمجرد ايجاد الحجة الى الاستشهاد والسعي في
تحقيق المأمور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا ايراد اعادته بعينه متعلقا
بمفعوله تحقيقا لمطابقة الجزاء عن مقصوده هذا وقيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة
التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما
من التلازم المصحح لانتقال بعجوته قرائن حالية فتدبر وايثار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم
فعلهم جريا على سنن اخوانهم قبل التجربة او تهكما بهم ولن تفعلوا كلمة لن تنفي المستقبل كلا خلافا ان فيها زيادة
تأكيد وتشديد وهل هما عند سيبويه كما هما عند الخليل الا ان وعند الفراء لا البتة وعند سيبويه حرف مقتضب بمعنى حقا كذا
وهي احدى الروايتين عن الخليل كما في الكشاف اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها وموكد لايجاب العمل بمآلها
وهذا معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشئ ولو بآية

في جملة لسان قلة الرواة خلفا عن سلف فاتقوا النار جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد
اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو محقق فاحترزوا من انكار كونه
منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة
النار وجعل الاتقاء به عين الملائمة بها للمبالغة في تهويل شأنه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير
المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على تحري تحقيق الكنى عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل
فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزوم العناد وترتب حكم الايمان به سببا لاستحقاق حكم العقاب
بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة صفة للنار مورثة لها زيادة هول وفظاعة
اعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من يحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول
كما يقال فلان مخرقوه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تمس شيأ من رطب او يابس الا احرقته
لا كغير ان الدنيا تفتقر في الالتهاب الى وقود من حطب وحشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية
كون اتصافها به امرا معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول عليه السلام
او سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير هنا الى ما سمعوه اولا او كون سورة
التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة للمخاطب
لان الموصوف عند النحاة طب فاخطب فيه بين فاما ان الذي طب هناك المؤمنون فظاهر انهم سمعوا ذلك من الرسول عليه السلام
والمراد بالحجارة الاصنام وبانالناس انفسهم حسما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية اعدت
للكافرين اى هيئت للذين كفروا بآياتنا وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار ويدخل طبيون الداخلون فيهم
دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل حكم بكونهم كافرين وقرئ اعتدت من العتاد
بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن وجملة استيناف لا محل لها من الاعراب مقررة
لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجابه العمل به ومبينة لمن اريد بالناس رافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد
من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينها بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف
وبشر الذين آمنوا اى بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على جملة ان كنتم لكن لا على ان المقصود عطف
نفس الامر حتى يطلب له مثال يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة
الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من تتبع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان
تغيير السبك بتجهيل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على
اعدت فيكون استيناف وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح
لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم الا بقة فضلا عن ان يقتضيا ثوابا فيما يقبل بل لجعل الشارع
ومقتضى وعده وجعل صلة فعل مفيد اللحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل حث المخاطبين بالاتقاء
على احداث الايمان وتحذيرهم من الاصرار على الكفر وتحظيا للنبي عليه السلام وقيل الكل من تتمة كلام النبي صلى الله عليه وسلم
قوله عليه السلام بشر المشائين في الظلم الى المساجد في ظلم الليل بالنور التام يوم القيمة فانه عليه السلام لم يأمر بذلك واحدا
بعينه بل كل احد ممن يتأتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شأنه حقيق بان يتولى التبشير به كل
من يقدر عليه والبشارة بالخير الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه وحلوا الصالحات

الصالحة كما طفحت في بحر بان يجري الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل النقل والعقل واللام للجنس وجمع باعتبار ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة الى اثنى عشر الى انتهائها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مراتب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأساس لا بناء به ان ايمانا منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن وجنة هي كمرة من مصدر جنه اذا ستره على النخل والشجر المكاثف المظلل بالتفاف اغصانه فاكرنهير كمان عيسى في غير بلى مقتلة من كمر اذا فسح تسقى حنة سحقا اى نخلا طوالا كانها لغرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة تفل السرة وعلى الارض وات الشجر فاكل الفراديس ما فيه التخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ح ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول واغا سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الفرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها تجري من تحتها الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر بصح لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود والوجه في الانهار كلها ان يخلق الله تعالى في قرار كل قطعة من تلك القطعة ما يقتضي جريان الماء فيه كالانحدار والتيامن والعنب او عوض عن مضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ما وبها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاز بالاقتضاء وقد اكتفى ايها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتمتعين بها وخبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصفت بجنات بادر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا جنين حالها وكلما منصوب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية متعلقان بمحذوف وقع حالا كانه قيل كلما رزقوا مرزوقا مبتدا من جنات مبتدا من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدا من جنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدا من ثمرة فصاحب حال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في حال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على الموجود معينا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل اى من قبل هذا في الدنيا وكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المالوف منفرة عن غير معروف وليتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه بحسب الصور كما يجيء عن الحسن رضي الله عنه ان احدهم يؤتى بالصفحة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الاولى فيقول في ذلك شيء فيقول الملك كل فالون واحد

والطعم مختلف او كما روي عنه عليه السلام قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لبكما فما يأتي وصل الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لما فقه عموم كلما فانه يدل على تردد هم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى بظاهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقنا في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والبهجة لا لبيان ان لا شبه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسم مشروط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من الثمار والطعام متفاوتة تفاوتا حقا فيجوز ان يريد بهذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من قبل ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان في الجنة وما فيها من فنون الكرامات ما من قبيل الثواب والاولى بها اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع لما دل عليه مجموع الكلام تمام رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسي الغني والفقير وعلى التعاليل الرزق والهم فيها ازواج مطهرة اى مما نعرفه نحن في الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان النظهر يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال لنا فعلت وتفعلت وهن فاعلة وفواعل قال واذا الفدارى بالرحال تصفقت واستنجت خبب الفدور فملت فاجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى مطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة لان معنى مطهرات طهرن وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبيل النفس ما كعند الغانيات رهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه بحيث لا ينفك عنه في مفهومه اعتبار التوالد حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلوهم فيها وعن الاولاد كما ان حمدا ريه لبقاء الفرد ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اى دائمون وخلود في الاصل الثبات المديد دام اولم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد والذي بقي من الانس على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتابيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولا استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يقتضي به من الايات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الاعتلال والانفكاك مدارة فيكون العالم الكامل مما يجاب بهذه في عالم الكون والفساد وعلى انه يجوز ان يعيد الله تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يتغير بها الاعتلال قطعا بان يجعل اجزاؤها متفاوتة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الآخر متفاعلة متعازرة لا ينفك بعض عن بعض ويبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا لا يتغير بها التغير بالاكل والشرب ونحوهما وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات جسمية لما كان مقصورا على المآكل والمطاعم ونحوها حسبما يقتضيه الاستقراء وكان حلال جميع ذلك الحدود والشاذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال وعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم شبه سبحانه بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لما ارضيك وشبثنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعترضهم من جهته عادة فيه من ضرب الامثال وبيان حكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي ومقام الحجر

واوهم كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رض لما فقئت عين الطفيل وذهب بالغار والظلم والرعد والبرق وقالوا اللهم اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رضي ان هذا الطعن كان المشركين وروى عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء قالت اليهود اى قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تميزة ان ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن التكبير بل هو من ادنى ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير احد المعنيين بهيئة الآخر ليس لاحد الوهم واستشراف العقل واستعصاء عليه في ادراك الحقايق مخفية وجهم الدقايق الا وهي كما تتبعه فيما يقتضيه وتتابعه الى ما يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء وانشارات الحكماء ومن فضيلة وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل يتمثل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الايجاز على الصدر بالنحلة ومعارضة السفساف بالمزنابير وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من فراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر وحيا تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي واستحقاقه من حيوة استحقاق شظى ونسى وحشي من الشظا والنأي وحش يقال شظى الفرس ونسى وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعطاء كان من تغير الحيا بتعلل قوته حيوانية وتنقص واستحيى بمعناه خلا انه ينعدى بنفسه وبحرف جر يقال استحيته واستحييت منه والاول لا ينعدى الا بحرف جر وقد يحذف منه احدى الياءين ومنه قوله لا يستحي منا الملوك وتبقى محارمنا لا يبقو الدم بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يمرض نفسه كرر عن سببية في انا ان تكرر فكما اسند اليه سبحانه بطريق الايجاز في مثل قوله عليه السلام ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يريد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في تحقيق تبيين الكريم ترك تعذيب ذي الشيبة وتجنيب العبد من عطائه ترك ما تيسر كهما حيا كذلك اذا نفى عنه تعالى في المواد الخاصة كما هو في هذه الآية الشريفة وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يريد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه لاسلب وصف الحيا عنه تعالى راسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحيا لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شانه تعالى في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه امر الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتاخذ البواعث اليه اذ الاستحيا انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة الملكة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشيا المحقرة كما في قول من قال من سبلغ افنائي بكلها اتى بنيت بجار قبل المنزل وضرب المثل استعارة في مضربه وتطبيقه به لاصنعه واتخاذه في نفسه والا كان اتيا الامثال الكثيرة في موارد ضربها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الاتي ههنا كما في والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين اتيانها في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس الا بالاعتبار الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب خيام بجامع التطبيق كما ان ضربه بتطبيقه بفعاليه كذلك استعمال الامثال في مضاربها بتطبيقها بها كما ان المضارب قوالب تضرب الامثال على كلها لكن لا بمعنى انها تنشا

استعمال الحيا

بحسبها بعد ان لم يكن كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها حين كعاية الامثال التي تليت فان مضاربها قوالبها او قبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الآن تطبيقها اى ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب والمراد من ضرب الطين على الحجار ليلتزق به بجامع الالصاق كان من ستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها شدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعدية يستحيي بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض بالضمير وعند سيبويه النصب بافضا الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب واما اسمه ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم النكرة ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال اى مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوز ذلك في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولا له لتضمنه معنى جعل وتصيير وقرى بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى هو بعوضة وجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة العائد كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انها مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كما انه ما روا استبعدوا ضرب المثل فيما بعوضة واى مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل كره تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر جثة حيا على ما وقع في قوله عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض نعول من بعض وهو قطع كالبضع والعضب على هذا النوع كما طرش في لغة هذيل من خمش وهو الحدش فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرا اعني بعوضة لما على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حقيق لان يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره وينوه بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المبغى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم وجثته لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى تقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية وجعل ان الله تعالى لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريده ويظهره في احتمال الامر من ما روى ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فماتت عائشة رضي الله عنها حين ذكرها وذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة بقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كما مثال ما حكي من حجر ور فاما الذين امنوا شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من حكم اثر تحقيق حقيقة صدوره عنه تعالى والفا للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه قيل فضربه فاما الذين آمنوا الخ وتقديم بيان حال المحق على بيان حال المبطل للايذان بكمال العناية بامر المحقين لما ان حال المبطل من حيث انها حال مبطل لا يستقل بالافادة والمراد بالايمان ما يعم الايمان بالله تعالى وبما يجب الايمان به من الامور الدينية ابتداء وبقاء فان كلا منهما مما يتجدد حينا فحينا ويتزايد بحسب تزايد الاسباب الموجبة له

امر المؤمنين وذم الكفرة على ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شئ ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته تركيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاجمال فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها
كما في قوله عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها جزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها في خبر
وخولف المبتدا عن الشرط تفننا وحمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كان المراد بالموصول الآتي فريق
الكفرة لامن يؤمن بعض المنزل ومن يكفر به لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون فيعلمون انه الحق من ربهم
كسائر ما ورد منه تعالى وحق هو الثابت الذي يحق بثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا
الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية التي
وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العايد الى المثل اولى ضربه اي كائنا او
صادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم ولما يذان بان ضرب المثل
تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللايق بهم وجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور
ومسد مفعول الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم
المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا ايذانا
بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره المغني عن الذكر واما الذين كفروا ممن حكيت اقوالهم واحوالهم
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا او يثبتون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينة دلالة على كمال
علومهم في الكفر وتمرني امرهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة الانكار والاستهزاء به
صريحا وتمهيد القواعد مما ينافي علمهم في تضاعيف جواب من الاضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من
شنائعهم المنبئة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقول ما
يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول اثر ملز للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقيل
كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن غاكان قولهم هذا دليلا واضحا على
جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتامل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة
استفهام وقعت مبتدأ اخبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعايد محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه
مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى اي شئ فالاحسن في جوابه النصب والارادة شروع التنفيس
وصلتها الفعل بحيث يحيلها اليه او العرة التي هي مبدوءة والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور
في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولا نعاك
غيره امره بها فلا يكون المعنى بارادته تعالى ليس اي حكمه باستمرار الامر على النظام الاكمل والوجه الاسلم فانه يدعو
القادر الى تحصيله وحتى انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الآخر لتخصيصه بوجه دون وجه او
بوجه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفصيل وفي كلمة هذا تحقير للمضارب به واستذال له ومثلا
نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى ناقة الله لكم آية وكيس مرادهم بهذه الغطيمة استفهامهم عن حكمة في
ضرب المثل ولا القدح في استمالهم على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه
من الزناة وتحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى استحالة ان يكون

ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قائلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة
وردّ طما لبيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية و
اضلال المتهالكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة
على تحققها فان ارادتها دون وقوعها بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة
لا بهامه تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو هتدي كروا لاهتداء
كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض
مترتب على سوء اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع
مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين
على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من جواب امر فظيعا يسوءهم ويغيظ اعضاءهم
وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين بما وتسجيل بان العلم كونه
حقا هدى وان تجهل بوجه ايراده والانكار بجنس مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر
الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما
نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية
لتكميل فائدة ضرب المثل وتبشيرها وبجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الاخرين من حيث
الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد
الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كان افعال العباد من حيث
الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى السبب باياه صحيح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به
كثير على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها وما يضل به اي
بالمثل او بضربه الا الفاسقين عطف على ما قبله وتكملة لجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم
ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو مترتب على ما كانوا عليه
من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة خروج
يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة عن جحرها اي خرجت قال رويه يذهبن في نجد وغورا غائرا
فواسقا عن قصدها جوائرا وفي الشريعة خروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الكفر
على الصغيرة وله طبقات ثلث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في
تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق
لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب
الحق وجحوده لم يتبين لهم ادخال الفاسق في احد هذين فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر ركنه كل واحد
منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين ههنا العاتون المارد ون في الكفر الخارجون عن حدوده
ممن حكى عنهم تاركي كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري
عليهم من القبايح لما يذان بان ذلك هو حدي اعدادهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق

واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حلى المثل الى حقارة الممثل حتى رسخت به جهالتهم و
ازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم
عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال
العهد كان شائعا شيئا فشيئا بالمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وشبيها به مكانه واذ قد
قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يفترف منه الناس تشبيها على انه اسد في شجاعته وبحر
في افاضته والعهد الموثق يقال عهدت اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد هنا اما العهدي الماخوذ
بالعقل وهو حجة القائمة على عباده الدالة على وجوده تعالى ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه اول
قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او بمعنى الظاهر منه او ما اخوذ من حجة الرسل على
الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب
المتقادمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس
ولا يكتمونه ونظائره وقيل عهد الله تعالى ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا
على ربوبيته والثاني ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على
العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما
مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما يوثق
به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به اياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف
على الوجهين اي من بعد تحقيق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد وميثاق مصدر من المبني للفاعل
فالمعنى من بعدان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعدان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار
الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما
بتوثقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى
بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق
وترك تحاكم المفوضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما يثبت الله تعالى وبين العبد من موصلة
التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي
الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب فانه اثر
للشان وكذا يقال لكل شيء وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشية وعلى ان يوصل اما الفصل على انه بدل من الموصول او من ضميره
والتاء اما للوحدة ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور
فلك نظام العالم وصلاحه اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة
وفيه ايذان بانهم تميزوا بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة
على بعد منزلتهم في الشر وهم الخاسرون الذين خسروا بها حال العقل عن النظر والتمكن مما يفيدهم حياة
ابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها واتلاف نفوسهم في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء
النقض بالوفاء والفساد بالصلاح وتقطيعه بالصلة والعقاد بالثواب كيف يكونون بانه التفات الى الخطاب
المذكور بنحو مبني على ابراز ما عدد من قبائحهم التي بقية لتزايد السخط الموجب لتلك فجأة بالتوبيخ وتشنيع

من حيث استعارة تحمل له ما فيه من ارتباط احد طرفي
المتعاهدين بالآخر فان شفع
باطلاق ما يريد به العهد

عهد الله تعالى
ملتبسة

بميثاق

والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الله وعند رسوله بل بمعنى
انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال
أتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد
انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وكنتم امواتا الى آخر الآية حال من ضمير المخاطب في تكفرون ومؤكدة
للانكار والاستبعاد بما عدد وفيها من الشؤن العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمة
عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه
وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون به تعالى وحاله انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها
عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كما قوال جمع قيل واطلاقها على تلك
الاجسام باعتبار عدم الحياة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة فاحييناها ونفخ الارواح
فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة
بعضها مترائ عن بعض كما اشير اليه انفا ثم يميتكم اي عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة
ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التي هي الحياة والنعيم العظمى والتراخي المستفاد من كلمة
بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحياة فان زمان الاماتة غير مترائ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور
او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو مترائ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر ثم اليه ترجعون
بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للجزاء وهذه الآية
وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يشبه مقارنة شيء منها لما هو حاكم منه في الزمان لكن حالها في تحقيقه
هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المغايرة منه وقال النبي من وقوعه
مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما تنكرونه من الاحياء الاخير والرجوع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول
والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم بما يشاهدونه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل
والاعذار وبحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يعمها وبها سمي الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية
لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها حقيقة بازائها
يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال الله تعالى يحيي الارض بعد موتها اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد به تحقق اتصافه تعالى
بالعلم والقدرة الازلية لهذه القوة فيما او معنى قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول
هو الاليق بالمقام هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا تقرير للانكار وتاكيد له من حيثيتين المذكورتين غير مسبوقة
عن سبك مقابلة مع اتحاد هما في المقصود بانانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بدوارهم من الاحياء والاماتة
وحشر ادخل في تحت على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بما بينهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول
خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح للتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا لهم طيبا
وللتشويق اليه كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دينكم بالذات
او بالواسطة وامور دنيكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يليق به من
لذائذ الاطعمة وآلائها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو

ان الاموات جمع ميت
كما هو الرأي فيما سبق

سبق بحواشي ذلك

نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة
لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه
من انتظام الامالي الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما
انه ليس في العالم شيء ما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير
قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته
قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك
ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات كما روي
من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن نحس بعد خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة
الفهر عليها دخان فلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض
وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهاريته بكمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك
والاول هو الظاهر وكلمة ثم لتبايدان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدم
على خلق ما في الارض المتاخر عن دحوها عما لا مزية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وما روي عن نحس
والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو
فواهن اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لانه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك
ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو وتبدل
كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى نحس وقيل هي جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني
مبهم يفسره قوله تعالى سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتاخير ذكرهذا
الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه
لما ان المنافع المنوطة بهذه الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا
من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يخفى هذا ما قالوا وسيأتي في تحم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى
وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيهما على هذا النمط البديع المنطوي
على حكم فائقة ومصالح لائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق
بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كلا ما يخلقه على الوجه الرائق ويقرئ ويهيئ كلا لما هو له وتشبيها له بعضد
واذ قال ربك بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للاعتبار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام
وما خصه به من الكرامات السنية الحكمية من اجل النعم الواعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر و
العصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها
وتلوين للخطاب توجيها الى النبي عليه السلام خاصة ليذيان بان قرى الكلام ليس مما يهتدى اليه بادنى العقل
كالامور المشاهدة التي ينبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة اليه عليه السلام من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى و
اذ ظرف لمضمون لزمان نسبته ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كان اذا موضع لزمان نسبته مستقبلة تقع فيه اخرى
مثلها ولذلك يجب اضافتها الى الجمل وانتصابه بمضمر حري بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكر ما وللايذان بان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق
البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل
ليس انتصابه على المفعولية بل على تاويل اذكروا الحادث فيه بجذف المظروف واقامة الظرف مقامه واياما
كان فهو معطوف على مضمر آخر ينبئ عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام عجبا اوحي اليه ما خوطبت الكفرة من يوحى
الناطق بتفاصيل الامور الى قوله انزاجرة عن الكفر به تعالى وذكرهم بذلك واذكرهم هذه النعم ليتنبهوا لذلك
لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكر النعمة في خلق السموات والارض او تدبر
ذلك فغير سديد بل ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخلين بواجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه وان ذلك
من مقامه خليل عليه السلام وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويا باه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات
دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا والاخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون
الآية المتقدمة مثل وبدا خلقكم او قال لهم ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل
بخلقكم او باحياكم مضمرا وقيل ما فيه كوقيل اذ زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيد ومنعه وقيل انه بمعنى قد والام
في قوله عز قائلا للملئكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد وما في المقول من الطول غالبا لما سامع ما
فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملئكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان
الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتاكيد تانيث الجماعة واشتقاقه من ملكا ما فيه من معنى الشدة
والقوة وقيل على انه مقلوب من مالك من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر
بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس وهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليه السلام واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى
انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام
وذهب حكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في تحقيقتها وانها اكمل منها قوة واكثر علما
يجري الشمس من حضيض منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة حق وتنزيهه عن الاشعار
بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من
السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت
طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كشفهم انه عليه السلام قال اطت
السماء وحق لها ان تاط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع ذروى ان بني آدم عشر اجزاء
عشر جزء حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهولاء كلهم عشر ملئكة الارض بحر كلهم
كلهم عشر ملئكة السماء الدنيا وكل جزء عشر ملئكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملئكة
سترر عليل ثم جميع هولاء عشر ملئكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عدد ها سبعون الف طول كل سرادق
وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون طاعنده قدر محسوس وما فيه من
مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هولاء في مقابلة ملئكة
الذين يحملون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملئكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام وحملة العرش الذين

هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا ربهم العليم بخبر على ما
قال ما يعلم جنود ربك الا هو وروى انه عليه السلام حين عرج به الى السماء راى ملئكة في موضع منه زكزكة يمشي
بعضهم تجاه بعض فسال جبريل عليه السلام جبريل الى اين يذهبون فقال حبريل عليه السلام لا ادري الا اني
اراهم منذ خلقت ولا ادري واحد منهم قد رايته قبل ذلك ثم سالا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال
لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلق اربعمائة الف كوكب فسبحان
من اراه اعظم قدره وما اوسع ملكوته واختلف في ملئكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملئكة الارض وروى
الضحاك عن ابن عباس انهم المخاطبون مع ابليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة اهل حيث كانوا سكان
الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل
الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة
الجنة فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فتكبر من امره ما كان وقال
اكثر الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم انهم كل الملئكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى اني جاعل في الارض
خليفة في حيز النصب على انه مفعول قال وصيغة الفاعل هنا للمستقبل ولذلك علمت عليه وفيها ما ليس في صيغة
المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وبني من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى المفعولين تقديرا او لهما
خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره او لهما
الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدا وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم صير في الارض
فمعناه بعد التيا والتي اني جاعل خليفة من خلائف او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة
هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس بما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه
هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملئكة فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق
بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول
الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تولوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما
حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما
اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلا
بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا انما ان حمل على الحذف عند وقوع الحكي نهي واضحة
لوقوعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما سنفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما
ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند حكايته فالقرينة ماذكر
من جواب الملئكة قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا من طين
ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا البشر ولا عهد وا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم
اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفا عند
الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما حن فيه ومعه قرينة ظاهره
ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال ظرف في التعلق والتقديم
لحاضر فخ لا يكون ما سيكتاس كلام الملئكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روى انه تعالى لما قال لهم اني جاعل

في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال ان يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل
بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل
والتا للمبالغة والمراد به اما آدم وبنوه وانما اقتصر عليه استغنا بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة
بذكر ايها كمضر وثم ومنه خلافة في قريش واما من يخلف او خلف فيعم عليه السلام وغيره من خلف ذريته
والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة خلقه لكن لا
لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم بقبول الفيض بلا وسائط تحقيقا
من بينه واما خلافة ممن كان في الارض قبلهم فتعم الجميع قالوا استبعادا وقع جوابا عما عاينوا كثيرا الاذا ان
كانه قيل فما ذا قالت الملئكة في تفصيل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين
فقيل فيها ما قيل في الاول وتظاهر ان الاول كله من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام الباقي حذف
الاول ثم تعويلا على ما ذكر هنا قال قائلهم لا تخطئنا على غرائك وانا طالما قد وشى بنا الاعداء فجذف
المفعول اي لا تخطئنا جائرين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق
بيجعل وتقديمه للاهتمام والثاني بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لان في استخلاف المفسد في محل ذاك
من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من جعل بمعنى خلق المتعدي لا لمفعول واحد وهو كلمة من
وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من تحلية الخليفة بتلك الحلية
احقيتهم منه يقتضي بطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وانهم مخلوقون لامره ان يستخلف
لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطيع عن العاصي من بني نوعه الا في دوسفك حمدما وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف
ذريته الذي لا يخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بدرت عن علام الغيوب
والتماسا واستخبارا عما يزيح شبههم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الافضائل التي جعلته اهلا لذلك
كسؤال المتعلم عما يقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله تعالى والاستكشاف في استمالة على الحكم وجملة اجمالا
ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك فاذ تعالى
بر عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل
من قبل او تلقف من اللوح او باستنباط مما ركز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس الاحد الثقلين على
ويسفك الدما السفك والسفح والسبك والسكب انواع من الصب والاولان مختصان بالدم غالبا
سيما اولهما الا في الدم المحرم اي يقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك دمها للاشعار بانه افسح
انواع القتل واخطره وقرئ يسفك بضم الفا ويسفك من اسفك ويسفك وقرئ يسفك على
البنا للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك دمها فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
جملة حالية مقررة للتعجب السابق وموكدة له على طريقة قول من يحدث في خدمة مولاه وهو يامر بها غيره استخفافا
العصاة وانا نجتهد فيها كانه قيل استخلف من من شانه ذريته الف ومع وجود من ليس من شانه
ذلك اصلا والمقصود غرض حقيقتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من
الموانع لا التعجب والتفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من الشهوة التي ركزت فيها القوى الغضبية

والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا اما قالوا واذ هلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية
ومرنتهما على تخير يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها
كالاحاطة بتفاصيل احوال البحر ساحاً واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك
مما يحيط به امر خلافة الله تسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحان من سبح في
الارض والماء اذا ابعد فيها وسبح ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك نقد به الكلام من قدس في الارض
اذا ذهب فيها والبعد ويقال قدوسه اي طهر فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والبواعث لحدوث تعلقه
بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون
النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والتحميد لتذكير صفات الانعام والايام
في لك اما مزيدة وكسر نقدر كراد اما صلة للفعل كما في بحمدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فيكون متعلقه
بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل
المعنى نظهر تقوسيا عن ذنوب لاجلك كما نهم قالوا الف الذي اعظه الاشراك بالتسبيح وسفك حدما و
الذي هو تلويث النفس بما قبح جرائم بتطهير النفس عن الاثام لاتحاد جانبك ولا اظهار للكمية بل بيانا للواقع
قال استيناف كانه قيل اني اعلم ما لا تعلمون ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء اكوانا ما كان
فان ذلك حالا شبهة لهم فيه حتى تنكيره والى التنبيه عليه لاسيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه حكما مستدعية
لاستخلافه او هو الذي خفي عليهم ونبهوا عليه بانواع من التعجب والاستبعاد مما هو موصولة كانت او موصوفة عبارة
عن تلك الحكما وضميري اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي استخلافه فيه وانما لم يقتصر على بيانها تحقيقها فيه عليه السلام بان يقول
مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تنبيها لهم على انه وابدا نا بانتفاء امره تعالى
على العلم الرجحين وحكمه المتقنة وصدور قولهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه
ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه حسن
وحكمة وانت جبر بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك مل قبل ويكون تعجبهم مبنيا على تردداتهم في استمال هذا
الفعل حكمة ما وذلك حالا يليق بهم فانهم عالمون بان ذلك يتضمن حكمة ما ولكنهم مترددون في انها
ماذا اهل هو امر راجع الى محض حكمه الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا
على وجه الاجمال والابهام ان فيه خصائص غائبة عنهم تستتبع فوائد جمة عائدة اليهم ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه
جهرة وينظروا لهم بديع صنعه وحكمته وتبين اخ شبههم بالكلية وعلم آدم الاسما كلها شروع في تفصيل
ما جرى بعد جواب الاجمالي تحقيقا للمخوض فيه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتدا بالحكاية للتعليم مثل
بظاهره على ان ما مر من مقاولة الملكة انما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملكة
على احواله عليهم السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة فقيل كما اشير اليه وايراده عليه السلام
باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد باخليفة ولان ذكره بعنوان خلافته لاحقا تمهيد مبادئها وهو اما
اعجمي والاوجب ان وزنه فاعل كشالح وعاذر وعابر وفالغ لافعل والتصدي لاشتقاقه من الادمة او
الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من ادم الارض بنا على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه تعالى قبض قبضة من جميع
الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلف الوان ذرية او من الادم والادمة بمعنى الالفة بخلاف

كالاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق
ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في
اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال
على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ
من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بالمخلوف عنه
ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما
في تفسير الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام والانبا فانهما انما يتوقفان على سماع المخبر الذي ليس فيه
البشر والملك وبه يظهر احقية ابائهم عنهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة لاحاطة بتفاصيل احوال
الجواهر البسائط الجسمانية خبرا فضلا عن تعليم كما اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده حاضرا وريا تفصيلا
باسما جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وذاك
كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال هو جوداً فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه
استعداده ويستدعيه قابليته المتقررة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وغرائز متفاوتة
قال ابن عباس رضي الله عنهما وحكيمة وقتادة ومجاهد وابن جبير علمه اسما جميع الاشياء حتى الفصعة والفصيعة
وحتى الجفنة والمحلب والمخ منفعة كل شيء الى الجبة وقيل اسما ما كان وما سيكون الى يوم القيامة وقيل معنى
قوله تعالى وعلم آدم الاسما خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات
والمحسوسات والمخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها وصور العلم
وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من تخاطبها وله قبل خلقه عليه السلام
وقبل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه
ثم عرضهم على الملكة الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما مر في قوله تعالى واستعمل الراكب شيئا والتذكير
لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها على تحريت انه تعالى عرضهم
امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال النوع وحكامه
فقال انبئوني باسماء هؤلاء بتبكيتها ايهم واظهار العجز عن الاتيان بما علموا به رجحانهم من امر الخلافة فان
التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء
اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه واياره على الاخبار للايذان برفعة
شان الاسماء وعظم خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين اي في
زعمكم انكم احقاء باظلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار
منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء
ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء وليس
بمقتضى المقام وان اول بان تقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد وسفك الدماء من غير
ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بالمرهم بالانبا او جواب الشرط بحذوف لدلالة المذكور عليه قالوا
استيناف واقع موقع جواب كانه قيل فاذا قالوا حين عجز عن عهدته ما خلقوه او لا فقيل قالوا سبحانك

قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جا غير مضاف على الشذوذ غير منصرف للتعريف والالف والنون
المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما ما في قوله سبحانا ثم سبحانا يعود له فقيل صرفه
للضرورة وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك
الاقدس من الامور التي من جملتها خلقوا فعالك من تحكم ومصالح وعلى انه تسبيحا نشأ عن
طمانينة النفس والايقان باشتمال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الاول تسبيحا نشأ
عن ذلك تنزيها نشأ عن وانك دار اد وانه انهم قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام
يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه خلافة وقولهم عن وعلا لا علم لنا الا ما علمتنا
اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتناه بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا
ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعداداتنا لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في ما علمتنا
موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه مبالغة حيث لم يقتصروا
على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لها بما لم يجعلوه منهم واشعروا بان كونه من تلك الجملة يغني عن
البيان انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تخصيصهم بقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون تحكيم
اي المحكم لمصنوعاته التي على ما هي عليها حسبما يقتضيه حكمة ومصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة كما اول وانت ضمير
الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء او بما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد
للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من
قصورهم بما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل
المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما لم نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض
من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة تحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه حكمة ومن جملته تعليم ادم عليه السلام ما هو
قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبنا وام الخلافة عليها فالك
استيناف كما سلف يا ادم انبئهم اي اعلمهم اثر علي انبئي كما وقع في امر الملائكة مع حصول المراد معه ايضا وهو
ظهور فضل آدم عليهم ابانة لما بين الامرين من التفاوت تجلي وايذانا بان علية عليه السلام بها امر واضح غير محتاج
الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة يا ووحد ضميرها ايضا و
الهاء مكسورة فيهما باسمائهم التي عجزوا عن علمها واعترفوا بقصورهم عن بلوغ مرتبتها فلما انبأهم باسمائهم
الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف تقتضيه المقام ومسحب عليه الكلام كما يذان بتقرره وغناه
عن الذكر والاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه ايكم ياتيني
قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام
انبأهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانبأهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه
واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك بما رأوا انه عليه السلام لم يتعلمه في شئ من التفاصيل الهيئي
ذكر مع ساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والملائمات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق
مقالته عليه السلام فلما انبأهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما ظهر من عجزهم الاجمالي واستحضارا له الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات والارض لكن لا للتقرير نفسه كما في قوله تعالى الم نعدكم ربكم وعدا حسنا وتقاريره غير مقرر

ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في ادم عليه السلام وظهور مصداقه وايراد ما لا يعلمون بعنوان
الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه تعالى محيط وغاية سعته مع
الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليهم السلام من الامور الخفية المتعلقة باهل السموات واهل الارض
وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم
فيه من دواعي خلافة ما لا تعلمونه فيها هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها
اي اعلم ما تبدونه وما كنتموه وتغيير الاسلوب لما ليذان باستمرار علمهم فيما مضى وفيما يستقبل المراد بما تبدون قولهم اتجعل
فيها الخ وبما كنتموه استبطانهم انهم احقاء بالخلافة والاولى ان يقال المراد بما تبدون قولهم اتجعل
فيها الخ وبما كنتموه استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا على خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق
آدم عليه السلام رات الملئكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء الله فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل
هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناه والكتمان الى الجميع من قبيل قولهم قتل فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم فاكونوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان وشرف العلم و
فضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق
المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان التعلم توقيفية او الاسماء تدل على الالفاظ بخصوصها
او عمومها وتعليم ما في معرفة القائها على المتعلم بمثاله معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو
الا من الله تعالى وان مفهوم تحكيم زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملئكة وكذا الانبياء
تقبل الزيادة وتحكمها ممنوع وذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قولهم تعالى وما منا الا له مقام
معلوم وان آدم عليه السلام افضل من هولاء الملئكة لانه اعلم منهم وانه تعالى علم الاسماء قبل حدوثها
واذ ظرف للملئكة عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على
ناصبه عطف قصة على قصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت
قولنا لهم وقد عرفت ما في اضافته وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على نهاج
ما قبله من الاقوال المحكية به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير
على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال و
كذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرور ما على المفعول للكبر وقرئ
بضم تا الملئكة اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا
لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة تخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض
على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله
وادائا لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في حقه وقيل امروا بالسجود لله تعالى وآدم قبلة كما في قوله
سجودهم تفخيما شانه وتعظيما لمكانه تعالى كما يراه وتوجه جالكعبة كلها وشتان هو منوط بما تعلق
العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجها على غط بديع امرهم بالسجود له تعالى كما عاينوا من عظم قدرته
فالام فيه كما في قول من قال الم يصلوا ايها الناس فاعرفوا الفضل لذي الفضل واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى
اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل فسجدوا عطف على قلنا والفاء فادة

صح التعليم على الله تعالى
واصح المعلم

سارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم فى ذلك روى عن وهب ان اول من سجد جبرئيل ثم ميكائيل ثم
اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملئكة عليهم السلام وقوله تعالى الا ابليس استثناء متصل لما انه كان
جنيا مفردا معمورا باكوف من جملتهم متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى قوله فسجد وا ثم استثنى استثناء
واحد منهم اولان من الملئكة جنا يتوالدون يقال لهم جن كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
وهو منهم اولان جن ايضا كانوا مامورين بالسجود وله لكن استثنى بذكر الملائكة عن ذكرهم
ومنقطع وهو اسم العجمى ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه
شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمى واعلم ان الذى يقتضيه هذه الاية الكريمة
والتى فى سورة الاعراف من قوله تعالى قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الاية والتى فى سورة
بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الاية
ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التسخيرى الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح
به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الكوبوع الذى به ورد الامر التعليقى ولكن ما فى سورة
الحجر من قوله عز وعلا واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته
ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملئكة كلهم اجمعون وما فى صورة ص من قوله تعالى
اذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين الى الاية يستدعيان بظاهرهما ترتيبه على ما فيهما من الامر
التعليقى من غير ان يتوسط بينهما شئ غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من تخلق والتسوية ونفخ الروح فيه
وقد روى عن وهب انه كان بين السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير وناهيك بالاتات الى نقله بحارا فيها
من الامر على حكاية الامر التعليقى بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه حينئذ يكون فى حكم التسخيرى باياه ما فى سورة
الاعراف من كلمة ثم المنادية بتأخر ورود الامر عن التصوير المتأخر عن خلق المتأخر عن الامر
التعليقى والاعتذار بحمل الترتى على الرتبى او التراخى فى الاخبار او بان الامر التعليقى فصل تحقق
المعلق به لما كان فى عدم ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث بعد حصوله تخلى على صورة
التسخيرى يؤدى بعد الليتيا والتى الا ان ما جرى بينه وبينهم عليه السلام فى شأن خلافته وما قالوا فيه وما
سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج ابليس من البين بالمرة
المؤيد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهيهات الاخرق لقضية العقل والنقل والالتجاء
فى التفصى عنه الا ناويل نفخ الروح بحلية على ما يعم افاضته مما به حيوة النفوس التى من جملتها تعليم الاسماء
تعسف ينبئ عن ضيق المجال فالذى يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظم الانيق بعد التنصيص فى سائر
الكتب الكنون والتنصيص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التسخيرى
المتفرع على ظهور فضله عليه السلام المبنى على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك
فى سلك ما نيط به الامر التعليقى من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب
نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بنص فى وجوب وقوع معمول مجزاه عقيب وجود
الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعى عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودى للصلوة من يوم
الجمعة فاسعوا الاية وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقب الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا

الصلوة

الصلوة بل الى الوجوب عند دخول الوقت كيف لا وحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقى
آثر ذى اثير انما حمل الملائكة عليهم السلام على التأمل فى شأنه عليه السلام ليتدبروا فى احواله اطرا ويحيطوا
بما لديه خبرا وسيقوا ما عسى سيتهم عليهم فى ايراده عن لا تبنانه على حكم ايته واسرار خفيه طويت عن علومهم
ويقفوا على علية محل قبل ورود الامر التسخيرى وحكم الامتثال وقد قالوا بحسب ذلك ما قالوا وعاينوا ما
عاينوا وعدم نظم الامر التسخيرى فى سلك الامور المذكورة فى السورتين عند حكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه
عند وقوع المحكى كما ان عدم ذكر الامر التعليقى عند حكاية الامر التسخيرى فى السور الكريمة المذكورة لا يوجب عدم
مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام
ليست بعزيزة فى الكتاب العزيز وناهيك بما نقل فى توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة
بذلك وحيث صير اليه مع انه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به فى مواضع عديدة فلعله قد كفى
اليهم ابتداء اجمع ما يتوقف عليه الامر التسخيرى اجمالا بان قيل مثلا انى خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه
خليفة فى الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وبينت لكم شانه فقعوا له ساجدين فعلمه
فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا والقى اليهم خبر خلافته بعد تحقق الشرائط المعدودة
بان قيل اثر نفخ الروح فيه الى جاعل هذا خليفة فى الارض فهناك ذكروا فى حقه عليه السلام ما ذكروا فى ايدة الله عز وجل
بتعليم الاسماء اف هد وامنه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التسخيرى اعنى اثبتن المامور به وتعيينا
لوقته وقد حكى بعض الامور فى بعض المواطن وبعضها اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى موطن آخر
والذى يجسر عليه الاستشهاد ان ما فى سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملئكة بدل من قوله تعالى اذ يختصمون
فيما تليه من قوله تعالى ما كان لى من علم بالملا الاعلى او يختصمون اى بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملا الاعلى
الملئكة وآدم وابليس جميعا اطبق عليه جمهور الامة وباختصامهم ما جرى بينهم فى شان خلافة آدم عليه السلام
من التقاول الذى من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البداية وقوع الاختصام
فى تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقى وما علق به من تخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب
عليه من سجود الملئكة وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين ملئكة وما جرى بعده من الاقوال
والافعال وابليس تمام الاختصام بعد سجود ملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من
احد مختصمين كما انه ليس فيما خلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل
السجود حتما باحد طريقين والله سبحانه اعلم بحصة الامر الى واستكبر استيناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم
من الاستثناء وانه لم يكن للتردد او للتأمل او الاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من
غيره والاستكبار طلب ذلك بالتبع اى امتنع عما امر به واستكبر عن ان يعظمه او يتخذه وصلة فى عبادة ربه
وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه للظهور ووضوح اثره واقتصر فى سورة ص على ذكر الاستكبار
اكتفاء به فى سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل الى ان يكون مع الساجدين وكان من الكافرين اى فى
علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما فصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن
امر ربه فاجلة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستصحاب امره تعالى اياه
بالسجود لآدم زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه

حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب جحده
فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان محض الاباء والاستكبار كفر لا انها سببية
كما يفيده الفاء وقلنا شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى منه تعالى وبين
الملئكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره
اختصارا اتكالا على ما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملئكة ولا يقدح في ذلك اختلافهما فان مراد
بالزمان المدلول عليه بكلة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا
تذكير لنعمة اخرى موجبة لشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
للتنبيه على الاهتمام بتلقي الامور به وتخصيص اصل الخطاب به عليه السلام لما بينهما من المباشرة في مبدء امورهما و
اسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير الدلالة يستكن
ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناس من
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما
كان معه من يستانس فالقى الله تعالى عليه سنة نوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق
حواء منه فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن
الي فقال الملئكة تجربة له عليه السلام من هذه قال امراة قال لم سميت مراة قال لانها من المرء اخذت
فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من شئ حي وروى عن ابن عباس قال بعث
الله تعالى جندا من الملئكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما
الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل
هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم وخلا الاهباط على النقل
منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا الما ان خلقهم عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه
القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر للتذكير بالنعمة وانه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار
الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء لان بقية قد بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى
السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل محمل والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع
وكلا منها اي من ثمارها وانما وجه بحظ اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار
وايذانا بانه يجامع المباشرة المامور بها فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف الكينونة فانها تابعة لقيد
رغدا صفة للمصدر اي اكلا رغدا اي واسعا رافها حيث شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى
اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه هو منتهى السعة المبالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا
بعض المواضع مجاملة لهما كولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعاه بقوله تعالى ولا تقربا بفتح
الراء من قربت الشئ بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتوضعت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب
قربا اي دنا وقربته قربانا دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويل
المشتق اي هذه المحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل
ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى

عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتا اقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء
فتكونا من الظالمين مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب النهي واما ما كان فالقرب اي
الاكل منها بسبب كونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بتعريضها
ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى فازلهما الشيطان عنها اي اصدر زلتهما اي ركبهما و
حملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري وازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا وهب عنك وبعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان
الازلال اي الازلاق لا يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله فاهبطوا بعضكم لبعض عدو
لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني
لكما لمن الناصحين وهذه الايات مشعرة بانه عليه السلام لم يؤمر بشئ بعينه على وجه يكون الامر به على وجه التكليف
والتشريف لما قدر من خلافه الارض الى حين البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليها بعد ما قيل له
اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على وجه الكرامة كما يدخل الملئكة ولم يمنع من الدخول
للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة
وقيل دخل في فم الحية فدخل معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه
اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بتعاظم امرها وجلالتها وصلابتها له اي من المكان
العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا اصله اهبطن لادم
وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع ضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية
والابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها سارقا او اهبطوا من السماء وقرئ
بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض فضيلته
او استيناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر
كالقبول وتكم في الارض التي هي محل الاهباط وحظ متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار
مستقرا اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين الموت حين تموت
على ان المعنى تمتع كل فرد من ضمني طابين او الفيه على انه تمتع يخص في ضمن بعض الافراد وجملة ما تفيدها
في كونها حالا اي مستقرين ومتمتعين او استقر وا واستمتعوا فتلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ
والقبول والعمل بها حين علمها او وفق لطلبها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته و
بلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك تباركت اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال اي رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم يسبق رحمتك غضبك قال بلى
قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة
على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط فتلقى المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
اليه عليه السلام للتشريف والايذان بعلية ذلك للقاء الكلمات المدلول عليه بتلقيها فتاب عليه اي رجع عليه بما يرجع
وصول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف

بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه والكتفي بذكر شان آدم عليه السلام لان حواء تبع له في الحكم
ولذلك طوى ذكرها الا في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي كثير الرجوع على عباده بالمغفرة
او الذي يكثر اعانتهم على التوبة وحاصل معنى التواب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن معصيته
واذا وصف به الباري تعالى وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي
جمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران وتحليله بتعليل لقوله تعالى
فتاب عليه قلنا استيناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته
فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط اذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لامحالة ودفعا لما عسى
يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهارا للنوع رافته به عليه السلام
ما بين الامرين من الفرق الغير كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية
وتعاد ولا تخلدون فيها والثاني مقرون بوعد اتباء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه
من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا وليالم انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين
قيل وفيه تنبيه على ان محارم يكفيه في الزجر عن مخالفته حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين
الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من جنة عدن الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وبابا به
التوصل لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الاخير في منها وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في
المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في
قولك جاؤا جميعا بخلاف قولك جاؤا معا فاما يانينكم مني هدى الفاء للترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم
من الامر به وما مركبة من ان الشرطية ومالمزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني
لاتصاله بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وحينئذ مبني مطلقا والصحيح ان باشرته النون بني والا
اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل المرغير مرة ويحتمل ان يأتينكم مني هدى بمرسول
اعنيه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك واريد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لامحالة
للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشرط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي فيه وجوبه
بمقتضى العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال والتحري على سنن
العظماء في ايراد عيسى ولعل في مواقع القطع والجزم ومعنى ان تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الحيرات
من طرق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لانه يعتريهم ذلك لكنهم
لا يخافون ولا يحزنون ولانه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط
كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستصغارا للجد والسعي في
اقامة حقوق العبودية من خصائص الحراص المتقين والمراد بنداء دوام انتفائها لا بتاء انتفاء دوامها
كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد
الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيم وتاكيد وجوب اتباعه اولان
المراد بالكتاب ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من اضافة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية

كما قيل وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا عطف على من تبع هدى
فحيثما لم يكن انه قيل ومن لم يتبعه واخاف وشر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها
واسيراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة وجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع احد
الى ما ذكر من النوعين واسيراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الآيات لاظهار كمال
قبح التكذيب بها اي والذين كفروا بارسلنا اليهم وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا
بالله وكذبوا بآياته التي انزلها على الانبياء واظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جاحدا
وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة فلك
النابغة توهمت آيات طها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وبقاء للمصنوع من حيث دلا
على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال
ما قبلها عما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال خرجن
من البيين لاحي مثلنا بآينا تزجي النعاج المطافلا واشتقاقها من اتى لانها تاتي اتباعا من اتى
او من ادى اليه اي رجع واصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفاء على غير قياس واوية او ايية
كحرمكية فاعلت او آيية كفاعلة فخففت الهمزة تخفيفا او لتلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصحبا للاشارة بتحتيه
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدا وقوله عز وجل اصحاب النار اي ملازموها
وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان
له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله
اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او الاسم
المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر للاولى على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون
وتخلدون في الاصل الكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد الدوام يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه
الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عليه السلام لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى
رسول الله عليه السلام وامره بتذكيرهم بالنعمة العامة لبني آدم فاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك وقد مر واذ قلنا للملائكة
لان المعنى يا اشرف البرية بتذكيرهم كلامي واذكرهم اذ جعلت آباءهم خليفة في الارض وسجود الملائكة عليهم السلام و
شرفها بتعليم الاسماء وقبلتا توبته والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى الصانع فيقال
ابو حرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرايل
بحذف الياء واسرال باخذفها واسرايل بقلب الهمزة ياء واسرأل بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة
بين الراء والام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لانهم اذعن الناس بنعمة واكثرهم كفرانا اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لانهم
اهملوا شكرها واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لكان
الآتي مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم جملة ذلك على الرضا والشكر فيتاكد بها الحكم
به على آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي عليه السلام وقرئ

اذكروا من الافتعال ونعق باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور
ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد
ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح
بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بها عرض
عريض فاول مراتبه متناه وهو الايمان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حتمن جزما، والاموال وآخرها
متاع الاستغراق في بحر التوحيد بحيث تغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز بالقاء جزائم
واما ما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال
وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب اوا وفوا بالاستقامة على الطريق
المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وكل كلها مضاف الى المفعول وصحتي
اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهد
قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرى اوف بالتشديد للمبالغة وجاء كيد
واياي فارهبون فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك
نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية دالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان تتم
راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر و
الوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت آخر الايات بالقرآن بالامر به كما
انه العمدة المقصودة في شان الوفا بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك لان ايمان
بعلمهم بتصديقه طها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم
بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص
والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل والنهي عن الشرك والفواحش واما ما يرى من مخالفته
لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة
لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في
التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على شرعيتها مطلقا من غير
تعرض لبقائها وزوالها بل تقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ
لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول
المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام
لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتاكيد وجوب الامتثال
بالقرآن ايجابا لهم بما يعتقدون الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اي لا تكونوا
امثال الكفرة فان تكليفكم ان تكونوا اقل من آمن به لا انكم تعرفون شانه وحقيقته بطريق التلقي مما معكم
من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به على الذين كفروا بمعانه كما يحكى فلما تضعوا موضع
ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدور دون عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به جزاء من غير
جمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كل ناحلة ونهيتهم

عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به
الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل ولان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن
كفر بما عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول فعل لا فعل له وصل
همزته واوا واوا ادغمت ولا تشتروا بآياتي اي لا تاخذوا والا تفكم بدلا منها ثمنا قليلا هي محظوظ الدنيا
فانها وان جلت قليلة مستزلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الاخرة يترك الايمان قبل كان
لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا على ابطالها لو اتبعوا رسول الله عليه السلام فاختاروها على الايمان
وانما عبر عن المشتري الذي هو العدة في عقود المعاوضة وحقه ان يعبر عنها بالثمن الذي هو ان يكون
وسيلة فيها وقرئت الآيات الى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالآيات التي تضحك الوسائل ايذانا
بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو مقصد الاصلي وسيلة مقصدا واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق
والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الاية الاولى مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية
فصلت بالجمل التي هي من مقدمات التقوى اولان تخاطب بها لما عم العالم وحقق امر فيها بالرهبة
المتناولة للكفر يقين واما خطابا بالثانية فحيث خص بالعلماء امر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس تخليط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين و
المعنى ولا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا
الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق بحزوم
داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع
الحق والاخفاء عمن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل
وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه استفهام بمعنى
استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير تحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو
نعت النبي عليه السلام الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم واما للزيادة تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال
كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس لاحد ان يحتج
بصدور النهي عنه كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل العاصي
يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة
وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله وارکعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة
الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة كما فيما من نظام التفوق في المناهج وتخصيص
الصلوة بالركوع احتراز اعن صلوة اليهود وقيل الركوع بمعنى الخضوع والانقياد لما يلزمهم انه تارع
قال الاصبغ بن زيد السعدي لا يحقرن الضعيف عليك ان ترى يوما والدهر قد رفعه
آتامرون الناس بالبر تبكيت للاحبار وتوبيخ له الى بعضهم بعد توجيه الا الكل والبر اتساع فيما فيه تقرير
مع بيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف

الطيرات ولذلك قيل البر ثلثه بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب
وتنسون انفسكم اى تتركونها من البر كما لمنبأ عن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة كانوا
يامرون سرا من لقيهم من اتباع الرسول عليه السلام ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت
تفصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى انهم كانوا
يامرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية
وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونها ومدار الانكار والتوبيخ
هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع لقوله وانتم تعلمون
اى والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته عليه السلام الآمرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير والوعيد
على الضد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون اى اتتلونه فلا تعقلون فاضيف
وفتح ما قصدون حتى تتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من
حيث الكيف او الاستمرار فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلام الآمرين والمبالغة من حيث
الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير لانه ذراعه طبية عن
جحر اكسي به النور الروحاني الذي به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي
ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ سوء صنيعه وعدم تاثر
وان تعذر فعل الجاهل بالشرع او الاحمق تخالى عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس
والاقبال عليها بالتكميل كيتقوم باطن فيتقيم غيره لان منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من
العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحدا واثنان
من شدة تاثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحرز عليه
وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز
لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت لتهدى الانام ولا تهتدى الا الآن ذلك لا ينفع فيا حجر
الشحذ حتى متى تشحذ الحديد ولا تقطع فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه
الى بيته فتوفي الى رحمة الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه شقة
من ترك الرياسة والاعراض عن الحال عوجلوا بذلك وقيل استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفوز
توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس وتنويل
بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيها والتوجه الا الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية
بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين
حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة و
يجوز ان يراد بها الدعاء وانها اى الاستعانة بها او الصلوة وتخصيصها بالضمير اليها لعظم
شانها والاشعار بانها عاضر وب من صبر كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جبلة
ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الذين يظنون

الخشوع الاذعان ومنه خشعة للرملة المطمئنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال لخاشع البعير
والخضوع بالقلب وانما تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما اعد لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم
يستعينون في مشاجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه السلام
وقرة عيني في الصلوة وبحلية حاكية او اعتراض تذييلي الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
اى يتوقعون لقاءه تعالى وينيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم
للايذان بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة
واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة تستقل
عليهم كالمناقشين والمرائب فالتعرض للعنوان المذكور لاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده
ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شاع به العلم في الرجحان اطلق عليه بتضمين معنى
التوقع قال فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف خانف وجعل حبر ان في الامر ضمنين
اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقرير هما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
كرر التذكير للتاكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به وانى فضلتكم عطف على نعمتي عطف
الخاص على العام كانه اى فضلت اباءكم على العالمين اى عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل
الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل
ان يغيروا واتقوا يوما اى حساب يوم او عذاب يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا اى لا تقضي عنها
شيئا من حقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ
لا تجزى اى لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع سكير النفس للتعميم والاحتياط
الكلي وجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اى لا تجزى فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فجعل
جارا واجرى المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال فما ادري اغيرهم تناء وطول
العهد ام مال اصابوا اى اصابوه ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية
العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل
الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها تساوي المفدي وتجري مجراه ولا هم ينصرون
اى يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي
من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة ههنا اخص من المعونة
لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه يحتمل فانه
اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني اما ان
يكون بادا عين ما كان عليه وهو ان يجزي فيه او بادا آخر غيره وهو ان يعطى عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة
بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر وجوابه انها خاصة بالكفار لان الآيات الواردة في الشفاعة و
الاحاديث المروية فيها ويؤيده ان توبيخهم وتقريعهم على ما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء
يشفعون لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم
من فنون النعماء وصنوف الآلاء اى واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اى اباءكم فان تنجيتهم تنجية لا

وقرئ اجئتكم وصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخصن بالاضافة الى اولى الاخطار كالانبياء عليهم السلام
وملوك وفرعون لمن ملك العالقة كقيصر لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك
ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه
الوليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فاخذ ماضطر الى خروج ليلحق بامن لم
فلم يتهيأ له المقام به فدخل مصر فراى في ظاهره حلما من البطيخ بدراهم وفي نفسه بطيخا بدراهم فقال في نفسه
ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدراهم فتوجه الى السوق فكل من لقيه من
المكاسين اخذ وامنه بطيخا فدخل البلد ومامعه الا بطيخة فذة فباعها بدراهم ومضى لوجهه وراى اهل
البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع به وبا عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا
يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه
ومضى لاخر والاخر حتى جمع في مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء
ميت فطلب منهم ماكان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا له من نصبك بهذا المنصب فذهبوا به الى فرعون
فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام لم يقدمني احد وانما فعلت ما فعلت لتحضرني احدا الى مجلسك فانبهك
على اختلال حال قومك وقد جئت بهذا الطريق بهذا المقدار من مال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال اني
ارى ترفي امينا كافيا فولاه ايا ما فاحسن رعيتهم سيرة حسنة فانتظم بصلاح العسكر واستقامت احوال
الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان
من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم
اي يسيمونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوم العذاب اي افظعه واشجه
بالنسبة الى مساءته والسوء مصدر ومن حقه ان يسوء وضعه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في
نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان
ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا اما ان فرعون
راى في المنام او اخبر الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد احتياطا وهم من قضاء الله بمكان
شيأ فيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود او سبعين الفا وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام
من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة
وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التنجية والاستحياء اولا الى الانجاء منه وجمع الضمير للتمييز طبق ما في الاول وقرئ
قرأ بلاء اي محنة وبلية وكون الاستحياء نفسه اي استبقاءهن على الحياة محنة مع انه عفو وترك
للعذاب للان ذلك كان لاستمرار في الاعلام الذي هو نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما
كان ذلك في حقهن سببا لما وكان ما يجري مجرى الاختبار يعاد تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليها
وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الانجاء والقدر المشترك ان كلا منهما من جهته تعالى
بتسليط فرعون عليكم او بتبعيث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة لبلاء او تنكير بهما
للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من الكسر او الضرر من قبل الله تعالى اختيارا فعليه الشكر بما
المراد الصبر على المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها

وبيان عظمها وهو طما وقد بين في تضاعيف ذلك بعة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي واذكروا اذ
فلقناه بسببكم او متلبسا بكم كونه تعالى متلبسا بالناس او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى خلصت
مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان الممالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق ما حاذا
الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى
واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كان
ان تحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك او
غرقهم والطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مدلة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر
بعضكم بعضا روي انه لما امر موسى عليه السلام ان يسري بني اسرائيل فخرج بهم فبصر فرعون وجنوده
وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فانفلق فيها اثني عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا ان اخاف ان نغرق بعض اصحابنا فلما علم الله تعالى ما في نفوسهم اجرى فيها كوى فنظر او اوتي
حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحم هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه كلها
كانها لموسى معجزة عظيمة فخرطها صم جبال ونعم عظيم لا وائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرا كذلك اقتضاها
على ما هي عليه من رسول الله عليه السلام معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية
موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلما ثرت اوائلهم عما شاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخر
بتذكيرها وروايتها فيالها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها واذ واعدنا موسى اربعين ليلة
لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعداله موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا واذ القعدة
وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله تعالى
فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي
القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي
وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على
حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا ثم اتخذتم العجل بتسهيل الهمزة بين بين والسامري الها معجوا
وتم للتراخي الرتبي اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراكم
ووضعكم الشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم
ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو حو محي عن عفاه درسه وقد جي لازما فقال عفت المنازل تعالى
عفا من بعد اجوال عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد اتخاذ الذي
استتباه في الصبح لا يذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة
العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان اي التوراة لجمعه
بين كونها كتابا وجمعه تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل
في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه
وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما فيه
واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي بسببه

فتوبوا اى فاعزموا على التوبة لاجل بارئكم اى الذى خلقكم برئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز
بعضكم من بعض بصور وهيآت مختلفة واصل التركيب تخلوص عن الغير اما بطريق التقصى كما فى برئ
المريض او بطريق الانشاء كما فى برء الله آدم من خطين والتعرض لعنوان البارئية لتذكيرهم بانهم بلغوا من
جهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطيف حكمته برئا
من التفاوت والتناكر الى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعم حقيق بان
تسترق هى منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماثلوا بتكميل بالنحل او بقطع الشهوة
وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده يروى ان الرجل كان يرى
قريبه فلم يقدر على المضى لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون
من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام فكشف السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للسبيب والثانية للتعقيب وذكر اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل خير لكم عند
بارئكم لما انه اطهر عن الشرك ووصله الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف
على انه خطاب منه تعالى على نهج الالتفات من التكلم الذى يقتضيه سياق منظم الكريم وسياقه فان مبنى جميع
على التكلم الا لنكتة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع لما ذكر ان بعلية عنوان البارئية تعالى
وتحلى والى حاق القبول التوبة التى هى عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم
بارؤكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للتى طب لا لالتفاتهم هذا
وقد جوز ان يكون وتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره ان تعلموا ما امرتم به
فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من البلاغة بحالة شئ التسريل كيف لا وهو حكاية لوعد موسى عليه السلام
قومه بقبول التوبة منهم تعالى القبول حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكى فيما قبل
وان المراد تذكير نعمى طبين تلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اى حرى تكثير توفيق المذنبين للتوبة
وبالغ فى قبولها منهم وفى الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر
عنهم ما صدر من جناية العظيمة التى هى اتخاذ العجل اى لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك ولن نقر لك وحمؤمن به
اعطاء آلهة اياه التورية او تكليبه اياه او انه نبى او انه تعالى جعل توبتهم لقتلهم انفسهم حتى يرى الله جهرة اى
عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد فى الوضوح والانكشاف
الا ان الاول فى المسموعات والثانى فى المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من حروفية او حال من الفاعل او المفعول
وقرئ بفتح الياء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون
المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روى انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا ان لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا
لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم للطور يطهرون فيه لتلك المتوبة فلما خرجوا
الى الطور وقع عليه غمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام يامره ونهيه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على
جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك
طمعوا فى الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتى فى سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لغلظ
العناد وشدة التعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه مسى وتعالى مما يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة

المقابلة فى بعضها والاحياز ولا ريب فى استحالة ذلك فيما يمكن فى شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات
بالكلية وذلك للمؤمنين فى الآخرة ولبعض الافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث ترائى
كأنهم وهم فى جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس فى بعض الاحوال فى الدنيا فقيل
جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيئة الطامة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم
وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك
فرجعت اليهم عقولهم وشاعرهم ولم يكن صعقه موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق انكم تشكرون
اى ما اصابكم بنفخ او بالموت ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة فقيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء
وقد يكون من النوم كما فى قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم لتعلموا شكرون اى نعمة البعث او ما كفرتموه بمعاينتم
من بأس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اى جعلنا ها بحيث تلقى عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بهم
وهم بالتيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا
عليكم المن والسلوى اى الترنجبين والسماني وقيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع
لكل انسان صاع وبعث جنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اى قائلين
لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن
والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج لخطاب الى بن لا يدان باقتضاء احيائها المنى طبين للاعراض
عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف لدلالة الحال والاشعار بانه امر
محقق غنى عن التصريح به اى فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالكفر ان اذ لا يتخطاهم ضرورة وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذى يقتضيه النفى الى نوعيه
ضرب تنكيم بهم وجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على تمادیهم فى الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا
تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت قولنا لآبائكم اثر ما انقذناهم من البيه
ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهى بيت المقدس وقيل اريحا
فكلوا منها حيث شئتم رغدا اى واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة
على ان الامر به الدخول على وجه الاقامة والتمكن فيدخل فى الامر فى سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية
وادخلوا الباب اى باب القرية على ما روى من انهم دخلوا اريحا فى زمن موسى كما سيجئ فى سورة المائدة او باب القبة
التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى سجدا اى متطامنين مخبتين او ساجدين
لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اى مسئلتنا او امرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الامر بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول لقولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة
اى حط رحالنا فى هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود وحمد الله تعالى وقرئ بالياء والتاء
على البناء للمفعول وصحف خطاياكم خطاتكم فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف و
اجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء لما قبلت الفا وكانت الاخريين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة
على الياء لتعلها بما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسئ وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج

ذلك عن صورة تحرّج الى الوعد ايذانا بان محض صدوره ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين
ظلموا ما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا آخر ايما لا خير فيه روى انهم
قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حنطا شمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل
غير الذين قيل لهم بغت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتبغيضا
الى مغايرة من كل وجه فانزلنا اى عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع
الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة فى الذم والتقريع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم
بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء اى عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده جمع بين صيغتى الماضى والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله
بظلمهم لايذان بانه ذلك فسق وخروج عن الطاعة وعتوّ فى الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح
لا بعدم توبتهم فقط كما ينطق به ترتيبه على ذلك الفاء والرجز فى الاصل ما يقاعنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم
وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى
لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك فى التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما
اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة فى معرض امر مستقل واجب التذكير ولو
روعى الترتيب لوقوعه كذلك لفهم ان الكل امر واحد امر بتذكره واللام متعلقة بالفعل اى استسقى لاجل قومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلث اعين
بسيل كل عين فى جدول الى السبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر ميلا وكان حجرا الهبطه الله تعالى
مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه موسى عليه السلام مع العصا او كان هو الحجر الذى فر بثوبه
حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به مما رموه به من الادرة فاثر رميه جبرئيل عليه السلام ان الحجارة او كان
حجرا من حجارة وهو الاظهر فى الحجر قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا
الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا فى تمملانه وكان يضرب به بعصاه اذا نزل فتنبجر ويضربه اذا رحل حسبما
فقالوا ان فقد موسى عصاه متناعطت فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع بحجرك ولكلمه يطعك لعلهم يتفكرون
وقيل كان الحجر من رخام مجمة ذراع فى ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها
شعبتان تتقدان فى الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينساق عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال
سرعة تحقق الانفجار كانه حاصل عقيب الامر بالضرب اى فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما
تعلق الفاء بمحذوف اى فان ضرب فقد انفجرت فتغيير حقيق بجلالة شان منظم الكريم كما لا يخفى على احد
وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان قد علم كل اناس مشربهم عينهم تخصيصه بهم
كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو اى جزء
لانه يؤكل مما ينبت به من الزروع والثمار وبايا ان ائتوا به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه وإضافته
اليه تعالى مع اكتناف الكل اياه خلقا وملكا اما للتشريف واما لتظهير سبب عادى وانما لم يقل من
رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فانفلقنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق التحكم بل بواسطة موسى
ولا تعثوا فى الارض العثى اشد الفساد فقيل لهم لا تفسدوا فى الفساد حال كونكم مفسدين وقيل

انما قيد به لان العثى فى الاصل مطلق التعدى وان غلب فى الفساد وقد يكون فى غير الفساد كما فى مقابلة
الظالم المتعدى بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة وتظيره العيث
خلا انه غالب فيما يدرك حسا واذ علم تذييل بطريق التذكير لطائفة اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم
الى ما كانوا فيه من حذاقة وحساسة واستناد القول المحكى الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد
يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة والاز والها
وحصول ما طلبوا امكانها اذ يا باه النعوض للوحدة بل اراد وا ان يكون هذا نارة وذاك اخرى روى انهم
كانوا فلاحة فتنزعوا الى عكرهم فاجمعوا ما كانوا فيه من النعم العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت
انفسهم الى الثقاء فادع لنا ربك اى سله لاجلنا يدعائك اياه والفاء لسببية عدم صبرهم للدعاء وتحتمل
لعنوان الربوبية التمهيد مبادئ الاجابة يخرج لنا اى يظهر لنا ويوجد وجزم جواب الامر مما نبت الارض
اسناد مجازى باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتى فى قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع مضاف اى كائنا من بقلها الخ وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما
نبت الارض من خضر والمراد به اكثانه التى تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها والفوم
الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اى الله تعالى او موسى عليه السلام انكارا عليهم
وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال استبدلون اى تاخذون
لانفسكم وتختارون الذى هو ادنى اى اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم
كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا قليل الكمية وحمل الدنو على القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير
البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ اأدنا من الدناءة وقد ذلت المشهورة
على ان الفعل مبدله من الهمزة بالذى هو خير اى بمقابلة ما هو خير فان ابى تعجب الذاهب حسرا ان دون
الآتى الحصر كما فى التبدل والتبديل فى مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله فبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتى اكل خمط وليس فيه ما يدل تطعا على انهم اراد وا زوال المن والسلوى بالكلية وحصول
ما طلبوا امكانه لتحقق الاستبدال فيما مر من صورة المنع وبه اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة
مطلبهم او اسعافا لمرامهم اى اهدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى وقرئ بضم الباء وكسر
البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتاويله بالبلد
دون المدينة ويؤيده انه فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه غير منون وقيل اصله مصرايم فعرب فان لكم
ما سالتم تعليل للامر بالهبوط اى فان لكم فيه ما سالتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤل بما لاستقلالها
بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل بنيا له كل احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة وحمكته اى جعلت
محيطة بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم
مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية والمهموز فى غالب
الامر اذ لا آمن كين اما على تحقيقه واما لحرف ان يضاعف جزيتهم وباوا اى رجعوا بغضب
عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الزائدة
بالفخامة الاضافية اى بغضب كائن من الله تعالى او صار وا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اى

صار حقيقة بان تقتل بعقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة
ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم
كانوا يكفرون على الاستمرار بايات الله الباهرة التي هي المعجزات الى طعنة الظاهرة على يدي موسى عليه
ما هذا وقد يقتلون النبيين بغير حق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان
قتل الانبياء لا يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير حق اذ لم يكن احد معتقدا
بحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء
كما ينبئ عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر
من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا دووم عليها آلت الى كبارها كان مداومة صغار
الطاعات مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما طعنوا به كانه سبب لكفرهم والقتل هو سبب
ارتكابهم لعصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر وقتل الانبياء بغير حق مع ويجوز الاشارة الى
المتعدد بالفرد وتاويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كانه في جلد
توليع البهق اي كأن ما ذكر وحذي حسن ذلك في المضمر او المبهم ان تثنيتها وجمعها ليس على حقيقته و
لذلك جاء الذي بمعنى الذين ان الذين امنوا اي بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك
الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجدي نفعا اصلا
ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما علم لهم
من هاد اذا تاب سموا بذلك لحين تابوا من عبادة العجل وحقوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب
يهود كما انهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران
وامراة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح اولا انهم كانوا
معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال مجاهد واحد النصارى
نصري كمهري ومهاري والصابئين هم قوم بين اليهود والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام
وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج من دين الى اخر
وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او
لحن لا لبس فيه من آمن بالله واليوم الاخر اي من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد
على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلته ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم
اي مالك امرهم ومسلمهم الى كمالهم اللائق فمن امن في محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء
لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلثة باعتبار
معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار لفظه وجملة كما هي خبر ان والعائد اليه اسمها محذوف اي
من آمن منهم والمراد بمن آمن اسلافهم الذين ادركوا زمان النبوة ومن عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق
به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت
مامون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب
ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الموآت والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان

انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا مما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد
الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين امنوا المذبذبون بين الاسلام المخلصون منهم
والمنافقون فح لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق
سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما في المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما في من عداهم
من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم التخصيص مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان
ما اخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن التام
واما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه
فما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل
فلا علاقة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في جملة على ان المنافقين
والصابئين لا يتبنى في معرضهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من
اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته
في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل
خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين
وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحد منها قصدا الى دفع الفرق
المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف محكوم
باستحقاقه على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين فما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن
امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في خبر ان ليس لهم في خبر خبرها عين ولا اثر فضلا عن كونه على
الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي اذكروا وقت الاخذ بالميثاق لكم
بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور
كما نطقت به التوراة روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا
فبعث الله تعالى ملائكة فقلعوا الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا ما اتيناكم بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او علوا به
لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او تنجوا من هلاك الدارين او رجاء ان تتنظموا في سلك المتقين
اوطلبا لذلك وقدم تحقيقه ثم توليتم اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ
ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلام حيث يدعوكم الى
الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والتخبط في مهاوي الضلال
عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب
بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي وامتناعها امتناع الشيء لوجود
غيره كما ان لولا امتناعية غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدا اخبره محذوف وجوبا لدلالة الخبر
وسد جواب لو مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت فضل
الله تعالى عليكم ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي انهم امروا بان يتحضوا

يوم السبت للعبادة ويحرّموا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عم فاشتغلوا بالصيد
وكانوا يسكنون قرية على البحر يقال لها أيلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز و
اخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها بجداول وكانت كحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبأسه لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جنايا تكم ما مفعولا فلم نمهلهم ولم
نؤاخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اى جامعين بين صورة القردة وخسوء وهو
الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان في ظرف
وجار وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى مسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن جعلوا
مثلا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل حمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم
صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اى
المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها و
ما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين
او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما يحضرها من القرى وما بتاعد عنها او لاهل تلك القرية وما حولها او لكل
ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى
لقومه توبيخ اخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جناياتهم صدرت عن اسلافهم اى واذكروا وقت قول موسى
لاجدادكم ان الله يامركم ان تذبحوا البقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اعمه
طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة
ويضربوه ببعضها فيحيى ويخبرهم بقاتله قالوا استهزاء منه استهزأ بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ
صنعوا اهل سارعوا الى الاستهزاء ولا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ
بالهمزة مع الضم والكسر اى الجعلين مكان هزء او اهل هزاء او مهزوا بنا او الهزء نفسه استبعادا
لما قاله واستخفافا به قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في انباء
تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما رموه من قبله على ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج
ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا لحاله واستعظاما لما اقدموا عليه من الغلظة التي تذر منه
عقلاء الجاهلين فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي كانه قيل فما ذا قالوا بعد ذلك فقيل قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما لونها قالوا استيناف كما مر كانه قيل فما ذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المامور بها قال اى موسى عليه السلام بعد
المناجاة الى الله تعالى ويجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها استاد البيان في كل
مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسؤلهم بقولهم بين لنا وصيغة الاستقبال
لاستحضار صورة الفقوع بضوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال
اسود حالك واحمر قاني وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون نكتة سنذكرها به ما لا يخفى من فضل
تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعين حمراء شديدة السواد وبه
فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل
يعلوه صفرة وياباه وصفها بقوله تسر الناظرين كما ياباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة
في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استيناف
كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كانهم ساكوا بانها حقيقتها بحيث
تتميز عن جميع ما عداها مما شاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء البيان ولذلك
علله بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا تهتدي
بها الى تشخيص ما هو المامور بها ولو لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان النعوت المعدودة ليست
بمشخصة للمامور بها بل صادقة على سائر افراد جنسها وقرئ ان البقر هو اسم جماعة البقر والبواقي
وبتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث وثبت محققا و
مشددا ولو شاء الله لاهتدينا بمعنى تشبه ويشبه بالتذكير ومتشابهة ومشتبه وفيه دلالة على انهم
ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة واغا بقي استكشافهم بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء
الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التوكيد اى لمهتدون بما سنبين لنا من البيان الى المامور بذبحها وفي
الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث
اى لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة للبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان
صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هي كذلك مررت برجل لا بخيل
ولا جبان اى حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اى سليمة الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او
اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا اخلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها اى لا لون فيها يخالف لون
جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا عند
ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم

ولا ضرع قال طوال مثل اعناق الجواري نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر
من الفارض والبكر ولذلك صنف حيه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا امر من
جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المامور به ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به
كما في قوله امرتك خيرا فافعل ما امرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى بني الفعل
المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام طهرهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتصروا
وقولوا كما قالوا استيناف كما مر كانه قيل فما ذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المامور بها قال اى موسى عليه السلام بعد
المناجاة الى الله تعالى ويجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها استاد البيان في كل
مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسؤلهم بقولهم بين لنا وصيغة الاستقبال
لاستحضار صورة الفقوع بضوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال
اسود حالك واحمر قاني وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون نكتة سنذكرها به ما لا يخفى من فضل
تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعين حمراء شديدة السواد وبه
فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل
يعلوه صفرة وياباه وصفها بقوله تسر الناظرين كما ياباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة
في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استيناف
كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كانهم ساكوا بانها حقيقتها بحيث
تتميز عن جميع ما عداها مما شاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء البيان ولذلك
علله بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا تهتدي
بها الى تشخيص ما هو المامور بها ولو لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان النعوت المعدودة ليست
بمشخصة للمامور بها بل صادقة على سائر افراد جنسها وقرئ ان البقر هو اسم جماعة البقر والبواقي
وبتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث وثبت محققا و
مشددا ولو شاء الله لاهتدينا بمعنى تشبه ويشبه بالتذكير ومتشابهة ومشتبهة وفيه دلالة على انهم
ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة واغا بقي استكشافهم بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء
الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التوكيد اى لمهتدون بما سنبين لنا من البيان الى المامور بذبحها وفي
الحديث لولم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث
اى لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة للبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان
صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هي كذلك مررت برجل لا بخيل
ولا جبان اى حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اى سليمة الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او
اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا اخلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها اى لا لون فيها يخالف لون
جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا عند
ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم

يبقى لسائل ان يقول ما وجه اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاولين فان ما وجب به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة
وتعلمهم كانوا قبل ذلك قد رأوا ووجدوا جامعة جميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات الثلث
من غير ترك لها فيما عدى المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا احصاء النعوت الاخيرة بها دون غيرها
وقرى الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها القاء فصيحة
كانه قيل فتفتشوا اى تحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لنفي خبر
من تحصيل او تعلية حال من ضمير ذبحوا اى فذبحوها وحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض
مدلي وما له استئنافا استقصاء نهم واستبطاء لهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كادوا
ينتهي حيظ اسهابهم فيها فيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون
ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فانى بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعكها لابني حتى يكبر وكان تبرا بوالديه فنشأ الشيخ ونشبت العجلة فكانت من احسن البقر
واسمنها وهو معنى اليتيم وانه حتى اشتراها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات
المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك تبلغ ثلثمائة دينار واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر هذا الكلام
بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في آخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة وقد اختلف البيان عن وقت
الحاجة او المهلة ثم ظهر التغيير لا لمعنية بسبب تباطئهم في الامتثال وتماديهم في التعنت
والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة الى آخره
للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة
الامور بذبحها فيكون هي المعينة وهو مدفوع بانهم لما يجبروا من بقرة مبهمة يضرب ببعضها ميت
فيحيى ظنوها معينة خارجة جاعلة عليه تحيس من الصفار وتخراص فيما لواعنها فرجعت الضمائر الى كيفية
في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر هي بعينها
والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر
النظم الكريم وتكرير الامر لتبدل سائر الون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال عليه السلام لو اعترضوا ادنى
بقرة لاجزأتهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس ثم رجع الحكم الاول مبينا
بالتاء والتاء بان ثالث تشديد اعليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم مطلق بالكلية وانتقاله الى المعين
بل على طريقة تقييده وتخصيصه بشيء شيء كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم تعنتية
من قبيل تخييب البر من قبيل العبادة فان الامتثال بالامر يدور على الوقوف على حامور ما لا محالة وعيسى
فيكون سكوتا لانهم من باب الافهام بالامتثال واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مر مرارا وقتلتم
لليهود المعاصرين لرسول الله عليه السلام واسناد القتل والكندراء اليهم لما مر من منبه جنايات الاسلاف
الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصها بالاسناد دون ما سيأتي من هناتهم لظهور فتح القتل و
اسناده الى الغير اذ كر واذ قتلتم نفسا محرمة فادارأتم فيها اى تخاصمتم في شانها
اذ كل واحد من الخصمين يدافع الآخر او تدارأتم بان طرح كل واحد قتلها الى آخر والحلة تدارأتم
فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر لا محالة

وجمع بين صيغة الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما اعمل يخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه
عطف على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار
انها عبارة عن الرجل او تاويل الشخص او القتيل ببعضها اى ببعض البقرة اى بعض كان وقيل
بصفيرها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بأذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي العنصر
وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها
فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند حكايته لتكرير التوبيخ وتثنيته التقريع
فان كل واحد من قتل النفس بمجرده والاستهزاء برسول الله عليه السلام والافتيات على امره وترك الرد
الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان ينعى عليهم بجاياها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع
لما علم استقلال كل منها بما يخص بها من توبيخ وانما حكي الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه عز وجل
كالامر بالضرب لما ان حياتهم كانت عبر اجعهم كنبيه عليه السلام والافتيات على رأيه كذلك يحيي الله الموتى
على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فضربوه فحيي وقلنا كذلك يحيي الله الموتى فحذفت الفاء الفصيحة
في يحيي مع ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فاطف ايها شئت كذلك يحيي الله الموتى عند حيوة
القتيل ويجوز ان يكون ذلك ليحيي الموتى عند نزول الاية الكريمة فلا حاجة حينئذ الى تقدير القول الا ينتهي الحكاية
عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فاطلع معترضة اى مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيامة
ويريكم آياته ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه
بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتيب حيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور التي لا
للعلكم تعقلون اى لكي تعملوا عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
كلها او تعلموا على قصية عقولكم ولعل لحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كل قدرته على
احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة
التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق
المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار والله
المؤثر لله تعالى وانما الاسباب. اما رأت لا تاثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الذي هو اماته
الموت تحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شرة الصبي ولم يلحقها
ضعف الكبر وكانت عجبة برائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سكة لها من
قبايحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويتوسل بها الى ان يكشف الحق ويرتفع ما بين العقل
والوهم من صنداد او جدال ثم قست قلوبكم خطاب لمعاصري النبي عليه السلام والقسوة عبارة عن الغلظ
وجفاء والصلابة بحيث تتحجر اللينة قلوبهم عن التاثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال
وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان
بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب
الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث ثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما مر عليها كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء
كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من الآيات

الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اى من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد لا يزال بعد منزلته وعلو
طبقته وتوحيد عرف خطاب مع تعدد المخاطبين اما بتاويل الفريق اولان المراد بكل خطاب لا تعيين لمن خوطب
كما هو المشهور منهى كالحجارة فى القاوة او اشد منها قسوة اى هى فى القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فى
ادائها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف كما حذف واقيم المضاف اليه مقامه وبعضده القراءة
بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على الاستمرار قاوة قلوبهم والفاء
اما للتفريع مشابهتها لما ذكر من القاوة تفريع التشبيه على ما وجه الشبه فى قولك اخترخذه فنعم
كما لورد وامالتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل او اقسى منها فى التصريح بالزيادة
من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين فى الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للتنويع
بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هى اقسى من الحجارة
وترك ضمير المفضل عليه لما فى من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان للشدية قلوبهم من
حجارة فى القاوة وعدم التاثير واستحالة صدور التخير منها يعنى ان الحجارة ربما تاثر حيث يكون منها ما
يتفجر منه المياه الغطيطة وان منها لما يشقق اى يتشقق فيخرج منه الماء اى العيون وان منها لما يهبط
من خشية الله اى يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضيه ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعى الى المركز
وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامر الله عز وجل آت
بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام فى لما لام
الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم خبرها وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط
بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعايد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد
على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات قوله تعالى
افتطمعون تكوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عدت جناياتهم ونعيت عليهم جنايات ائمتهم الى النبى عليه السلام
ومن معه من المؤمنين والهمزة للانكار الواقع واستبعاده كما فى قولك اتضرب اباك للانكار الوقوع
كما فى قوله اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام تكن لاعلى قصد توجيه
الانكار الى المعطوفين معا كما فى افلا يبصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا اى الا ينظرون فلا يبصرون
فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثانى على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اى
انظرون فلا يبصرون فالمنكر ترتب الثانى على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اى اتسمعون اخبارهم
وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعدان علمتم تفاصيل مثيونهم الكونيه عنهم تطمعون ان يؤمنوا
فانهم متماثلون فى شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا ياتى من احلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم
وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل فى ان يؤمنوا وهى مع ما فى حيزها فى محل النصب او الجر على اختلاف
المعروف واللام فى لكم لتضمين معنى الاستجابة كما فى قوله عز وجل فآمن له لوط اى فى آيائهم مستجيبين لكم
او للتعليل اى فى ان تحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به مفهومه الشرعى
وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه
كالرهط والقوم وحجارة وحجر وفى حمل الرفع اى فريق كائن منهم دون قوله تعالى يسمعون كلام الله جبر كان قرئ

كلم الله وجملة حالية موكدة لكفرهم جاحدة للطمع مثل احوالهم الشنيعة الحكيمة فيما كلف على منهاج قوله تعالى وهم يكفرون
عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونى اى وحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضى الله عنهما هم
قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهى عنه
ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فى فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغى لاستيلاء الوحشة وجهالة حسبما يقتضيه
مقام الكبر يائيل من بعد ما عقلوه اى فهموه وضبطوه بقلوبهم ولم تبق لهم فيه مضمونه ولا فى كونه كلام رب العزة ريبة
اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهو لاء قالوا اسمعنا الله تعالى يقول فى اخر كلامه ان
استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس عليكم للتراخى زمانا او رتبة وقال القفال
رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف
التورية بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبى عليه السلام فى عصره وبدلوا اية الرجم ويابا به
جمع بين صيغتى الماضى والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الآن بحكاية ذلك على تقدمه على زمان
نزول الاية الكريمة لا على تقدم عهده عليه السلام هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام
الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلا وتها اكثر لا سيما رؤساء وهم بحكم
التحريف قائمون بوظيفتهم التلاوة دون السماع وكان الانسب حينئذ ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون فى ان
يؤمن هؤلاء الوا طئكم ويستجيبوا لكم وحال ان اسلافهم الموافقين لهم فى خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله تعالى واسطة
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يقينا ولا يستجيبون له فيها ومن ههنا ظهر ما فى ايثاركم على يا به من الغفلة وتخريجه على قوله
عز وجل وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم موذنة بان تحريفهم ولكم لم يكن بناء على التباس
ما عقلوه او على انطماس فى بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له ووهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون
واذا لقوا جملة مستانفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اسلافهم لبيان ما صدر عنهم بالذات من التسارع الى موالاة عتن
ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من جملة الحالية والضمير لليهود والمستقف على سره المنافقون
خاصة كما قبل تحريا للاتحاد والفاعل فى فعلى الشرط وجزائه حقيقة الذين امنوا من اصحاب النبى عليه السلام قالوا اى اليا قون لكن لا
بطريق تصدى الكل للقول حقيقة بل مباشرة منافقيهم وسكوت البا قين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
وهذا او خلف فى تقبيح حال الكتمين اولا والعابثين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض اراائهم
من اسناد القول الى الكل شرقا خاصة بتقدير المضاف اى قال منافقوهم آمنا لم يقصروا فى ذلك بل علموه بانهم وجدوا
نعت النبى عليه السلام فى التورية وعلموا انه النبى المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتى واذا خلا بعضهم
اى بعض المذكورين وهم بعض الكتمين منهم اى اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض الخ
منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الكتمين فى لقاء المؤمنين كما اشير اليه انفا
اذ الكلام انما يكون بعد الاشتغال ولان غيابهم معلق بمحض خلوه ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل
سماعهم طعاما من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اى الكتمون
موبخين لمن نفاقهم على ما صنعوا اتحدثونهم بعنون المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعايد محذوف
اى بينه لكم حجة فى التورية من نعت النبى عليه السلام والتعبير عنه بالفتح لما بينهما من شبه تمكن وباب مغلق لا يقف عليه
احد وتخصيص كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للمتعلب فى دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق

بشان التنزيل جليل والام في قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلق بالتحديث دون الفتح والمراد تاكيد التكير وتشديد
التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل
اي ليحتجوا بذلك بتخجيلكم وتحدثون به وان لم يرموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان
مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض نحو كورا طهارا لكان شانهم عقولهم وركاكة ارائهم عند ربكم
اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء
لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوبون يومئذ حدثوا به اولم يحدثوا والاعتذار بان التزام المؤمنين اياهم
وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا مع حقية ديننا وصدق نبينا فضح يجوز ان
يكون المحذور عندهم هذا الالتزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه
مدفوع بالاخفاء لا يابى عده الاية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون
من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينبئ عليه الكلام اي الا تاملون فلا تعقلون هذا الخطاب
الف خلق او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او تعقلون ذلك فلا تفعلونه
بطلانه مع وضوحه حتى تحاجون الا التنبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب
من جهته سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون ومعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فبابا
قوله تعالى اولا يعلمون فانه الى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون ايرادا خطاب كما مر مباينين في اثنائه
من قبيل الفصل بين الشيء وحكايته بعيد ان في تخصيص خطاب المؤمنين من التعسف وفي تعميم النبي عليه السلام كما
في افتطمعون من نحو الاوب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه
الذهن والضمير للموبخين اي ايطمعون ايها المؤمنون على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي يسره
فيما بينهم من حكومتين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت حكمه في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين
او لاصحابهم حسما بين فتح يظهر الله تعالى للمؤمنين ما اراد واخفاه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيحصل
المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان
المحذور عندهم امر محاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء
وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لا باتهم المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله تعالى
يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهاره
غيره وكتمانهم امره واظهار ما اظهروه انجاء واتما قدم الاسرار على الاعلان لان بانتفاضهم وقوع ما يجذ
من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع طبع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما
في تحقيقه على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل بوجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى
وفي هذا المعنى لا تخلف لحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء الماذكر من السر على ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما
في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاحصاء في تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون
ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو مبادي قبل ذلك مضمر
في القلب يتخلج به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بالمرتبة الاولى متقدم على تعلقه بالمرتبة الثانية ومنهم اميون

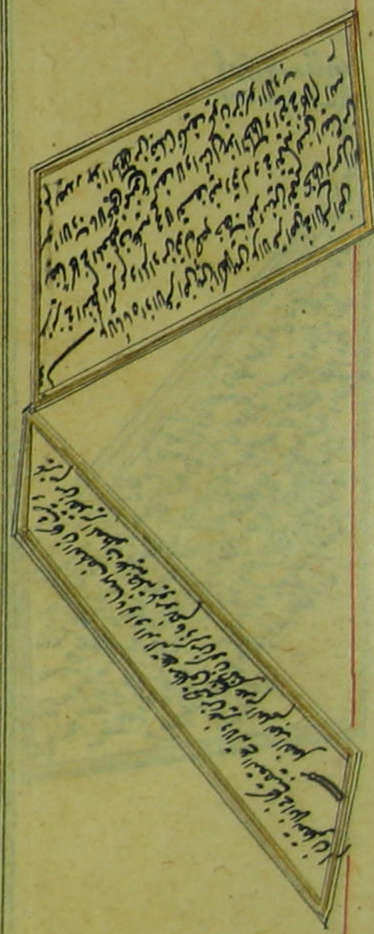

وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه كشبه
بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤون الرجال بل من خلال النساء او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في خلو
عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه بقي على ما جبلها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامي اي على عادة العامة
روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها
فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس وقيل الذي لا يحسن عنه انه جهلة اليهود وجملة مستانفة تسوقه لبيان
قبايحهم اثر بيان شنايع الطوايف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان
لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في مناقاة الايمان ليس
بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق والنهي عن اظهاره كما في التورية كما وقع من الفريق
الاخرين اي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون الكتاب اي لا يعرفون التورية ليطالعوها
ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلايل النبوة فينوسوا وحمل الكتاب على الكتابة بادنى مناسبة نظم الكلم وسياقه
الا اماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كالتمني
في قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه
ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب
اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان ابا هم الانبياء
يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب
لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يعلموا من الله تعالى فيه وامانيهم على الاكاذيب مختلفة
على الاطلاق من غير ان يكون لها صلابة بالكتاب فلا حاجة الى عده النظم الكريم وان هم الا يظنون ما هم الا
قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فاني يرجى منهم الايمان المؤسس على
قواعد اليقين وما يتبين حال هؤلاء في تمكنهم بجهالة الاماني واتباع الظن عقيب بيان حال الذين اوتوا نصيبا
في تلك الورطة وبكشف كيفية اصلالهم لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على الوجه الاعم عليهم فويل
هو واشتقاقه من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها
لا يجوز اظهارها ربا البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا افصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى
الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الرحمة وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة و
ويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل حزن وهل ويح وويب وويس بذلك تمحض او بينه و
بينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الرحمة عليه وقال ابن عباس الويل العذاب الاليم
وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل
واد في جهنم يهوي فيه الكفار اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم
لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره وقال ابن عباس هو جبل في جهنم يسيل صديد اهل النار وقيل صهريج في جهنم
وعلى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدا خبره قوله عز وعلا للذين يكتبون الكتاب
اي المحرف او مكتوبه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد لدفع توهم الجاز كقولك كتبته بيميني ثم يقولون
هذا اي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني من عند الله وروي ان احبار اليهود خافوا ذهاب ما كان لهم و

وزوال رياستهم حين قدم النبي عليه السلام المدينة فاحتالوا في تعويق اسائل اليهود عن الايمان فعدوا الى صفة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التورية وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة مغيرا وبا وكتبوا
مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا اسائلهم سفلتهم عن ولك قرؤا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته ع
فيكذبونه وهم للتراقي المربتي فان نبتة تحرف والتاويل الزايغ الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس التحريف
والتاويل ليشتروا به اى ياخذوا لانفسهم بمقابلته ثمنا هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف
والتاويل وانما عبر عن المشترى الذى هو مقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه ايذانا
بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبا به فان ذلك
وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوا به من العذاب فحالهم قوبل لهم تكرير للتاكيد ولاتصر ع
بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف باريد بعضه في خبر الصلة وبعضه في معرض الغرض
والفاء لان ما يزان تبر تبه عليه ومن في قوله عز وجل مما كتبت ايديهم تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار
في الخبر وما موصولة اسمية والعاد محذوف اى كتبته او مصدرية والاول ادخل في الزجر عن تعاطى المحرف والتاويل
في الزجر عن التحريف وويل لهم ما يكسبون الكلام فيه كالذى قبله والتكرير لما مر من التاكيد والتشديد وقصد
الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادى تزويج ما كتبت ايديهم منهم
داخل في التعليل به وقالوا بيان لبعض آخر من جنايا تهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها
ولم يكتبوها في الكتاب لن تمسنا النار ع الا ايام معدودة قليلة محصورة عددها ايام عبادتهم العجل
اربعون يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود قالوا اعمر الدنيا سبعة آلاف سنة وانا نعذب
بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التورية ان ما بين
طرفي جهنم مسيرة اربعون سنة الا ان تنتهوا الى نسخة الزقوم وانهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملون نهاية
قل اتخذتم عهدا بكسر الخاء وضم الذال المعجمة وقرئ باظهار الذال وقرئ باد غامها في التاء عند الله عهدا خبرا او وعدا بما ترعون فان ما تعدون الانبياء على وعد قوى ولذلك عبر عنه بالعهد
فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا
ثم القفول فقد جئنا خراسانا اى ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار
بعلة الحكم فان علام فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل ما ذكرا ولان
المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق
مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يستمر رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد ام تقولون مفترين
على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه سبحانه
من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتكيير فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى
بالطريق الاولى وقولهم ممحكى وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك مجزوم لا يكون الا
باسناد سببه حيث لا وام امنقطعة والاستفهام للتقرير جموذى الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كما في
قيل ام لم تخذوه بل تقولون عليه تعالى وامنقطعة والاستفهام للانكار الابطالى للاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها للاضراب
والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيد همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله

عز وجل آلله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الى آخره جواب عن قولهم المحكى وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة
الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلى شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتعويض ذلك الى النبي عليه السلام
لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر مهين لا يتوقف على التوقيف وبنى
حرف ايجاب يختص بجواب النفي خبرا واستفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اى كبيرة من الكبائر
كذا هو لاء الكفرة والكسب استجلاب النفي وتعليقه بكسبيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به
من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد استحلت واستولت عليه خطيئته
التي كبهما وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف
بالكفر فيما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وابن جرير عن ابي وائل ومجا
وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر وخطيئته الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان
الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من خطا وقرئ خطيئته و
خطياته على القلب والادغام فيهما وخطياياه في ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك
مبتدا اصحاب النار خبره وجملة خبر للمبتدا والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ
عن استحضارهم بما لهم من الاوصاف لاشعار بعلية تلبسهم بها لصاحبية النار وما فيه من البعد للتنبيه على بعد
منزلتهم في الكفر وخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب الخبر في قلته من بعد مراعاة جانب
اللفظ في الضمائر الثلثة الآتية فان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الحالتين فان كسب سيئة و
احاطة خطيئة به في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع اى اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب
السيئات واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اى ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لاسترجحها
من الاسباب الى من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والاغراء عليه وغير ذلك وانما لم
يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار ردا لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان و
الدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فان لهم الانقضاء عنها بعد سبعة
ايام او اربعين كما زعموا فلا حاجة في الاية الكريمة على خلو صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا
حاجة الى حمل الخلود على اللبث المطويل على ان فيه تهوينا يحظر في مقام التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما يقتضيه
حكمته في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا
ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبايح اسلافهم اليهود مما ينادى بعدم ايمان اخلافهم
وكلمة اذ نصب باضمار فعل حوطب به النبي عليه السلام والمؤمنون ليودعهم التامل في احوالهم الى قطع الطمع عن
ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم
لا تعبدون الا الله على ارادة القول اى وقلنا او قائلين لا تعبدون ع وهو اخبار في معنى النهي كقوله لا
ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول له تعبث وتكيث وهو ابلغ من صريح النهي فانه
من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة
لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا ع فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله

ع بقوله تعالى ولتجدنهم

ع الى قوله تعالى لتخذتم

ع الى التفصيل

ع الى الاشعار بعلة الحكم

ع الى حمل على الاقرار

ع الى قوله

ع الى قوله

ع الى قوله

الا ايها الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات اهل انت مخلدي وبعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا
من ميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه جميعي كانه قيل وحلفنا هم لا تعبدون الا
الله وقرئ بالتاء لانهم يغيبة وبالياء على الاخبار عنهم بطريقة التلوين وبالنون اخبارا عن متكلم معين
وحسانا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد وقيموا الصلوة واتوا
الزكوة اجمالا مما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف خطابا للنبي عليه السلام وهو مبني على ان هذا التفات
الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم بحريان ذكر كلهم على نهج الغيبة فان خطاباتهم
الى بقية اسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانه استحضر واعند ذكر خطاباتهم
فنعيت عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله عليه السلام فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاخلاف منزلة
الاسلاف بجامع التعيير للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن تمضي على
مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من اسلافكم من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ و
ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام وامثاله وانتم معرضون جملة تذييلية اي وانتم قوم عادتكم
الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال للاجانب
العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم
اخلافهم بموجب ميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق
المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها على سبيل الاكتفاء والمقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير
الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التوراة وقوله تعالى
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قيل اخبار في معنى النهي غير انه سبك اليها ذكر من نكتة
المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك
بسفك دماء انفسهم واخراجها من دياريهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال
القوي نسبا ودينا للمبالغة صح في محل عام مراعاة لحقوق ميثاق بتصوير منهي عنه بصورة تنكر بها كل نفس و
تنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كان ضمير دياركم
للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما
يفصح عنه ما سيأتي من قوله من دياريهم وانما اطلق ههنا باعتبار تنزيل دياريهم منزلة ديار المخاطبين بناء
على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دمائكم فمحتمل للوجهين معا والاول
كون مفعول دماء اذ دعاية للمخاطبين حقيقة ومفاد الكلام كونه دماء حقيقية للمخاطبين ايجادا وبهما متقا
في افادة المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان معنى لا تباشروا ما تؤدي الى قتل انفسكم قصاصا او ما يجر
سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يورثكم ويصير فكم عن الحيوة الابدية فانه القتل بحكمه
ولا تقتروا ما تخرجون به عن الجنة التي هي داركم فانه بجلا تحقيقي فمما لا يليق عده سياق النظم الكريم بل هو
نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب الوفاء بمقتضاه وانتم تشهدون لتوكيد كلا الامرين

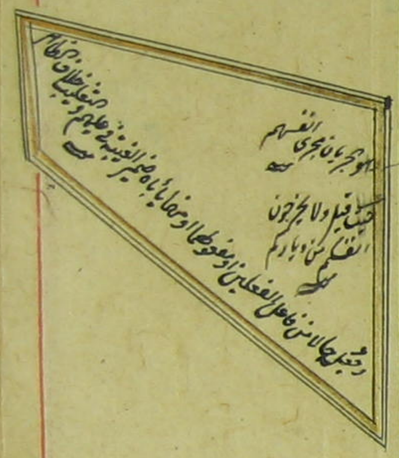

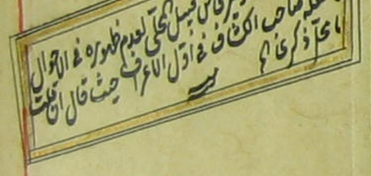

كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان ما كان من
الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء اخبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل
منزلة اختلاف الذات وقيل انتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون الناقضون الميثاق فصون جميعا يجب
حمله على الآتية فان قوله تعالى تقتلون انفسكم بيان له وتفصيل لاحوالهم كما سيشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد
للتكثير وتخرجون خريقا منكم الضمير اما للمخاطبين والمفعول محذوف اي من انفسكم واما للمقتولين والخطاب
باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين والاظهر تحقيق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان
الذي عليه يدور فلك المبالغة في تأكيد الميثاق وتشديد النكير على ان يظهر كمال قباحة جنايتهم في نقضه من ديارهم
الضمير للفريق والايثار للغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق
عن لوهم كون المراد اخراجهم من ديار بعضهم من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل
هؤلاء موصول وجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون عليهم بحذف احد التاليين وقرئ
بالتاء تتظاهرون وبالادغام وتظهرون بطرح احد التاليين من تظاهرون ومعنى الكل متعاونون وهو حال من
فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج وافعة لتوبيخهم اختصاص حرمة بالاخراج
بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة ومعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله اي
ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا تطمئن
اليه القلوب والعدوان وهو التجاوز في الظلم وان يأتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل
بمعنى مفعول من الاسر اي الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى وتحلة النصب
على الحالية تفادوهم اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدي ان الله تعالى اخذ
على بني اسرائيل في التوراة الميثاق ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم
وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس
والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه
فاذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفتدوه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون انا امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم
ولكن نستحي ان نذل حلفاءنا فقد مهم الله تعالى الى المنافضة وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشأن
وقع مبتدأ او محرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم وجملة خبر لضمير ان وقيل محرم خبر
لضمير ان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع
الى ما يدل عليه تخرجون من مصدر واخراجهم تأكيد او بيان ومحله حال من الضمير في تخرجون او من فريقا
او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان تحريمه ههنا بالاخراج مع كونه فرعا
للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان منع الكلام
لذمهم وتوبيخهم على جنايا تهم وتناقض افعالهم معا وذلك يختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك

القتيل شيء من دية او قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما ما اخره من الشرطية فلتعبر
مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدي فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر في اظهار بطلا
افتؤمنون ببعض الكتاب اي التوراة اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة لانكار التوبيخ والفاء للعطف
على مقدر سيق عليه المقام اي اتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو حكم فداوة وتكفرون ببعض
وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى
واخلاف الميثاق فضاء التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض جسما يفيده ترتيب النظم الكريم فان
التقديم يستدعي في المقام تحقيق اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتى واذ ليس ذلك ههنا
باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم ببعض مع كفرهم ببعض كما هو
المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا يجدي كفرهم ببعض وايمانهم ببعض
كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس مما جرا من يفعل ذلك
منكم الا خزي في الحياة الدنيا ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها
وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة
الاساري منكم حال من فاعل يفعل الا خزي استئناف مرفوع وقع خبرا للمبتدا او خبر الذل والهوان
مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو مثل بني قريظة واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من ارض الشام وقيل
الجزية في الحياة الدنيا فحكم الرفع على انه صفة خزي اي خزي كائن في الحياة الدنيا او في خبر الضرب
على انه ظرف لنفس خزي ولعل بيان خزيهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرا
ايمانهم ببعض الكتاب واظهارا انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالتاء
او ثر صيغة جمع نظرا الى معنى من بعدما او ثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع لا الاسناد
العذاب لما ان معصيتهم اشد جناية وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار واما
غير بسبك النظم الكريم حيث لم يقل شدا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التباين بين خزيهم الخ
وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه تهويل للخطب وتقطيع حال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون
من القبائح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تاكيد للوعيد او للذم بما موصوفون به
ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين اشتروا اي اثروا الحياة الدنيا واستبدلوها
بالاخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة
جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض منافع الدنية والدنيوية فلا تخفف عنهم العذاب ولا ينافي ما
اوخر ويا ولا هم ينصرون بدفعه عنهم شفاعة او جبرا وجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على
الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها ولقد اتينا موسى الكتاب
شروع في بيان بعض اخر من جنايا تهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به وحمل ابو مسلم
التوراة عن ابن عباس ان التوراة ما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك
فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى لموسى فحملها وتفيئا من بعده بالرسل
اي قفاه بعضهم ببعض اذا اتبعه اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع

واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل واليكس واليسع ويونس و
ذكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام واتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات من احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه جمازك و
مريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من الناسكات الزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصلي مريمة
ضليل اهواء الصبا تندمة ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس
بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى كقولك خاتم جود ورجل صدق واما
وصفت بالقدس للكرامة اولانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام
وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن وروحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره
وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس لما
ان بعثتهم كانت لتقييد احكام التوراة وتقريرها واما عيسى عم فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها وطسم مادة
اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيته واظهار كمال فتح ما تفعلوا به عليه السلام افكلما جاءكم رسول منهم
او للتكرير بالانتهاء الفكم من تحتم الذي لا محيد عنه اي لا تحتمه من هوى كفرح اذا احبت والتعبير عنه
بذلك لان الانسان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط
الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا والتعجيب من شانهم و
يجوز كون الفاء للعطف على مقدر ينساب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم لما تهوى الفكم استكبرتم
عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى فريقا منهم كذبتم من غير تلعثم والفاء للسببية او للتعقيب وفريقا اخر منهم تقتلون بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام
وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق الى ما فعلوا بهم للقصر وايثار صيغة الاستقبال في
القتل لاستحضار صورته الهائلة او لانهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من حتفه عليه السلام
وسحروه وسموا له الشاة حتى قال عليه السلام ما زالت اكلة خيبر تعادني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان
لفن آخر من قبائحهم على طريقة الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة المخاطبة اما فصل من نحاز يهم كفو
الاعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في
عصر النبي عليه السلام قلوبنا غلف جمع اغلف كاحمر واحمر من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية
لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع
غلاف ويؤيده ما روى عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا
من غيره فاكذبهم الله تعالى وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعيناه ولو كان ذا حديثك
خيرا لوعيناه ايضا بل لعنهم الله تكذيب لهم في ذلك وتعقيب على الاول بل ابعدهم الله وطردهم
عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالكلية
وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم
من رحمته فاني لهم ادعاء العلم الذي هو اجل اثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته ادخال العاطف بين السبب
لا يقبلون الحق المؤدى اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض

مولانا البعض غير مسلم في الوضع الاول
على ما يفصح عنه كونه استثناء من غير ان تنتظم عليه الآية

الكتاب وقيل فرقانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار وكفروا
آخره وكلا الحالين بيان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان وما جاءهم
كتاب من القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اى كائن من عنده تعالى للتشريف مصدق
لما معهم من التورية عبر عنها بذلك للاشعار بعلية ما في تضاعيفها الموذى الى العلم بكونه
مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل اى من قبل مجيئه
يستفتحون على الذين كفروا اى وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث
فى آخر الزمان الذى نجده فى التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما نقتلكم معه
قتل عاد وارم قال ابن عباس وقتادة والسدى نزلت فى بنى قريظة والنضير كانوا يستفتحون على
الاوس والخزرج برسول الله عليه السلام قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا
يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما فى استعجب اى يأكلون من انفسهم الفتح عليهم او يسألون
بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا
فلما جاءهم تكرير لما اول لطول العهد بتوسط الجملة تحقيرية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب
لان معرفة المنزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الالتفات بالاضمار
بيانا لكمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادئ الايمان به وداعية له لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب
مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منبئة له وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو رأى المبرد
او جوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى
وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبى عليه السلام كما هو
المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون
بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبى الذى عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اى عليهم
ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كان الفاء لسببان ترتبها عليه او
للجنس وهم داخلون فى حكمه دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو محقق المضمون قوله تعالى بئس الخ
الله بكفرهم بئس ما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شئ منصوبة مفسرة لفاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف اى
بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروا به ثمنا زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب
ويأباه انه لابد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى
ان يكفروا بما انزل الله اى بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته وتبديل الانزال بالمجئ للايذان
بعلوشانه الموجب للايمان به بعث حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما دون الاشتروا
لما قيل من الفصل بما هو اجنبى بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله والان البغى
مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سيأتى من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء
والذى بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمخصوص بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم بمعلل
بالبغى الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذى هو الوحى على من يشاء اى يشاؤه ويصطفيه من عباده
المستأهلين لتحمل اعباء الرسالة وما لكم تعليل كفرهم بالمنزل بجحدهم للمنزل عليه واثبار صيغة التفعيل ههنا

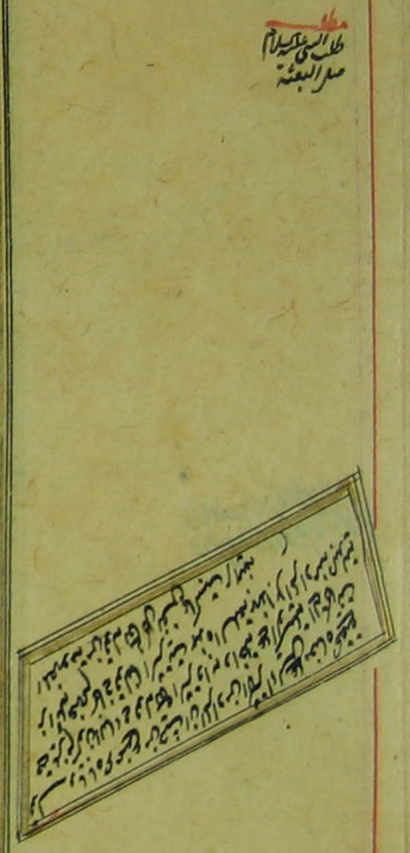

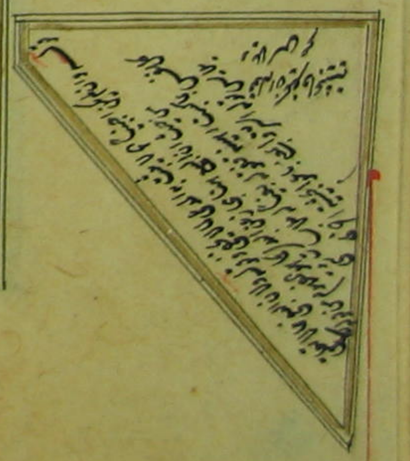

لما يذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثيره حسب تكثره فباؤا بغضب على غضب اى رجعوا ملتبسين
بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبى بعث بالحق وبغوا عليه وقيل
كفروا بجحد عليه السلام بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقرئ بما الله مغلولة وغير ذلك من فنون
كفرهم وللكافرين اى لهم والاظهار فى موقع الاضمار لكمال شناعة كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين
يراد به ايلامهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبنى على طمع النزول عليهم
وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه الصلوة والسلام واذا قيل من جانب محمولين لهم
اى لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما فى لام التبليغ امنوا اما انزل الله من الكتب الالهية
جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما
آمنوا به فيما فى حيز الصلة وموافقته له فى المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان
بما انزل الله قالوا نؤمن اى نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به التورية وما انزل على انبيائنى اسرائيل
كتقرير حكمها ويدخلون فيه ان ما عداه وان كان منزلا عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم مقتفى الانزال عليهم
بكتابهم بما فى المنزل من الاحكام واما انبياء بنى اسرائيل عليهم السلام وهو الظاهر لاشتراكهم فى مزية الايمان بان عدم ايمانهم
بما فى قالوا لما امروا من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التورية وما فى حكمها
بحسب تكلم ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبنى على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلوا ريد
بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم بالعزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يرشد عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه
عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بنى اسرائيل على الوجه الاخير ويجرى الموصول عند
الاضمار على عمومه بتغليب المخاطبين والغيب والاول اظهر وقرئ بما وراءه بالمد والقصر والوراء ما توارى
به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يوارى به وهو اما مه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اى قالوا اما قالوا
وهم يكفرون بما عداه وليس المراد بحتم بيان ان افرادا ما منهم بما انزل عليهم بالذكر ينفى ايمانهم بما وراءه
بل بيان ان ما يؤمنون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اى المعروف بالحقية
الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها
اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل فاكد ابو البقاء واما ضمير ما دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اى احقه
مصدقا لما معهم من صحة قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما انزل على انبيائنى اسرائيل
لما آمنوا به فيلزم الكفر بما آمنوا به وماكه انهم ادعوا الايمان بالمكروه وحاله انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به
الكفر بها قيل تبكيتهم لهم من جهة الله عز وجل من قائل بين التناقض من اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض
فى اقوالهم فلم اصلا حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل
الخطاب للحاضرين من اليهود وحكيت على طريق التغليب وحيث كانوا شاركين فى العقد والعلاكان الافتراء
على اسلافهم افتراء على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف فكانه قيل لهم
ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاى شئ كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيما حرم الله
معهودا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير الاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اى ان كنتم مؤمنين
فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف لدلالة ما اثبت فى الاخرى وقيل لا حذف فيه

بل بتقديم الجواب على الشرط وذلك لا يجاب الا على رأى الكوفيين وابى زيد وقيل ان نافية اى ما كنتم مؤمنين والا فقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخلت الام لانكار بما تقتضى فى تضاعيف تعداد النعم التى من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اى وبالله لقد جاءكم موسى بتلك المعجزات الظاهرة التى هى العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عدّ منها التورية وليس بواضح فان المجئ بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اى الهتكم من بعده اى من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فتكون التورية حينئذ من جملة البينات وثم للتراخى فى الرتبة و الاية على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بعد اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها فى غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم فى ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جنايا تهم الناطقة بتكذيبهم اى و اذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اى خذوا جادين فى العمل به فى التورية واسمعوا ما فيها سماع طاعة وقبول قالوا استيناف مبنى على سؤال سائل كانه قيل فاذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك تخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة السنعاء وكفروا جاء فى تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا فى قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبه وخلص فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما فى قوله تعالى انما يأكلون فى بطونهم نارا وتحلية حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم سبب كفرهم السابق الموجب لذلك قتلا كما نوا يرونه بحسبه او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سئلوا لهم السامرى قل تبكيتى خاطبنى اليهود اثر ما بتبين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون فى كل ما يأتون وما يذرون بئس ما يأمركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية حسبما تدّعون والمخصوص بالذم محذوف اى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفى اسناد الامر الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم لا يذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانه قدح فى دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التورية وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها واذ لا يقع الايمان بها مثل تلك القبايح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما تراه مما دل عليه ما سبق قيل كرر الامر مع قرب العهد بالامر الاول اما انه امر تبكيتهم واظهار كذبهم فى قولهم آخرا من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بل اكتفى بالاشارة اليه فى تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الاخرة اى الجنة او نعيم الدار الاخرة عند الله خالصة اى سالمة لكم خاصة بكم كما تدّعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتخصيصها على الحكاية من الدار وعند ظرف لكم او لكائنة او للاستقرار فى الخبر اعنى لكم وقوله تعالى من دون الناس فى محل النصب بخالصة يقال اخلص لى كذا من كذا والام للجنس اى الناس كافة او للعهد اى محمد وقومه فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دائرة البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال على كرم الله وجهه لا ابالى اسقطت على الموت او سقط الموت على وقال عمار بن ياسر بصفين الآن ألاقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر دفدكان يمنى الموت

قبيل جاء جيء على غاية لا فلح من ندم اى على التمنى وقوله لكم ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام والتبكيت على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط فى نفس الامر فقط بل فى اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك وجواب الشرط محذوف دلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستأنف غير داخل تحت الامر بقول من جهته سبحانه تبيانا لما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم فى دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما علموا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبى عليه السلام والقرآن وتحريف التورية وكما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة منافعه ومدار اكثر مصالحه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اى بهم وايثار الاظهار على الاضمار لزمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون فى جميع الامور التى من جملتها ادعاء ما ليس لهم وغيبة عن غيرهم وجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم ومن جملتها جمعيتهم لاى الاقاويل العذاب بما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبى عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى يهودى على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان العلمى وهو جار مجرى العلم خلافا لمن خصه بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير والاحرص والتنكير فى قوله تعالى على حيوة لا يذان بان مرادهم نوع خاص منها وهى الحيوة المتطاولة وقوى بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم فى الناس لا يذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة فى توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون باطلا اما كان اشد من حرص مشركين منكرين لله ولكل ذلك على جزم بمصيرهم الى النار وتجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اى واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة قوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز ان يكون فى حيز الرفع صفة للمبتدا المحذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اى ومنهم طائفة يود احدهم ان كان اى كل واحد منهم لو يعمر الف سنة وهو حكاية لود ادهم كما قيل يستبنى اعمر وانما اجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن وحمله النصب على انه مفعول لود اجرآه مجرى القول لانه فعل قلبى وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد الى احدهم اسمها ومزحزحه خبرها والباء زائدة وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه تعميره اى بمبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير فاعل بمزحزح والمصدر واقع موقع التعمير بدل منه وقيل هو مبهم يفسره ان يعمر مفسرة والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضمير لف والمعنى او اعتراض وقوله سنة تمييز لما فى الفعل من معنى التعمير كما فى قولهم تصبب عرقا وتفقأ شحما وامتلأ شبعا وسنهته وسنيهته وسنيته وقيل سنهته بجبهته لقولهم اسنهت الناقة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير فى كلام العرب العالم بكنه الشى الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اى عليم بخفيات اعماله فهو مجاز بهما لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل فى عبد الله صوريا كان من احبار فدك جاء رسول الله عليه السلام وسأله عمن ينزل عليه بالوحى فقال عليه السلام جبريل فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفى بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذى يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشد بانا انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب بيده تبخت نصر فنطلب من يقتله فنقتله بيابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فبأى حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا وروى انه كان لعمر رضى الله تعالى عنه ارض بأعلى المدينة وكان ممره على مدراس لليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد اجبناك وانا

على اصل السنة ومعنى البصير

لنطلع فيك فقال والله ما أجبتكم طمعكم ولا أسألكم شكا في ديني وإني أدخل عليكم لأراد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه إن كانا كما تقولون هما بعد وديني ولا أنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو لهما جميعا ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله تعالى ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في ديني الله بعد ذلك أصلب من الحجر وفي جبرئيل كسبيل وجبرئيل كمحمرش وجبريل وجبرال وجبرائيل كجبرائيل وجبرائل كجبرائيل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فإنه نزله فعليل جواب الشرط قائم مقامه والباء زائدة والأول جبريل عليه السلام والثاني للقرآن أضمر من غير ذكر إيذانا بنباهة شأنه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته كأسماء مذكر شيء من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القابل الأول له ومدار الفهم والحفظ وإيثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم فإن النقل بالعبارة من زيادة تقرير المضمون ما لا يخفى بإذن الله بأمره وتيسيره مستعار من تسهيل الحاجب وكتبه تليح بكمال توجه جبريل إلى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه أي من الكتب الإلهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من أهل الكتاب فلأوجه لعداوته بل يجب عليه محبته فإنه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم أو في لسبق عداوته تنزيله كتابا مصدقا لكتابهم موافقا له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لأن الاعتراف بها يوجب الإيمان به وذلك يستدعي انعكاس أحوالهم وزوال رياستهم وقيل إن الحجاج فقد خلع ربقة الإنصاف أو فقد آخر ما معه من الكتاب أو فليمت غيظا أو هو عدو لي وأنا عدو له من كان عدوا لله أريد بعداوته تعالى مخالفة أمره عنادا أو تحرج عن طاعته مكابرة أو عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره لتهويل تفخيما لشأنهم وإيذانا بأن عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله أحق أن يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وإنما أفرد بالذكر مع أنهما داخلان في الوصف منزلة التغاير في الجنس للتنبيه على أن عداوة أحدهما عداوة للآخر حتما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا أنهما متعاديان وللإشارة إلى أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهته سبحانه وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى جميعهم وقوله تعالى فإن الله عدو للكافرين إن لم يحوا بشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب وإيثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للإيذان بأن عداوته المذكورين كفر وأن ذلك يقتضي لا يحتاج إلى الإخبار به وإن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المتوجه لأشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكال كميكائيل وميكاءل كميكاعيل وميكائل كميكاعيل وميكئيل كميكعيل ولقد أنزلنا إليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها إلا الفاسقون أي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فإن من لم يكفر بتلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم أفراد ذلك النوع من كفر أو غيره وعن ابن عباس أنه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت

أو الملام للعهد أي الفاسقون المعهودون وهم أهل الكتاب المحرفون لكتبهم فخارجون عن دينهم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا أو كلما عاهدوا عهدا الهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي كفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما أشير إليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما نقول فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقرئ بكسر النون الواو على أن تقدير النظم الكريم وما يكفر بها إلا الذين نقضوا أو نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا أو عهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا إما مصدر مؤكد لعاهد ومن غير لفظه أو مفعول له على أنه بمعنى أعطوه العهد هذه فريق منهم أي رموا بالنقض ورفضوه وقرئ نقضه واستناد النبذ إلى فريق منهم لأن منهم من لم ينبذه بل أكثرهم لا يؤمنون أي بالتوراة وبهذا دفع ما يتوهم من أن النابذين هم الأقلون وأن من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون بها سرا وأما جاءهم رسول هو النبي عليه السلام والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء أو بمحذوف وقع صفة لرسول للإفادة مزيد تعظيم تأكيد ما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية مصدق لما معهم من التوراة من حيث إنه عليه السلام قرر صحتها وحقق حقيقة نبوة موسى عليه السلام بما أنزل عليه من حيث إنه عليه السلام جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب أي التوراة وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي عليه السلام ممن كانوا يستفتحون به حسبما ذكر لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لأن النبذ عند مجيء النبي عليه السلام لا يتصور منهم وأفراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل أو كلما عاهدوا عهدا وعهد النبذ فريق منهم لأنه معظم جناياتهم ولأنه تمهيد لذكر أتباعهم لما تلوا الشياطين وإيثارهم له عليه والمراد بإتيانها إما إتيانها علما بالدراسة وحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم وإما بحر الأمر الطاعي عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير لإيذان بكمال التباين بينهم وبين ما نعت في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله الذي أوتوه قال السدي أوتوه قال الذي جاءهم محمد عليه السلام عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بالكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الآية وإنما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما ألزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل فإن ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كأنه قيل كتاب الله الذي جاء به فإن مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه بالكلية بحيث لا يرى بوراء ظهر استغناء عنه وقلة التفاوت حسيه كأنهم لا يعلمون جملة حالية أي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين من لا يعلمه فإن أريد بهم أحبارهم فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الإيقان ولا يعبأ فوق ما فيه من دلائل نبوته عليه السلام ففيه إيذان بأن علمهم به رفضين لتهم يتجاهلون أو كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله أو لا يعلمونه أصلا كما أذا أريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في إعراضهم عما في التوراة من دلائل نبوته عليه السلام وإيذان بأن ما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون هو العلم بأنه كتاب الله ففيه حينئذ وجه الأول من الاشعار بأنهم متيقنون في ذلك وإنما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل إن جميل اليهود أربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمن أسلم من أهل الكتاب وهم القليلون حسبما ألهمهم بقوله عز وجل بل أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وعتوا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذ فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها بجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوا باطنه وهم

حواشي

واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التى كانت تقرؤها
الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتخصص فيه والاقبال عليه
بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجئ الرسول عليه السلام فلا يتأتى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو
معطوف على الجملة وقيل على اشتروا على ملك سليمان اى فى عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع
ويصعدون الى ما سمعوا الكاذب يلقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك
فى عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر
الانس والجن والطير والريح التى تجرى بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلم التى خصه الله
بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا فى خلال ذلك اشياء من
فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب
اوحوا اليهم انه من علم سليمان عليه السلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تبرئة
لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا
للمبالغة فى اظهار تنزاهته عليه السلام وكذب بها هيئة بذلك ولكن الشياطين وقرئ بتخفيف لكن ورفع
الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو
عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا بالاستمرار السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء و
اضلالا او جملة فى محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما فى لكن من رائحة الفعل
كاف فى العمل فى محلين او فى محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من خبر الاول وصيغة الاستقبال
للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستأنفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير
رجوعه الى فاعل تبعوا فهى اما حال منه واما استينافية فتحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر
الكلدانيين الذين كانوا فى قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هى المدبرة لهذا العالم
ومنها تصدر الخيرات والشرور والشقاوة والنحوسة ويستدلون بحوادث بواسطة تمزج القوى السماوية
بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم
يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتهم وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذ
كل واحد منها مثالا ويشتغلون بتعظيمها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا
مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة فى هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب
الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية فى القوة والتأثير الى حيث
يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين
بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة
ولا خلاف بين الامة فى ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثانى وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس
القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم وللترقى الى حيث يخلق الله تعالى عقيب ذلك على سبيل اجريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كفر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد
معرفة صدق الانبياء عليهم السلام غالبا غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك ان كان خيرا منشرعا فى كل

ما يأتى ويذر وكان من يستعين به من الارواح خيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة
ولم يكن فيما ظهر فى يده من الخوارق ضرر شرعى لاحد فذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة
الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لامحالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعا
ونها من غير الشر اكى فى الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجرى مجراها من اظهار الامور
العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والابخار فاطلاق
السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه فى الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفى سببه
او من الصرف عن الجهة المعتادة لما انه فى اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهرى عن الفراء ويونس
وما انزل على الملكين عطف على السحر اى ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او هو نوع اقوى منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اى واتبعوا ما انزل وهما ملكان انزلا لتعليم السحر
ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييز ابنيه وبين المعجزة لئلا يفتتر به الناس او لان السحر
كثرت فى ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكان يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين
ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضته او لتلك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى
من ان الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصدر من ذنوب بنى آدم غيروهم وقالوا لله سبحانك انت هؤلاء الذين اخترتهم
خلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني فقالوا سبحانك ما ينبغى
لنا ان تعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم
واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب فى البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس
نهارا ويعرجا الى السماء آناء وقوتهما عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان
بينهم نهارا فاذا امسيا وذكرا اسم الله الاعظم صعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امرأة من
اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من فرس وقيل كانت من اهل فارس ملكة فى بلدها وكانت خصومتها مع
غلام لها يأبا فافتتن بها فراوداها عن نفسها فابت فالحت عليها فقالت لا الا ان تقضيا لى على خصمى
فغعلا ثم سألاها ما لا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سألاها ما لا فقالت لا الا ان تشربا الخمر
وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد التيا والتى ثم سألاها ما لا فقالت لا الا ان تعلما فى ما تصعدان
به الى السماء فعلما ها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا منها بالعرض حسب
عادتها فلم تطعها اجنحتها فعلما ما حل بها وكان فى عهد ادريس فالتجأا اليه يشفع لهما ففعل
فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان بابل
قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط من حديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه
على ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز
التى يقصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما وتعضد
قراءة ملكين بالكسر ببابل الباء بمعنى فى وهى متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من ملكين او من الضمير فى
انزل وهى بابل العراق وقال ابن مسعود بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية
او للتأنيث والعلمية هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من

اى اليهود الذين حكيت جنايا تهم لمن اشتراه اى استبدل ما تلوا الشياطين بكتاب الله عز وجل والام للابتداء او جواب قسم محذوف والثانية لام الابتداء والشراء صلتها وقوله تعالى ما له فى الآخرة من خلاق اى من نصيب جملة من مبتدا وخبر ومن مزيدة فى المبتدا وفى الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق فى الآخرة وهذه الجملة فى محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة فى حيز النصب سادة مسد مفعولى علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد والجملة ولقد علموا مقسم عليها ودون جملة لمن اشتراه هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء والشراء خبرها وما له فى الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط لمحذوف اكتفى عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم لجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما ولبئسما شروا به انفسهم اى باعوا والام جواب قسم محذوف ويخصوص بالذم محذوف اى وبالله لبئسما باعوا به انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتخسيرا كون الشرى بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشترى متعين وهو ما تلوا الشياطين ولان متعلق الذم هو الماخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه فى تفسير قوله سبحانه بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اى يعلمون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون فيجه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب عليه على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمى العقل العزيزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا او لو انهم آمنوا اى بالرسول الموحى اليه فى قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله او بما انزل اليه من الآيات المذكورة فى قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او التوراة التى اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بهم واتقوا المعاصى المحكية عنهم مثوبة من عند الله خبر جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خير اما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير اسلوب الكلام الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم وتجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اى شئ ما من المثوبة كائنة من عند الله تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اى لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان وقوع اجلة الابتداء جوابا للو غير معهود فى كلام العرب وقيل لو للتمنى ومعناه انهم من فطانة لحال بحيث يتمنى العارف ايا نهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وامثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير لبنوا الى اجله لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الحذر والاشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا امر اعاة المبالغة فى الرعى وهو حفظ الغير وتدبير امورهم وتدارك مصالحهم وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله عليه السلام شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظر نا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتباون بها فيما بينهم وهى راعينا فيقال معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين

على به علموا عن العمل ومن موصولة فى حيز الرفع بالابتداء

وجه الاشارة الى ان الايمان وحسنوى كما فيه ان فى الاية اشارة

حرف اما فى قوله واما تخاف

الا حتياج بجا لا يؤمن من هو اله خير

اى

البهت والمرت بمعنى الكسر لا نصرفا وامائن قرا حمكيين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين معاصرا بهما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من جن بهما المراد من حمكيين بالكسر وقرئ بالرفع على انهما هاروت وماروت وما يعلمان من احد من مزيدة فى المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذى يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما فى قولك ما جانى من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعدد ما لكونها مصدرا وحملها عليها مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس طريقا فيما يتعاطيانه شان سوا بالبعض الناس عن تعلمه اى وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحا ويقبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيقته كفر ومن توقف عن العمل به او اتخذه ذريعة للتقاعد عن الاحتراز عما يبقى على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيقته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النفى ليست هذه المقالة فقط بل من حيلها التزام المخاطب بموجب النهى لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام فى بيان اعتناء الحمكيين بشان النصح والارشاد والجملة فى محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اى ولكن الشياطين كفروا بتعليمهن الناس ما انزل على الملكين وبجملهم على العمل به اغواء واضلالا وتحكم انهما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما تسهيل من ان ما فى قوله تعالى وما انزل على الحنافية وجملة معطوفة على قوله وما كفر سليمان جئ بها لتكذيب اليهود فى القصة اى لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقى الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فيما ياتى ان المقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس حالا بلائمه وصف رؤسائهم باذكر من النهى عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال فى حكم تنحية المبدل منه فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فانها فى قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما فى قوله تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اى بسببه وباستعماله بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وتشديد الراء بلا همزة وزوجه بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والنشوز عند ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء الا ان السحر هو مما شرع فى ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعلمون به غيره الناس ويعتقدون انه حق فيكفرون فبتبين ازواجهم وما هم بضارين به اى بما تعلموه واستعلموه من السحر من احد اى احدا ومن مزيدة لما ذكر فى قوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر والمعهود ان كان زيادتها فى معمول نفى مبنى الا انه حمل الاسمية فى ذلك على الفعلية كما فى قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله تعالى ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين اومن مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفى والضمير المجرور فى به اى وما هم بضارين به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضارى على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصلا بين المضافين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يفعلون به العمل اولا ان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المثوبة بالنفع والضرر بل هو شر محض وضرر محض لانهم يقصدون به التخلص عن الاعتراز باكاذيب من يدعى نبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس من حتى يكون فيه نفع فى الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن من غوائله خير كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن ان تجر الى الغوائة وان تحاك من قال عرفت الشر لا للشر لكن للتوقية ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا

ذلك افترضوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي عليه السلام يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه السلام
الى الرعن وهو الحمق والهبل روي ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده
لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله عليه السلام لاضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون عن
ذلك قطعا لألسنة اليهود عن التدليس وأمروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اي انظر الينا بالحذف
والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من أنظره اذا امهله وانظرنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع
للتوقير وراعنا على صيغة الدعاء اي قولوا اذا رعينا كذا رعيا ولا بين لانه لما اشتمله قولهم راعنا وكان سببا للسبب باكر عن الكف
واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله عليه السلام ويلقي عليكم من مسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا
الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر تجدوا واعتنا به حتى لا تراجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا
سماع طاعة وقبول ولا تكونوا سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا ولله الكافرين اي اليهود والذين لم تسلموا
بعد منكم المذكور الاكفرا بآياتهم وجعلوه سببا لتهاونهم برسول الله عليه السلام وقالوا له ما قالوا عذاب اليم بما اجترؤا عليه من الفظيعة
وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع عذير للمنهي طابين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه
ولذلك يستعمل فيما لا يكاد يمكن ومن للبيان وفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير لكاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم
ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعتبر عنه في هذه الآية بالخير فكأنه
اشير الى ان سبب تحريفهم له الا ما حكي عنهم لو قوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود
يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى من اهل الكتاب
ولا المشركين للتبيين كما في قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لاستغراق النفي كما في قوله تعالى ما يكن من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
عليكم في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعيين الفاعل وتصريح الآتي وقوله تعالى من خير
هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة لاستغراق النفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعم
وغيره من العلم وحصره كما قيل بإتيانه وصفه فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لما ظهر كما
العناية به لانه المدار لعدم ودهم وفي قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية لكاشعار بعلية التنزيل
للخير والاضافة لضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المؤمنين من حيث تعبدهم بما فيهم ونم بعضهم
بذلك كمعاودة الدارين كيف لا وهم من ذلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع التنزيل على النبي عليه السلام وصيغة
الجمع لما بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي عليه السلام بل وصف مشترك بين الكل هو تخلوه عن الرياسة عند اليهود
وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يسرون انفسهم حتى بان يوحى اليهم فيجدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من
الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء ان يكون في بهائط الوحي وانتم اميون واما المشركون
فلانهم كانوا يحكمون لهم من جاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة
ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الوداد اشهر لاجتماع اثناء وذكر
ابتلائهم لم يلزم من نفي ودادتهم لذكر نفي ودادة المشركين له فرب ت كلمة لا لتأكيد النفي والله يختص برحمته
جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه
اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين باظهر وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي رضي الله عنه بنبوته خصهم
بها محمدا عليه السلام فالفعل متعد وصيغة الافتعال لما بناء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للايتاء الموافق لقوله تعالى

ان تنزيل الله من فضله على من يشاء الزيادة تشريف صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والبناء
داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه
بحسب ارادته عز وجل تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقدير
وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان اتيان النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى
ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيته الجارية على سنن الحكمة البالغة
وتصدير الجملتين بالاسم الجليل لايذان بفخامة مضمونيهما وكون كل منهما مستقلة بثبوتها فان الاضمار في الثانية مبني
على توقفها على الاولى ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستأنف سيق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل
الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له راسا قيل نزلت حين قال المشركون
او اليهود والاثرون لاي محمد عليه السلام يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت
الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما
جميعا وانما آثرها اذ فيها من القلب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على مفعولية وقرئ ننسخ من الخ اي ما نأمر
او نجبر بل ننسخها او نجدها منوخة ونساها من النساء اي نؤخرها وننسأها بالتشديد وننسها من خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم بناء للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها ومعنى
ان كل آية نذهب بها على ما يقتضيه حكمة ومصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا لا بد اولا غير بدل آت
بخير منها اي بزوج آخر هو خير للعباد وعسب للطاع في النفع والثواب من الداهية وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اي
بما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار في ما دونها ايضا وتخصيصها
بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور فلك الاحكام
الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من حكم ومصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار
كاحوال المعاش فربما حكم يقتضيه حكمة في حال اخرى تقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين من حكمة والاحكام
من انتظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وخطاب لبني عليه السلام
وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش وكما
بهذا التقرير الاستشهاد بالعلم بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة
الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم
الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال في
قوله سلطانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتها وجبروتها وخبر مقدم
وملك السموات والارض مبتدأ وجملة خبر لان واثباره على ان يقال ان لله ملك السموات والارض للقصد الى التقوي الحكم بتكرير
الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكروا اما يعطف ان مع ما في خبرها على ما سبق من مثلها رد ما لزنا
التأكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفاية في الوقوف على ما هو مقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى
على جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزم ان لقدرة النافذة على التصرف الكلي فيها
ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما يقتضيه مشيته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته
شيء من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير معطوف على جملة الواقعة خبرا لان داخل معها في

تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تساوى الخطابين فى اليقين للامة ايضا واما افراده عليه السلام بهما فلان علومهم مستندة الى
علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية مهابته والايذان بمقارنة الولاية وصنعة للفقرة وبغية
والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى باذكر من الايمان بما هو خير من المنسوخ او مثله فان مجرد قدرته تعالى
على ذلك لا يستدعى حصوله البتة وانما الذى يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم ممن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال
بعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة فى امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولى والنصير
ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من حضور وما اتى بمجيئه لا عمالها وكم خبر مقدم ومن ولى مبتدا
مؤخر زيدت فيه كلمة من لاستغراق وما مجازية وكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولى ومن مزيدة لما ذكر
ومن دون الله فى حيز النصب على الحالية من اسمها لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله وجمع ان قضيته
العلم باذكر من الامور الثلثة هو جزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم فى امر من امور دينهم ودنياهم الا ما هو خير لهم والعلم بوجه من
الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التى من جملتها ما قالوا فى امر النسخ وقولوا لنا
ام تريدون تجريد التى عن النبى عليه السلام وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن كلام
على العلم يوجب عليهم باذكر عند ظهور بعض مخايل المباهتة منهم فى ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من
ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة
دون متعلقها للمبالغة فى انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدور نفسه وجمع الخ لتريدون
ان تسألوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو فى تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين فى اموركم بفضل
الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤنه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل حكم الداعية الى النسخ
وقيل سألته عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهى شجرة كانوا يعبدونها وتعلقون عليها
اسلحتهم وتسمى به وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اى سؤالا
مثل سؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سأل موسى
لان المشبه هو مصدر المبنى للفاعل اعنى سألكم الخ المبنى للمفعول اعنى مسؤلية الرسول عليه السلام حتى يشبه
مسؤلية موسى عليه السلام فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر فى جانب المشبه السألية وفى جانب المشبه به
المسؤلية واكتفى باذكر فى كل موضع عما ترك فى الموضع الآخر كما ذكر فى قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان تكون ما موصولة عائدا على العائد محذوف اى كالسؤال الذى سئله موسى وقوله تعالى من قبل
متعلق بسئل جئ به للتاكيد وترى سبيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اى يختره ويأخذه
لنفسه بالايمان مقابلته بمزاولته وترى ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اى السؤال
المذكور او ارادته وحاصله ومن تترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب مصالح العباد التى من جملتها الآيات الناسخة التى هى خير محض
وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اى عدل وجار من حيث لا يدرى عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم
الحق والهدى وتاه فى تيه الحيرى وترقى فى مهاوى الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم لتشهير من اول
الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غنى عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد
من الملك ويجعل مقدما للشرطية رومالمبالغة فى تحرج والاخراط فى الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف
الى الموصوف لقصد المبالغة فى بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج حصول الصورة فى الصورة اط صلة

وقيل

وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا او فاضافة الرسول اليهم على القولين باعتبار انهم من امته الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بعزائم من
الايمان وترك صرف قدر تهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه ودكثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار
اليهود روى ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد
الم ترد وما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار
كيف نقض العهد فيكم قالوا اشد قال فانى عاهدت ان لا اكفر بمحمد عليه السلام ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ
وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا
ثم اتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو نحن
معنى التمنى وصيغة الغيبة كما فى قوله حلف ليفعلن وقيل هى بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب ونيابتها وما
بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا التقدير وددارادكم وقيل هى على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم
كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير او
كفارا كما فى قوله رمى حدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعور من السود بيضا ورد وجوههن
البيض سودا وحسدا مرحال من مفعوله والاول ادخل فى افادة من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر
وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان
مع توسيط بين المفعولين للاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبح الصارف
للعاقل عن مباشرته واما لمنافاة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى
حسدا علة لود او حال اريد به نعت لجمع اى حاسدين لكم وقد الاسف على من له خير يخزه من عند انفسهم متعلق
بود اى ود واذ ذلك من اجل شهواتهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اى
حسدا منبعثا من اصل بعد سهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وما عاينوا فى التورية
من الدلائل وعلموا انكم متمكنون به وهم منهمكون فى الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح
ترك التثريب والتانيب حتى يأتى الله بامره الذى هو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية
عليهم او الاذن فى القتال وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه منسوخ بآية السيف ولا يقدح فى ذلك ضرب الغاية لانها
لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الود بذلك من ان يكون ناسخا كما فى قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله على كل شئ قدير
فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما قبل علية ما قبله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا
امرا بالصبر وحمد اثرة والتجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة
او غير ذلك اى اى شئ من خيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اى تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم
ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ود
والضمير لاهل الكتاب بين جميعا لئن يدخل جنة الا من كان هودا او نصارى اى قالت اليهود لن يدخل جنة
الا من كان هودا او النصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله وخبره وقالوا كونوا
هودا او نصارى تهدوا وليس مرادهم بالطبع ان ذلك من اقوام اليهودية والنصرانية لاضلال المؤمنين ورد هم
الى الكفر والهود جمع هائد وهود جمع عائد وبزل جمع بازل والافراد فى كان باعتبار لفظ من وجمع فى خبره باعتبار

معناه وفرى الامن كان هودیا او نصرانیا تلك اما نیهم الاماني جمع امنیة وهي ما یتمنى كالاعجوبة والاحدوثة وحملة
معترضة مبنیة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة الیه وجمع باعتبار رصدوره عن جمع وقیل فیه حذف مضاف ای اشاعیل
تلك الامنیة اما نیهم وقیل تلك اشارة الیه والى ما قبله من ان لا ینزل على احد من خیر من ربهم وان یرد وهم كفارا
ویرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقین فانها یا ما یطلب له البرهان ولا ما یحتمل الصدق والكذب
قیل هاتوا اصله آتوا اقلبت الهمزة هاء ای احضروا احتجتم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقین في دعواكم
هذا ما یقتضیه المقام بحسب نظر الجلیل والذي سوغ علیه اعجاز التنزیل ان یحمل الامر التبكیتي على طلب البرهان على
اصل الدخول الذي یقتضیه دعوى الاختصاص به فان قوله تعالى بلى الخ آخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم
لنفي ما اثبتوه واذ لیس اثبات به مجرد دخول غیرهم لجنة ولو معهم لیكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع تعالى
اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غیرهم بالدخول كما یستفرغه باذن الله تعالى ظهر ان ممنعي اصل دخولهم ومن
ضرورته ان یكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان علیه لا اختصاصهم به لیتجدد مورد الاثبات والنفي واما
عدل عن ابطال صریح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغایة حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم
عن اثباته واما نفس الدخول فحیث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته
اعجز واما الفائز به من انتظم قوله سبحانه من اسلم وجهه لله ای اخلص نفسه لله تعالى لا یشرك به شیئا غیرها
بالوجه لانه اشرف الاعضاء وجمع المضاف وهو موضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص
الاخلاص او توجهه وقصده بحیث لا یلوي عزیمته الى شيء غیره وهو حسن حال من ضمیر اسلم ای وهي انه محسن في
جمیع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقیقة الاحسان الاتیان بالفعل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي
التابع حسنه الذاتي وقد فسره علیه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه یراك فلما اجره
الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما یدخل به هو فیه دخولا اولیا وایا ما كان فمقصوده
بصورة الاجر لا یناني بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة تبدله بدونه وقوله تعالى عند ربه حال من اجره والعامل
فیه معنى الاستقرار في الظرف والعندیة للتشریف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمیر من اسلم موضع ضمیر
الجلالة لاظهار مزید اللطف به وتقریر مضمون جملة ای فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى
كماله والجملة جواب من ان كانت شرطیة وخبرها ان كانت موصولة والا فالرابط تضمنها معنى الشرط فیكون الرد
بقوله تعالى بلى وحده ویجوز ان یكون من فاعلا لفعل مقدر ای بلى یدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف
على ذلك المقدر وایا ما كان فتعلیق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسن المختصین بالدخول یأبى ان
یخاض بان اولئك المدعین من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل ولا خوف علیهم في
الدارین من طوارق مكروه ولا هم یحزنون من فوات مطلوب ای لا یعتریهم ما یوجب ذلك لا انه یعتریهم لكنهم
لا یخافون ولا یحزنون وجمع في الضمائر الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار
اللفظ وقالت الیهود لیست النصارى على شيء بیان لتفصیل كل فریق صاحبه بخصوصه اثر بیان تفصیلیه كل من
عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله علیه وسلم واتاهم احبار الیهود فتناظروا فافتخر
احبارهم فقالوا الهم لستم على شيء ای امر یعتد به من الدین او على شيء مما منه اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل
من لا شيء وكفروا بعیسى والانجیل وقالت النصارى لیست الیهود على شيء على الوجه المذكور وكفروا بموسى و

التوراة

التوریة لانهم قالوا ذلك بناء على الامر على منسوخیة التوریة وهم یتلون الكتاب الواو والحال والام للجنس ای
قالوا ما قالوا والحال ان كل فریق منهم من اهل العلم والكتاب ای كان حق كل منهم ان یعترف بحقیة دین
صاحبه جسما ینطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك ای مثل ذلك الذي سمعت به والكاف
في محل النصب آتیا على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله للافادة القصرى قولا مثل ذلك القول یعنیه
لا قولا مغایرا له قال الذین لا یعلمون من عبدة الاصنام ومعطلة ونحوهم من تحجته ای قالوا الاهل كل دین
لیس على شيء واما على انها حال المصدر المعرف الدال علیه قال ای قال القول الذي لا یعلمون حال كونه مثل ذلك القول
الذي سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله ای مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة
الیهود والنصارى وهذا توبیخ عظیم لهم حیث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا یعلم اصلا فالله یحكم بینهم ای بین
الیهود والنصارى فان ساق النظم لبیان حالهم واما التعرض لمقالة غیرهم لاظهار بطلان مقالاتهم ولان المحاجة
المحوجة الى الحكم انما وقعت بینهم یوم القیمة متعلق بیحكم وكذا ما قبله وما بعده وتاخیر ضمیر فیه لاختلاف مرجع فیما كانوا
فیه یختلفون بالقسم لكل فریق ما یلیق به من العقاب وقیل حكمه بینهم ان یكبهم وید خلهم النار والظرف الاخیر متعلق
بیختلفون قدم علیه للمحافظة على رؤس الآی لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكارا واستبعادا لان یكون احد
اظلم ممن فعل ذلك او مساویا له وان لم یكن سبك التركیب متضمنا لانكار المساواة وتفیها یشهد به اهل الفاشي
والاستعمال المطرد فاذا قیل من اكرم من فلان اولا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كریم وافضل من كل
فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان كبیت النزول بفعل طائفة معینة في مسجد مخصوص بروي
ان النصارى كانوا یطرحون في بیت المقدس الاذى ویمنعون الناس ان تصلوا فیه وان الروم غزوا اهله فخربوه
واحرقوا التوریة وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس ان طیطوس الرومي ملك النصارى واصحابه غزوا بني اسرائیل
وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراریهم واحرقوا التوریة وخربوا بیت المقدس وقذفوا فیه بالعذرة وذبحوا فیه بالخنازیر
ولم یزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله تعالى عنه واما وقع المنع على المساجد وان كان المنهي عنه الناس فلان
فعلهم من طرق الاذى والتخریب وخربها متعلق بالمساجد لا بالناس فان فعلهم مع كونه على حاله وتعلق الایة الكریمة بما
قبلها من حیث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقیل هو منع المشركین رسول الله علیه السلام ان یدخل
المسجد الحرام عام الحدیبیة فتعلقها بما تقدم ظاهر من جهة ان المشركین من جملة الجاهلین الذین كل من عداهم كسواد على شيء
ان یذكر فیها اسمه تعالى مفعول منع كقوله تعالى وما منع الناس ان یؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالایات
الا ان كذب بها الاولون ویجوز ان یكون ذلك بحذف الجار مع ان وان یكون ذلك مفعولا له ای كراهة ان یذكر
فیها اسمه وسعى في خرابها بالهدم او التعطیل بانقطاع الذكر اولئك الخ انوف الظالمون انفسهم فخرا
ما كان لهم ان یدخلوها الا خائفین ای ما كان ینبغي لهم ان یدخلوها الا بخشیة وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخریبها
او تعطیلها او ما كان الخ ان یدخلوها الا على حال التهیب وارتفاع الفرائض من جنة المؤمنین ان یبطشوا بهم فضلا
ان یستولوا علیها ویلوها ویمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك فیكون وعدا للمؤمنین
بالنصر والاستخلاص ما استولوا علیه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روي انه لا یدخل بیت المقدس احد من النصارى
الا متنكرا مسارقة وقیل معناه النهي عن تمكینهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنیفة
مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بین المسجد الحرام وغیره لهم ای لاولئك المذكورین في الدنیا خزي ای

كما هو رای الشافعي رحمه الله

كما هو رای ابي حنیفة رحمه الله

مطلب في تخریب بیت المقدس

ب

خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار
لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في المظلم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من
الخزي والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيما عند وروده فضل تمكن كما
في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اي
كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث العبادة
العبادة مكان منها دون مكان فان متعلقهم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى او المسجد الحرام فاينما تولوا
اي ففي اي مكان فعلتم توليته وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبني على
الفتح ولا يتصرف سوى الجر عن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدا والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي
اي مكان جهته التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد ومكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى حضوره
وعلمي اي ضروعالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما تتجهوا القبلة ان الله واسع
باحاطته بالاشياء او بر حمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل
لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلوة المسافرين على الراحلة اينما توجهوا وقيل في قوم عميت عليهم
القبلة فصلوا الى اي ناحية مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له خطاه لا يلزمه القضاء
وقيل اي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف آخر
من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت هي على صلة من ما بينهما من
الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو
على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله
والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير
بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له مما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه
على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه التكثير من
حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهته
العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته
مقام المصدر مع الفعل مالا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزيها حقيقا به فيفيد
المبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد تنزهه تعالى عما لا يليق
به لا اثباتا له تعالى وقوله تعالى بل له ما في السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل لاضراب
عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى شيئا من المخلوقات ومن سرعة فنائه المؤجبة الى اتخاذ
ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها
بالآخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق
جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما بينهما كائنا
ما كان من اولي العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته
ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة بغير

اولي العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا الى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون للتغليب
او كل من جعلوه له والدالة قانتون اي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذي به ولا قانون ينتحيه
فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نحو اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى تاه
كما ابتدعه كما ذكره في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل
هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو مشهور اي بديع سمواته
من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم السفهاء وتقريره ان الوالد المنفعل انفصالا
مادة عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا
محذوف اي هو بديع وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير له على رأي من يجوز الابدال من الضمير المجرور
كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى امرا اي اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا وحمل القضاء
على الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشيء ايجابا اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى
ربك الا تعبدوا فانما يقول له كن فيكون كلاما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والاقتضاء
وانما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات بحسب تعلق مشيته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة
المأمور المطيع لآمر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وترويح لحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد
شان من يفتقر في تحصيل مراده الى مباد يستدعي ترتيبها مرورا فآنا وتبدل اطواره وفعله تعالى متعال عن ذلك
وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع آخر من قبايحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم في شان
التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى
ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم عملهم بموجب علمهم او لما ان ما يحكى عنهم لا يصدر
عن ذي شبة علم اصلا وقال قتادة والكثرون هم مشركو العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقالوا
لولا ينزل علينا الملئكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا بلا واسطة امر او نهيا كما يكلم الملئكة او هلا يكلمنا نبوته
على بنوتك او تاتينا آية مجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا انيل مرتبة المفاوضة الآتية
من غير توسط الرسول وتمحلك ومن الغلو والمكابرة لا حيث لم يعدوا اماتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من
فنسبوا الآيات قالهم الله تعالى اي يرد ذلك كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والغلو قال الذين من قبلهم
من الامم الماضية مثل قولهم هذا البهت الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة واحدة الآية وقالوا هل يستطيع
ربك هو وقالوا اجعل لنا الها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد والآيات تشابهت آثارها وتماثلت
البباطلة قد بينا الآيات اي نزلنا بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل
لا انا بينا ها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا
رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وايراد التبيين المفضح عن كمال التوضيح مكان الآيات الذي طلبوه ما
لا يخفى من سحر البيان وتهكم انهم اقترحوا آية فذة وكنا قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم
يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله اية انا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد وبحر آنا ارسلناك بالحق
اي ملتبسا بالقرآن كما في قوله تعالى بل جاء بالحق وبا لصدق كما في قوله تعالى الحق من ربك وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من

هو من سبحان وانتصابه على المصدرية

على حالة لو ان في القدم حاتما

المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اى ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعلى من تقدمك ونذيرا
لمن كفر به او رسلناك بها وقت حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب لتختارو الانفسهم ما
احقوا لاقاسر اليهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم مالهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت
ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ لا تسأل على صيغة النهى اى اننا بكمال سعة رحمتنا وشمول عنايتنا
لك انهينا غاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسان او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرا وحمله على نهى النبى عليه السلام عن السؤال
عن حال ابويه مما لا يليق بعده النظم الكريم وتفخيم المتاجج من النار وزفرة التعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب
ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الا ايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمتهم باثبات الطائفتين خاصة اثر بيان ما يغمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى
الموت واير اد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفى كما مر من ان تعلق اليهود فى اضمال هذه العظائم اشد من النصارى
والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اى لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم
ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم تقة بظهور المراد وفيه من المبالغة فى اقناط عليه السلام
من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل امتنوا منه عليه السلام مالا
يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف تيوهم اتباعهم لكلمته عليه السلام وهذه حالتهم فى انفسهم و
معاملتهم فيما بينهم واما انهم اظهروا للنبى عليه السلام وشا فهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان يا لغوا فى طلب
رضاك حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بوجه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى
صريح فى ان ما وقع هذا جوابا عنه كيف وعن تلك العبارة بل ستلزم مفهومها او يلزم من الدعوة الى اليهودية والنصرانية
وادعاء ان الاهتداء فيها كقوله عز وجل حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اى قل بردا عليهم ان هدى الله الذى
هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يحق ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى
كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اى ارائهم الزائغة الصادرة عنهم بمقتضية شهواتهم انفسهم وهى
التى عبر عنها فيما قبله بملتهم اذ هى التى ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو
الحق بتحقيق للحملة فقد عبر وا تغيرا بعد الذى جاءك من العلم اى الوحى او الدين المعلوم صحته حالك من الله
من حصة العزيزة من ولى بلى امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفى الولى نفى النصير
وسط بينهما حرف النفى للتاكيد لا بين المعطوفين لتاكيد النفى بلا وهذا من باب التهييج والا لطاف والا فانى
يتوهم امكان اتباعه عليه السلام لملتهم وهو جواب القسم الذى وطاه اللام والكتفى به عن جواب الشرط الذين
اتيناهم الكتاب هم المؤمنون اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته ببراعة لفظه
عن التحريف وبالتدبر فى معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة وتخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له او الملك
اشارة الى الموصوفين باتيان الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى
الفضل يؤمنون به اى بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعضه ومن يكفر به
بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى
انعمت عليكم ومن جملتها التوبة وذكر النعمة انما يكون شكرا وشكرا بالايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبى عليه السلام
ومن ضرورة الايمان به الايمان به عليه السلام واتى فضلتكم على العالمين اعرضت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة

تحت النعمة السابقة لانافرتها فيما بين فنون النعم واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزى فيه ذلك اليوم نفس من النفوس
عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيأ من الجزاء ولا يقبل منها عدل اى فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة فى النصح ولايذان بان ذلك فذلكة القصة والمقصود
من القصة طا ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع فى تحقيق
ان هدى الله هو ما عليه النبى عليه السلام من التوحيد والاسلام الذى هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين
اهواء زائغة وآراء فاسدة ومايدعونه من انهم على ملة عليه السلام فرية بلا مرية بينة ما صدر عن ابراهيم وابنائه الا بنبذ
من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبى عليه السلام وبكونه ذلك
النبى عليه السلام الذى استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاذ منصوب
على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبى عليه السلام بطريق التلوين اى واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا
بما وقع فيه من الامور الراعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر توجيهه فى اثناء تفسير قوله عز وجل
واذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر موخر اى واذا ابتلاه كان كيت وكيت
وقيل بما سيجئ من قوله لا ينال عهدى الظالمين والاول هو اللايق بجزالة الكتنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذ
خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عن ينتمون الى ملة ابراهيم وابنائه من الافعال والاقوال فيقتدوا
بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء فى الاصل الاختبار اى يطلب تخبره حاله المختبر ليتبع ذلك ما يترتب عليه من ترتيب
فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور وامن العليم الخبير فلا يكون الا
مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيأ وهو من مبادى العادة بحيث يكون من يختبر عبده
ليتعرف حاله من الكياسة فيما شره بما يليق بحاله من مقاطعه وابراهيم اسم اعجمى قال السهيلى كثيرا ما يقع الاتفاق
او التقارب بين السريانى والعربى الا يرى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال
المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخارى فى حديث الرؤيا ان النبى عليه السلام راى فى الروضة ابراهيم
وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الا ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وايذان بان
ذلك الابتلاء تربية له وتشريح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهى يظهر عند قيامه بحقوقها
قدرته على الخروج عن عهدة الامر العظيم وتحمل اعباء الرسالة وهذه المقالة وتذكيرها للناس بارشادهم الى طريق اتقان
الامور بنيلها على التجربة ولا يذان بان بعثة النبى عليه السلام ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه
السلام للنبوة العامة كيف لا وهى التى اجيب بها دعوة ابراهيم عليه السلام كما سلف واختلف فى الكلمات فقال مجاهد هى المذكورة بعدها وروى انه
عليه السلام اتاه الفاتحة فاتمهن ثم الاستثناف وقال طاوس عن ابن عباس هى عشر خصال كانت فرضا فى شرعه وهى سنة فى شرعنا خمس
فى الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس فى البدن الختان وحلق العانة ونتف
الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفى تجريد ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم
الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس لم يبتل احد بهذا الدين فقام به كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من خصال
الاسلام عشر منها فى سورة براءة التائبون العابدون وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر فى المؤمنون وسال
الا قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله بسبع اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر

والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل من مجاهدته قومه والصلوة والصوم والزكوة والضيافة والصبر عليها وقيل
هي مناسك كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغير ذلك وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الآيات
ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم
المعرفة اللائقة بالخلة وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه بكلماته من الدعآء فعل المخبر بهل يجيبه اليقين اولا فانهض اي
قام بهن حق القيام واداها من احسن الوفاء به من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة
فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص وتعضيده ما روى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الآيات
وقوله عز وجل قال على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء
يتسبب لامر عظيم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فيجعد حكايتها ترتب النفس الى ما وقع بعد بها كانه قيل
فما ذا كان بعد ذلك فقيل قال اني جاعلك للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على رأي من جعل الكلمي عبارة عما ذكر
اثره من الامامة ونظير البيت ورفع قواعده وغير ذلك على تقدير انتصاب اذ يقال فاجأته بمعطوفة على ما قبلها عطف
القصة على القصة والواو قد تحذف داخلة على قال الخ وقال اذ ابتلى الخ وتجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه المضمر والكاف اماما
واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس
متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والام اسم لمن يؤتم به
وكل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث نبي بعده الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته قال
استيناف مبني على سؤال عقد كانه قيل فما ذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن
تبعيضية متعلقة بجاعل اي واجعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا الى يقول سكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا
من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وما ذا يكون
من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت او ذريت والاصل ذروية فاجتمع في الاول واو ان زائدة واصلية
فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء
في الياء فصارت ذرية او فعيلة منها والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احديهما بالسكون
فصارت ذريية كالثانية فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعيلة من الذر بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت
الهمزة بابدالها ياء كخطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة فيها بدلة او فعيلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة
قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسرى وتظنى فادغمت الياء في الياء كما مر وقعوله منه والاصل
ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها
قال استيناف مبني على سؤال نشأ اليه الذهن كما سبق لا ينال عهدي الظالمين ليس هذا رد الدعوته عليه السلام بل اجابة خفية
لطيفة وعدة اجابة منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم
بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه يعزل من ذلك لا تمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس
بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على تعيين اجا معين لكيلا يسد الامامة من ذريته اجالا او
تفصيلا وارشاد الباقين لئلا يتنظم المقتدون بالائمة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب حالا يخفى
مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من تيلها واما اوثر النيل
على الجعل ايذانا الى ان امامة الانبياء من ذرية عليهم السلام كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان

كل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة

مطلب في معنى الذرية واصلها

وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعليهم اجمعين ليست بجعل مستقل على حياله في ضمن
امامة ابراهيم عليه السلام نيال كلا منهم في وقت قدره الله تعالى وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول مقدم على الفاعل
اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم
وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان
العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول وجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة
اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه او مثاباتهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني
واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله والام في قوله تعالى للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اي مثابة
كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابا باعتبار تعدد التائبين وامنا اي امنا
كما في قوله تعالى حرما آمنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد
المجازي اي آمنا من حق به من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة
وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأي ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كما انا
ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد
خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
على ارادة القول او عطف على جعلنا او حال من فاعل اي وقلنا او قائلين لهم واتخذوا الخ وقيل هو عطف انشاء
على الامر الذي يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ
وقيل هي جملة مستأنفة وخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام ولامته والاول هو اللايق بطرز النظم الكريم
والامر صريحا كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر
قدميه عليه السلام والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم
والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء وروي انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم
فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف
كما روي جابر رضي الله عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبها قولان وقيل مقام ابراهيم حرم كله وقيل مواقف حج عرفة والمزدلفة ومنى
واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب لما امر وحمل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ
الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم
واسمعيل اي امرناهما امرا مؤكدا ان طهرا بيتي بان طهراه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا
لجواز كون صلتها امرا او نهيا في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته
على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي
لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك وانما كان للخبر والانشاء في الدلالة على المصدر
سواء شاع وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد ... عن معنى الامر والنهي فيخرج والصلة الفعلية
عن معنى المضي والاستقبال واوى طهراه على ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير
الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام لانيابة ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام

مطلب مقام ابراهيم

فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام حينئذ بعزل
من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء مباشرة كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله
مثابة للناس ج والمراد تطهيره من الاوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين
حوله والعاكفين الخ وبين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلوة كما في قوله عز وجل للطائفين والقائمين
والركع السجود جمع راكع وساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارن
الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلاصه لسهولة التلفيق بهما وغيرهم وفيه ايماء الى ان
طلابته غيرهم به وان كانت مع مقارنة اهم مباح من قبيل تلوينه وتنويعه واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله
من قوله واذ جعلنا ج اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا آمنا اذا من كعيشة راضية او
آمنا اهله كقوله تعالى اجعل هذا الوادي من البلاد الآتية وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد
بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى ان بلغ بئر هاجر
فجعلت تقول له اين تتكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا
فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وتعريف البلد مع
جعله صفة لهذا في سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال بان سأل عليه السلام اولا كلا الامرين البلدية والامن
فاستجيب له في احدهما وتأخر الآخر لاي وقته المقدر له لما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المتعاد
في الدعاء والابتهال او كان بمسؤول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك
وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والا فاقتضاء سؤاله
مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلي اولا ان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل
على وحدة السؤال وتكرر حكايته كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي ذلك ههنا واقتصر هناك
على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سيحكي تفصيله
هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى اليه
من الاقطار اثر سعة وقد حصل كلا الامرين حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
روى عن ابن عباس ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى
فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف برعوة
ابراهيم عليه السلام من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله بدل البعض حضهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان
وانابته لحظوه واهتماما بشأنه اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما
ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استيناف مبني على السؤال كما مر اراد قوله تعالى
ومن كفر عطف على مفعول لفعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك
الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه جزاه اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر
وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا للتقليل وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن
عطف تلقين كأنه قيل فلم وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كما انه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى
على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة باطهر وقرئ فأمتعه من امتع وقرئ فمتعه

قليلا تمتيعا قليلا او زمانا ثم اضطره الى عذاب النار اي ألجئه اليه من الضرورة المضطره لكفره وتضييعه ما متعه
به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فمتعه وقرئ فأمتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما
من دعاء ابراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه لبيان ان
الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار وامارزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر
الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة وأطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حرفا ضم شقل
يدغم فيها ما يجاورها بالعكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين
في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه
قعدك الله تعالى ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة
وان كان هو الذي بني عليها فكأنها لما صارت اشياء واحدا فكأنها نمت وارتفعت وقيل المراد بهما
البناء فان كل سافل قاعدة لما يبنى عليه وبرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت
واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع
ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ بمعنى يجعل هيئة القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء وروي ان الله
عز وجل انزل البيت ياقوتة من ياقوت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما
يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملئكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان
على ذلك الى ان رفعه الله تعالى ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن
ابراهيم عليه السلام فامر ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله تعالى السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم
حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم في ظلها الى ان وافت
مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء
وطور زيتا ولبنان والجودي والسنة من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تخلف ابو قبيس
فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة فلما لمسته الحيض في
الجاهلية اسود وقال القاسمي في مثير الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يحصل من جملة ما قيل في عدد بناء
الكعبة انها بنيت عشر مرات من بناء الملئكة وذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي
في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومن بناء آدم ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليه السلام فقال له
وحوا ابنيا لي بيتا فخط جبريل وجعل آدم يحفر وحوا تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك
آدم فلما بنياه اوحي اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وبهذا ذكر الازرقي في تاريخه
وعبد الرزاق في مصنفه ومن بناء بني آدم عند ما رفعت حجته التي عز الله تعالى بها آدم عليه السلام وكانت
ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان

الفرات في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بنا الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه
في القرآن مشهور في ما بين قاص ودان ومنها بنا العمالقة ومنها بنا جرهم ذكرهما الازرقي بسنده
الى علي بن ابي طالب ومنها بنا قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بنا قريش
وهو مشهور ومنها بنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بنا الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بنا
لكلها بل جدار من جدرانها وقال المحافظ السهيلي ان بنا ما لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بنا ها
شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على ابراهيم ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان الاصل
في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان بنا وله هجارة وهو بينهما وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا
تقبل منا على ارادة القول اى يقولان وقد قرئ به على انه حال منها عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة
معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان اى وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدا خبره
قول محذوف وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية
اى واذ يرفع ابراهيم القواعد وحالة ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن
اضافة مافيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل
مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من
البنا كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل
المعلومات التي زمرتها بنيتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لامن حيث ان كونه تعالى سميعا لدعا
عليها بنيتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب
الوعد تفضلا وتاكيدا لجلة الغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نعتي السميع والعليم عليه تعالى لاظهار اختصاص
دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور الحكمية هو الابتلاء
وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما تيلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره
ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشئون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة
من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر فانا ممتعه في قضا
الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء المقام واستجيب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن تدمنه اصلا كان وفو
قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين من اسلم
اذا استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين
على صيغة الجمع بادخال ما جر معها في الدعاء اولان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل
بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما
علما ان منهم ظلمة وان حكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما
يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى خربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عليه السلام وقد جوز ان
يكون من تبعيضية قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة
مسلمة لك من ذريتنا وارنا من الرؤية بمعنى العلم او بمعنى التعريف اى بصرنا او عرفنا مناسكنا اى متعبداتنا
في حجنا او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في حج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا بقلب

على فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا
استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا او لعلهما
قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء لاجابته
قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما ينا سبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم اى في الامة
المسلمة رسولا منهم اى من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي عليه السلام
فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة
ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالذكر تنبيه له لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له
عليهما السلام يتلوا عليهم ايا تك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب
اى القرآن الكريم والحكمة وما يحكم به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العلمية اى يطهرهم
عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه
الحكمة ومصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة للمسؤل فان وصف الحكمة منقض لفاضة ما يقتضيه حكمة من الامور
التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابراهيم
انكار واستبعادا لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملة التي هي محض الصريح والدين الصحيح اى لا يرغب عن ملته الواضحة
الغراء الا من سفه نفسه اى اذلها واستهانها واستحق بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبقها واوا هلك او جهل نفسه قال المبرد
وتغلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه صغر
من قبل نفسه وقيل صيرها سفيهة نفسه بالرفع منصوب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ونحو قوله وناخذ بعده بذناب
عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قوى بثعلبة ابن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب
عما لا يرغب عليه احد من العقلا فقد بالغ في اذلال نفسه واذالتها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان
عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقالا قد علمنا ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل
نبيا اسم احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه
في الدنيا اى اخترناه بالنبوة وحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشي كان اصله الاختيار اتخاذ خيره والام
جواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة معترضة لمضمون ما قبلها اى وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى وانه في الآخرة
لمن الصالحين اى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة وتحري الصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد
بمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا آخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا
له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذ لا نفسه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن
النظر والتامل واثارا لاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر في الدارين لانه يحدث في الآخرة
والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فمحتاجة الى التاكيد اشد من الامور التي
اثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على
انه قد يتقرر في الظرف ما لا يتقرر في غيره كما في قوله ربه حتى اذا تمعدد واكتهل كان حقه الى بالصالحين اجلاء او يحذف
من لفظه اى وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من معناه اى اعني في الآخرة نحو لك بعد رغيا وقيل هي
متعلقة باصطفيناه على انه في النظم الكريم تقديما وتاخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين

اذ قال له ظرف لاصطفيناه والمعنى اصطفيناه وقت قوله له اسلم او نصب باذكر مقدرا لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامور والتقدم وانه بلغ ما نال انما نال بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اى لتربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد حتى ادته الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل اسلم اى اذعن وانقد وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم ودم على امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جواب عليه السلام الى العالمين لما يدان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين فاطبة للنفس وحده كما هو المأمور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه تاكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمتوصى من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله ووصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الموصى والضمير في بها للملة او قوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اى وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين وتعلق يوصي عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة اجرانا انا ربانيها رجلا عربانا ومنهم عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنوا ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنوا يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشوخور وزيولون ودوادا وتفتونا وكوذادا واوشير وبنيامين ويوسف عليهم السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عند الله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اى فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصلي الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه اليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحضور واذ ظرف لشهداء والمراد بحضورهم حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام لما اهتمام به اذ المراد ببيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكي عنهم وانما تعيم الافتراء ههنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيما ياتي بتخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام يقولون ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اى ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اى اى شيء تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه السلام ما تدعون رجاء الغيب وعند هذا تم التوبيخ

او في قوله تعالى او قال له ربه

عليه السلام

ولا انكار

والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسوال ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسأل به كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب فتقول الجمع قالوا استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ عن حكاية سوال يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك والله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراد ابيهم عليه السلام بالسوال اى نعبد الاله المتفق على وجوده والالهية ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب وحيث لغة على عم الرجل صنوا ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع ما لواو والنون كما في قوله فلما بنيتن اصواتا بكين وقد ثنين بالابنية وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الخ واحدا بدل من اله ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او رفضا للاختصار وعن ان يكون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدا او خبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تامتهما فرق الناس اى يقصدونهما ويقتدون بهما فوحدت صفة للخبر اى مضت بالموت وانفردت عمن عداها وصلة صارت الى الخلو وهي الارض التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اى لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند اليه يوجب قصر المسند عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مستانفة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اى لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصر المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اى ولي ديني لا دينكم وعلى الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل حالا بيا عذه المقام اذ لا يتوهم منهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى نفيه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انت بهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتاتونني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ان اجري السوال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما سبق من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به سببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تجنيب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن انتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السوال عبارة عن المواخذة والموصول عن السيئات فقيل اى لا تواخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لنفيه وقالوا شروع في بيان فتن آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات الموذن باستجلاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتقديرا يا تهم عند غيرهم اى قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم اولاي طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع اليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن

تهم

التصريح به اى قالت اليهود كونوا هودا او النصارى كونوا نصارى تفعلوا بالنظم الكريم ما تفعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا جواب للامر اى ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبى عليه السلام اى قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اى لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام وفضل بل تتبع ملته عليه السلام وقد جوز ان يكون التقدير بل اتبعوا ملة ابراهيم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اى بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته اى اهل ملته حنيفا اى مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما فى رأيت وجه هند قائمة وفى قوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام بردّ مقالاتهم الشنعاء الاجمالى وارشادهم الى طريق التفصيل والايمان على ضرب من التفصيل اى قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وارشادا ضمنيا لهم اليه امنا بالله وما انزل الينا يعنى القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تأخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا لايمان بها وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا مستعدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا والاسباط جمع سبط وهو الحافد وحمادهم حفدة يعقوب عليه السلام او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم والحق وما اوتى موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما جيء فى التنزيل بحليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتى النبيون اى جملة ممن ذكر ومن غيرهم من ربهم من الايات البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين احد منهم كما بين اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية نهوا عما هو موضوع لمن يصلح ان يخاطب بستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما فى مثل المال بين الناس ومنه ما فى قوله عليه السلام ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف باطبع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه فى حيز النفى وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وبين غيره كما فى قول ان بنية فما كان بين بحير لو جا سالما ابو بحر الآلبال فلا تائما اى بين بحير وبنى وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كما تنادى من كان ما ليس فى ان يقال لا نفرق بينهم وجملة حال من الضمير فى آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اى مخلصون له ومنقادون حال اخرى منه او عطف على آمنا فان اسلموا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر منطقة لايمان اهل الكتاب بين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم به اى بما آمنتم به على الوجه الذى فصل على ان المثل مقحم كما فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابى بالذى آمنتم به ويجوز ان يكون الباء للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بمرة آنفا او على ان الفعل يجرى مجرى اللازم اى فان آمنوا اتر مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شادتكم وان يكون الكاف زائدة والفاء تعليلية صلة لآمنتم وما مصدرية اى فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم باذكر مفصلا وان تكونا للمجازاة اى فان آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به او فان آمنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما آمنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام

اذا كان همزة احد اصلية يستوى فيه المفرد وغيره

فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف هؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان معنى فان آمنوا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطريق فيأباه ان مقام تعيين الحق وارشادهم اليه يعينه لا يلائم تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه وان تولوا اى اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخطوا شيئا من ذلك كائن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم ودينهم فانما هم فى شقاق المشاقة و الشقاق من الشق كالمخالفة ومخالف من الخلف والمعاداة والعداء من العدوة اى الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الآخر بصورة او معنى وبوتيه خلفه ويأخذ فى شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اى هم مستقرون فى خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا الوعيد مما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون وجملة الامر جواب الشرط كما هى على ان المراد شأنهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان بجواب الشرطية الاولى واما اوثرت جملة الاسمية للدلالة على ثباتهم و استمرارهم فى ذلك واما تأويل من علموا انما هم فى شقاق هذا هو الذى يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان آمنوا بهم من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم حائلا فى الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب فى انه مما لا يليق بجزل النظم الكريم عليه وما قيل تنكير الشقاق على متناع الوفاق وان ذلك مما يؤدى الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفويض المؤمنين بوعد نصره والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالدلالة على تحقق الموعود البتة فضيل سيكفيكهم الله الخ سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبى عليه السلام مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة فى ذلك ولان ايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدايد فى مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمه تعالى فى الكفاية والنصرة فى حقه عليه السلام انم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له ومعنى انه تعالى يسمع ما تدعوه به ويعلم ما فى ضمائرك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه فى قلوبهم فانا هم بما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان باذكر على الوجه الذى فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من ادناس الكفر وحلية تزينهم باثاره الجليلة ومتداخلا فى قلوبهم كما ان شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للنصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحيى نصراهم واضافتها الى الله عز وجل مع اشتراكه فيما سلف للايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهى اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا واخلصنا فى حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله حقا تقدم لكونه بمثابة فعله كأنه قيل صبغنا الله صبغته وقيل هى منصوبة بفعل الامر اى التزموا صبغة الله واما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان انه الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى تسلية عليه السلام ومن احسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفى وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اى لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه فى قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الخ وحيث كان مدار التفضيل على تتميم تحسين تحقيقى

مطلقا صبغ اولاد النصارى

تنبيهم

والغرض المبنى على زعم المخاطبين يلزم منه ان يكون فى صيغة غيره تعالى حسن فى الجملة وحينئذ اعتراضية مقررة لما فى صيغة الله من معنى
التسبيح والابتهاج ونحن له اى لله الذى اولانا تلك النعمة الجليلة عابدون شكرًا لها وسائر نعمه وتقديم الظرف لما اقتضاه
ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا واخلصنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية لاستمرار العبادة دوام العبادة او على فعل الامر اى
بتقدير القول اى الزموا صيغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صيغة ج يجرى مجرى التعليل
لما عزا قيل اخاجوناه بجريد نخلة للنبى عليه السلام عقيب الكلام الواقع تحت الامر الوارد باطاعة العام لما ان المأمور به
من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقرى بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اى اتجادلوننا فى الله اى فى دينه
وتدعون ان دينه حق حيث هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء اليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا
من كان هودًا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اى
اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اى مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره
ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون فى تلك الاعمال لا نبتغى بها الا وجهه فانى لكم المحاجة واوعا حقية ما انتم
عليه والطمع فى دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام فى قوله تعالى ام تقولون اما معادلة للهمزة فى قوله تعالى اتحاجوننا
داخلة فى حيز الامر على معنى اى الامرين تأتون اقامة حجة وتسوير البرهان على حقية ما انتم عليه وحاك ما ذكر امر التبشث بذيل
التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم
مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة داله على الاضراب والانتقال من
التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرى ... ام يقولون على صيغة الغيبة فهى منقطعة
لا غير غير داخلة تحت الامر وارادة من جهته تعالى توبيخهم وانكاره عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل
هذا واما قيل من ان المعنى اتحاجوننا فى شان الله واصطفائه بنيا من العرب دونكم كما روى ان اهل الكتاب قالوا
الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص
له تعالى بقوم دون قوم بسبب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان ينكر منا باعمالنا كما انكر عليكم باعمالكم كما نزه نفسه
عن كل مذمة بنتجو نه انجاءً وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فلا كل فيه سواء واما اقتضاء
حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتخلى بالاخلاص كما ان لكم اعمالا بها يتهيأ لكم ان تكونوا عند الله تعالى فى اعلى عليين
ونحن له مخلصون اى لا انتم فى عدم سلامة نسبكم النظم الكريم وسياقه لاسيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح
فى نفسه لان المراد بالاعمال ما يشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب فى ان امر الصلاح والسوء يدور على
موافقة الدين المبنى على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال فى استحقاق النبوة واستعداد المتقدم على البعثة
بمراتب قل ءانتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست للمبرد وتاكيد التوبيخ وشديد الانكار عليهم بل لانه بان ما بعده ليس منفصلا
بما قبله بل هما كلام واحد مبنى على طريق مستتبع للحاظ قد ضرب عنه الذكر صفحًا لظهوره وهو تقرير خصمهم بما وبخوا عليه
من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما فى قوله عز وجل قل ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله
عز وجل قال اسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذى كرمت على فان تكرير قال فى الموضعين وتوسيط بين قولى قالوا واجد
لما بان بان جهنما كلا مما الصاحبة متعلقا بالاول والثانى بالتبعية والاستتباع كما حرر فى محله اى كذبتهم فى ذلك وبكتتهم قائلا
ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابراهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله
وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهولاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه فى الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون

سبحانه الله عما تصفون ومن اظلم انكارا لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهى
شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلى آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا
من الله حتى بها للتعليل الانكار وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى حروف
الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر فى الوجود لمراعاة طريقة الترقى من الادنى
الى الاعلى ويجوز ان لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة وانتفوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق
الاظلمية بمطلق الكتمان لما يأتى ان مرتبة من برئ وشهد بخلافها فى الظلم خارجة عن دائرة البيان اولا احد اظلم
منا لو كتمنا ها فالمراد بكتمها عدم اقامتها فى مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية ظلمية اهل الكتاب على نحو البشارة اليه و
فى اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل لنبى عليه السلام فى
التوراة والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيجازيكم عليها كما ان لهم شهادة سيخيب افتراؤهم على الانبياء
عليهم السلام وخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيجازيكم بذلك اشد عقاب وقرى بما يعملون على صيغة الغيبة
فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الا آخر الآية سوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم و
تهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة فى الزجر عما هم عليه من
الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب لبنى الحارث تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء، عليهم السلام
وبالثانية اسلافهم اليهود وسيقول السفهاء اى الذين خفت احلامهم واستهينوا بالتقليد والاعراض عن التدبر وحظر
من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول
والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روى عن ابن عباس ومجاهد قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون
بموافقته عليه السلام لهم فى القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وجل الا آنهم هم السفهاء واما قالوه لمجرد
الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلامهم من اليهود وقيل هم جميعا وان
لم يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل طمعا فى الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها ويرجح الاول بقوله
ايضا وقبل هم القادحون فى التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اى الكفرة لبيانه ان ذلك القول المحكى لم يصدر
عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلث بل عن اشقيائهم المعاندين المتخوضين فى فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد
بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيانه كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضى تسليم الباقين التحويل
وارتضاءهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولاهم اى اى شئ صرفهم والاستفهام للانكار
والنفى عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهى الحالة التى يقابل الشئ غيره عليها كالجلسة للحالة التى
يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجلة التى يستقبلها الانسان فى الصلوة وتمرد
بها هنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التى كانوا عليها اى ثابتين مستمرين على التوجه اليها
ومراعاتها واعتقاد حقيتها للتاكيد الانكار فان الاختصاص الشئ والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافى الانصراف عنه
فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم التحويل عنها وزعمهم انه خطاء وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد
القصد الى الطعن فى الدين والقدح فى احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لكن
الانصراف عنها او التوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما فى الوجود للايذان بترك
الدين القديم البعد عند العقول وانكار سببه اولا للايذان بان المنكرين هم اليهود وبناء على ان المنكر عندهم هو

الجزء الثانى

التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذى هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه لاخصوصية قبلة اخرى او لهم شركون
بناء على ان منكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه
بمعزل من ذلك كيف لا وهما فقون من احد الفريقين لامحالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة
حيث وقع كما اخبر ستوطين النفوس واعداد ما يكتهم فان مفاجاة المكروه على النفس اشق واشد وجواب العتيد
لشعب حصنهم الآلد آثرة وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استيناف مبنى على السوال كانه قيل فماذا اقول عند
ذلك فقيل قل لهم اى لله تعالى ناحيتا الارض اى جهتاها كلتاهما ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منهما لذاتها
بكونها قبلة دون ماعداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيته يهدى من يشاء اى يهدبه بمشيته تابعة للحكم الخفية التى
لا يعلمها الا هو الى اصراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس
تارة والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيته المقارنة لحكم ابتية ومصالح خفية وكذلك جعلناكم توجيه الخطاب الى
المؤمنين بين اظهرهم المختصين بالرسول عليه السلام تاييدا لما فى مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى
مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى جمعهم لما ان المراد مجرد
الفرق بين مخبر ومخبر عنه دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد لما ان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
فى الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسبب فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من
الفخامة ومحلها النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك
الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مع تاء التانيث المذكورة فصار نعت المصدر جمعكم لانه
له اى ذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا آخر ادنى منه والوسط فى الاصل اسم لما يستوى نسبة
جوانبه اليه كمركز الدائرة ثم استعير لخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الافراط والتفريط يتسارع اليها الخلل والاعوجاج
والاوساط بمعزل منه كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائى كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت بها
الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار فى هذا المقام اذ لا مناسبة بينها وبين اهلية
الشهادة التى جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفى
الافراط والتفريط كالعفة التى طرفاها الخمود والجمود كالشجاعة التى طرفاها التهور والجبن وكالحكمة طرفاها
الجربزة والبلادة وكالعدالة التى هى كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحرفة باطراحها
ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوى بينه وبين الثانية فى الوصف ورجح وحذر وهون رعاية لجانب الاكثر كذا
سائر الاوصاف التى يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رائقة هى ان جعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من
هداية الله تعالى الحق الذى عبر عنه بالصراط المستقيم الذى هو الطريق السوى الواقع فى وسط الطرق الجائرة عن
القصد الى جواب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فاخط المستقيم انما هو الخط
الواقع فى وسط تلك الخطوط ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا
بين الامم السالكة الزائغة اى متصفة بالخصال الحميدة خيارا عدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على
الناس لان الشهادة انما تقبل ممن اتصف بما ذكر وتخلق بما سطر واصل الكلام لتشهدوا على الناس فعكس
للمبالغة كما فى قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه او نحو ذلك واخصل من مذكور وهو غاية للجعل
المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هى الكيفية المتشابهة المتناسقة من العفة التى هى
فضيلة القوة الشهوية والشجاعة التى هى فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التى هى فضيلة القوة

العقلية المكتفية الشارة الى ربتها بقوله تعالى وعده ومن يوت حكمة فقد اوتى خيرا كثيرا كان متصفا بها
واقعا على الحقايق المودعة فى الكتاب المنطوى على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا لشرائط الشهادة
عليهم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة
على المنكرين وزيادة الخزيهم بان كذبهم ممن بعدهم من الامم فيوتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول
الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على نبيه الصادق فيوتى عند ذلك
بالنبى عليه السلام ويسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة
الاستعلاء لما فى الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة
الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم وما جعلنا القبلة التى كنت عليها
جردا الخطاب للنبى عليه السلام رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان يخص معرفته عليه السلام وليس بموصول صفة للقبلة
بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل بمعنى التحويل التى من حالة الى اخرى فالملبس بالحالة الثانية هو المفعول الثانى
كما فى قولك جعلت الطين خزفا فينبغى ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثانى هو القبلة فكلام الصناعى بيان
اليه الذهن بحسب نظر الجليل ولكن الناظر اللائق يهدى بحسه الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل جهة قبلة
لاغير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المتحققة الوجود هذه جهة دون غيرها والمراد بالموصول هى الكعبة فانه عليه السلام
كان يصلى اولا نحو بيت المقدس ثم امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود وهى الصخرة ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان قبلته عليه السلام
بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الا الكعبة
واما الصخرة فبناء على ارادتها من الروايتين عليها وحمل على الاول وما جعلنا القبلة جهة التى كنت عليها اشرف وهى
اشرف وهى الكعبة وعلى الثانى وما جعلناها التى كنت عليها قبل هذا الوقت وهى الصخرة الا لنعلم استثناء مفرغ من
اعم العلل اى وما جعلنا ذلك لشئ من الاشياء الا لنتحن الناس اى نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم من يتبع
الرسول فى التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة
للاشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه بمرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من
يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ارادوا نكاية الى ما كانت عليه الا لنعلم الثابت
على الاسلام والناكص على عقبيه لتعلق ضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه ذلك مجازا من العلم الحالى اى لنستعلم
علما به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتميز اثابت
عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز الذى هو سبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم
على بناء المجهول من صيغة العلم ما بمعنى المعرفة او معلق بما فى معنى من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب
اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اى شاقة ثقيلة وان هى المخففة من المثقلة
ودخلت على ناسخ المبتدا والخبر واللام هى الفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم
الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اى ما كانت الا كبيرة والضمير الذى هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما
جعلنا القبلة التى كنت عليها من جعلة او التولية او التحويل او الترة او القبلة وقرى لكبيرة بالرفع على ان كان
مزيدة كما فى قوله * واخوان لنا كانوا كرام * واصله وان هى لكبيرة كقوله ان زيدا لمنطلق الا على الذين هدى الله
اى الا لتستر الاحكام الشرعية الحقة على حكم ومصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم ان يتوانى

على الايمان واتباع الرسول عليه السلام وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل
شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة
قالوا كيف حال اخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام فى ليضيع اما متعلقة بما يجىء مقدرا
لكان كما هو رأى البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اى ما كان الله مريدا او متصدا بالان يضيع حتى تنفى توجيه
النفى الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليس فى توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأى الكوفية
ولا يقدح فى ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر فى علمها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق و
تقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضى لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة
برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ لما مر فى وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة فى الكمية والرافة
اقوى منها فى الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم
كقطع العضو المتاكل وقرئ رؤف بغير مد كقدس قد نرى تقلب وجهك فى السماء اى ترديده وتصرف نظرك فى وجهتها
تطلعا للوحى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل يقع فى روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها
قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها معجزتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل
بالوحى بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهى فى تحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه
اللام اى فوالله لنولينك قبلة ترضاها او تحبها والتولية والتحويل متعديان الى مفعول واحد وقد تعدى الثانى بالى لتضمنه معنى
تلى جهتها او لنجعلنك تلى قبلة بحذف الجار اى الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تختارها وتشتاق اليها
لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته قول وجهك الفاء للتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه
لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اى فحرفه شطر المسجد الحرام اى نحوه وهو نصب على الظرفية من قول
او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر فى الاصل اسم لما انفصل من الشئ ودار شطورا اذا كانت منفصلة
عن الدور ثم استعمل اجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له
وفى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان فى مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب
روى عن البراء بن عازب ان نبى الله عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم توجه الى الكعبة وقيل
كان ذلك فى رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله عليه السلام فى مسجد بنى سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين
من صلوة الظهر فحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى المسجد مسجد
القبلتين وحيثما كنتم قولوا وجوهكم شطره خص الرسول عليه السلام بالخطاب تعظيما لخطابه وايذانا بانه المواجه لمراعاة جميع
احكام المؤمنين مع التعرض لاختلاف احوالهم تاكيد الحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة
على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم فى محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هى منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى
اينما تكونوا يدرككم الموت وان الذين اوتوا الكتاب من فريقى اليهود والنصارى ليعلمون انه اى التحويل او التوجه
المفهوم من التولية الحق لائق بعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعاينتهم لما هو
مسطور فى كتبهم من انه عليه السلام يصلى الى القبلتين كما شيع بذكرها التعبير عنهم بالاسم الموصول باعتبار اتصافهم بايتاء الكتاب وان مع اسمها
وخبرها ساد مسد مفعولى يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع
حالا من الحق اى كائنا من ربهم او صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى الكائن من ربهم وما

الذين

وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين وتخصيص للكل تقنيطا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن
اتيت اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر لايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يزعهم من الكتاب
الناطق بحقيقة ما كابروا فى قبوله بكل آية اى حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا
قبلتك جواب للقسم المضمر سادّ مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تتنزل بها الحجة وانما خالفوك
مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبى عليه السلام بعد تعميم الملاقة لما ان المحاجة والاتيان بالاية من الوظائف الخاصة به عليه السلام
وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة على جملة الشرطية لا على جوابها موقعة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت
اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له عليه السلام وطمعا فى رجوعه وايثار لجملة الاسمية
للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها فى البطلان ومخالفة الحق ولئلا
يتوهم ان مدار النفى هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة
والنصارى مطلع الشمس ولا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم
الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقيتها ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج
التهييج والالهاب للثبات على الحق اى ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذن لمن الظالمين وفيه لطف لك معين و
تحذير لهم عن متابعة اليهود فان من ليس من شانه ذلك اذا نهى عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام فى
سلك الراسخين فى الظلم فحاطن من ليس كذلك واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها التقرير ما بينهما
من النسبة ان كان حدها ان يتقدم او يتاخر فلم يتقدم فلئلا يتوهم انها للتقرير النسبة التى بين الشرط وجوابه المحذوف لان
المذكور جواب القسم ولم تتاخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ فى التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتضاء
وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام الذين اتيناهم الكتاب اى علماء اهم
اذ هم العمدة فى اتيانه ووضع الموصول موضع ضميرهم مع قرب العهد لاشعار بعلية ما فى حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب
فى قوله تعالى يعرفونه للرسول عليه السلام والالتفات الى الغيبة لايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته
ونسبه الشريف بل من حيث كونه مسطورا فى الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التى من جملتها انه عليه السلام يصلى الى القبلتين كما انه
الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر لاشعار
بفخامة شانه عليه السلام وانه علم معلوم بغير علامة وقيل الضمير للعلم او لسببه الذى هو الوحى او للقرآن او التحويل ويؤيد
الاول قوله تعالى كما يعرفون ابناءهم اى يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة المكتوبة فى كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه
ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضى الله عنه
انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله عليه السلام فقال انا اعلم به منى يا بنى قال ولم قال لانى لست اشك فيه انه نبى
فاما ولد فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه رضى الله عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين
كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجملة منهم فليست
لهم معرفة بالكتاب ولا بما فى تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد الحق بالرفع
على انه مبتدا وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما علمه النبى عليه السلام او الى الحق الذى يكتمونه او
للجنس وتعريفه ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا غيره كالذى عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدا محذوف
اى هو الحق وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول ليعلمون وفى التعرض

الحق

ملخص
فى تحويل القبلة
ومعنى النظر

لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اى
ان كنت فى شك مما نزلنا عليك وقيل فى انه من ربك وليس المراد به نهى الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير
متوقع منه عليه السلام وليس بمقصود واختير ربك على ما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة بانكاب
المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل امة من الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه وجهة اى قبلة وقد قرئ
كذلك اولكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اى موليها وجهة او الله
موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة وبحذف ولكل وجهة الله موليها اياها والام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف
العامل وقرئ مولاها اى مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات اى تسابقوا اليها يتنزع اللام كما فى قوله تعالى
عليكم آل حرب ومن عجل لكم فانى مهتد غير مائل وهو ابلغ من الامر بالمسارعة فانه من تحث على احراز قصب السبق
والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهى حماسنة للكعبة
اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اى فى اى موضع تكونوا من موافق او مخالف يجمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى يوم
النشر او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل جبالها يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من جهات المختلفة المتقابلة يجعل
صلواتكم كانها صلوة لا جهة واحدة ان الله على كل شئ قدير متقدر على الاماتة والاحياء وجمع وهو تعليل للحكم
السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر فى حالتى السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول
او بمحذوف عطف هو عليه اى من اى مكان خرجت اليه للسفر فول وجهك عند صلوتك شطر المسجد الحرام او فعل ما امرت
به من اى مكان خرجت اليه فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كالذى مر آنفا وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين
حيما يرجب عنه اشارة كنتم على خروجكم فان للطاعة عام لكافة المؤمنين المنتشرين فى الافاق من الحاضرين والسافرين فلو قيل وحيثما
خرجتم طافوا وحيثما توا المقيمين فى الاماكن المختلفة من حيث اى منهم فيها قولوا وجوهكم من محاكم شطره والتنكير لما ان القبلة
لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فباطرى ان يؤكد امرا مرة عقب اخرى مع انه قد ذكر فى كل مرة حكمة مستقلة
لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا يه والمعنى ان التحويل
عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التورية من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعى ملة
ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسميته هذه الكلمة
شغبا حجة مع انها اخشى الاباطيل من قبيل ما فى قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل حجة
بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كالذى فى قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استثنى منقطع فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم
شيئا واخشونى فلا تخالفوا امرى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اى وامركم
بامر لاتمام النعمة عليكم ولان النعمة جليلة ولارادتى اهتداءكم الى انه صراط مستقيم مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه فى قوله
وجل ربك من يشاء الى صراط مستقيم وفى التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجى على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة
على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اى واخشونى لاحفظكم منهم واتم نعمتى او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى

فلا تخشوهم الخ بينهما للمبالغة لان التسلية والتثبيت وفى تخصيص تمام النعمة دخول الجنة وفى على رجاء تمام النعمة الموت على الاسلام كما مر لنا
فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما فى صفاته من الطول والظرف الثانى متعلق بمحذوف
وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الآخرة اتماما كائنا كما فى طها بارسال رسول كائن منكم
فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافوها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى بما ذكر
صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبلها فتان وجريان على سنن الكبرياء تتلوا عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة
لكمال النعمة ويزكيكم عطف على تتلوا اى يحملكم على ما تصيرون ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة فى الوجود على
التلاوة واقحام وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العلمية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب
القوة العملية وتخصيصها بالنظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة لما بينان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها
مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود كما فى قوله تعالى وبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك
انت العزيز الحكيم لبتادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره فى قصة البقرة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالايات
واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة كما فى تضاعيف الاحاديث الشريفة
من الشرائع وقوله تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح فى ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف
تعليمه على تعليمها وما ذلك الا لتفضيل فنون النعم فى مقام يقتضيه كما فى قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى
نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم
لانحصار الطريق فى الوحى فاذكرونى الفا للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اى فاذكرونى بالطاعة اذكركم
بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه والشكر والى ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان
ما امرتكم به يا ايها الذين امنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه وبمقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر
استعينوا فى كل ما تاتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة التى من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم ومكابدة
الى مقاتلتهم والصلوة التى هى امام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة
بالصبر حتما لانه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة
عينى فى الصلوة لم يفتقر الامر باستعانتها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع
على الصابرين طالما نهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا اى سوق لبيان ان
لا غائلة للمامور به وان الشهادة التى ربما يؤدى اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء
اى بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من حيوة جسمانية وانما هى
امر روحانى لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل الى الروح
والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت فى المنام سبع سنبلات وسبع يابسات
اتى ازور قبور شهداء احد رضى الله عنهم وانا اتلو هذه الاية وفى سورة آل عمران واردد بها متفكرا فى امرهم وفى نفسى ان
حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رايت مثالا منهم قاعدا فى قبره تام الجسد كامل الخلقة فى احسن ما يكون
من الصباة والمنظر ليس عليه شئ من لباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقى فى القبر فلما اتى اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما
ظهر واما يظهر لكوة نحو رة فنظرت الى وجهه فرايته ينظر الى متبسما كانه ينبهنى على ان الامر بخلاف ما رايت فسبحان من علت كلمته
وجلت حكمته وقيل الاية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها

على ان الشهداء احياء والموتى
وروى مرحوم الوحيد

مغايرة لما يحسن به من البدن تبقى بعد موت وتراكمه وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك مما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة لاختصاصهم بمزيد القرب
من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء او تستسلمون للقضاء بشيء من الخوف وبجوع
اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل
الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له جميعا اخبره وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص
من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الخوف خوف الله وبجوع صوم رمضان ونقص
من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال
الله تعالى للملك اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم قرة عينه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون الكلام للرسول عليه السلام او لكل ما يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام
كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع بالنطق بل بالقلب بما يتصور معناه على ان له وانه راجع الى ربه وتذكر نعم
الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويسلم والمبشر به محذوف وال عليه بعده اولئك
اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت وبعد البعد فيه لما ان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم
ورحمة الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها وجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة
كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيها للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك خصوصون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة من مالك
امورهم وسائقهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبته واحسن
عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم اما باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة كما مر واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل
هم المهتدون هو الاهتداء الحق والصواب مطلقا لا الاهتداء الما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة بل انه متقدم
عليها فلا بد لتاخيره عما هو نتيجة لها من داع يوجبه وليس بظاهر وكلمة اعتراض مقررة لمضمون ما قبلها كانه قيل
واولئك هم المخصوصون بالاهتداء الكامل حتى وصوا واولئك استرجعوا واستسلموا للقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء
والفوز بالمطالب وصيغ اولئك هم الفائزون بما عنهم الدينية والدنيوية فان من نال رأفة الله تعالى ورحمته لم يفته
مطلب ان الصفا والمروة علمان جبلين بمكة المعظمة كالقصا والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسك جمع شعيرة وهي
العلامة فمن حج البيت او اعتمر حج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيادته على
الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده عن التعلق به فلا جناح عليه ان
يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء وغمت الطاء في الطاء وغ ايراد صيغة التفعل
ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي
انه ركن واير اده بعدم جناح مشعر بالتخيير لانه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر
اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك
فنزلت وقيل هو تطوع وتعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة

فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا
او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع
بخير فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد وعليم مبالغ في العلم بالاشياء
فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع
خيرا اجازاه الله او اثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في اخبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة
من نعوت النبي عليه السلام وغيرها ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم
انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل و
الاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه
وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو كذا
فعله هو الآيات ما انزلنا من البينات من الآيات الواضحة الدالة على امر محمد عليه السلام والهدى اي والآيات الهادية
الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا
والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات هم وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية و
بالبينات الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة
ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او الاخير
متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تخليصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير
ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بيانا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفريغه لهم بواسطة موسى عليه السلام
والاقل اسند بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم نحوا نعته عليه السلام وكتبوا مكانه
ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب هم اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به من الاشعار
بعلية ما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بتراخي امرهم وبعد منزلتهم في الشر والبعد بينهم وبين الله اي يطردهم
وبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال الروعة
والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة اجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف هم
والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة وسائر المتقين وهم احياء
بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا
اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معانيه فانه غير
الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا وآخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال
الذي كانوا او قعوهم فيه او بينوا توبتهم بمحو اثر سمة ما كانوا فيه ويقتدى بهم آخرا بهم وحيث كانت هذه التوبة
المقرونة بالاصلاح والتبيين متميزة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى
الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعلية الحكم والفاء لتاكيد ذلك اتوب عليهم اي بالقبول
وافاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض
تذييلي يحقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للايذان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر
من اختلاف العبد في فعليه تعالى لك ابن والله حي ان الذين كفروا الجملة مستانفة تسيق لتحقيق بقاء اللعن

فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير التابين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير
تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه مكا ان وجود تلك الامور الثلثة مستلزم للايمان الموجب لعدم
الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اى ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة ومانوا وهم كفار
لا يغفرون من حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كما قبله عليهم اى مستقر عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين ممن يعتد
بلعنهم وهذا بيان لدوامها الشوقي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ و
الملئكة والناس الجمون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من اضرب زيدا وعمرو كما قيل
اولئك عليهم ان يلعنهم الله وملئكته ح وخبر موصوف تقديره لعنة الله حقا راى وليلعنهم الملئكة خالدين فيها اى في
النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستانف لبيان
كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من
الضمير في عليهم على طريقة التراوف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جاريا فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة
دوام النفي واستمراره اى لا يمهلون ويؤجلون اولا ينتظرون ليعتذروا اولا ينظر اليهم نظر رحمة والكم خطاب
عام لكافة الناس اى المنتمي منكم للعبادة الها واحدا اى فردا في الالهية لاصحة لتسمية غيره الها اصلا لا الها ولا بهو
خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للواحدانية ومرجح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها
لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبر ان اخر ان للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان
مولى جميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع
عليه من كمالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول
الكعبة اكثر من ثلث مائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات بآية نعرف بها
صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اى في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر بدا
صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض
واختلاف الليل والنهار اى اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة او اختلاف كل منهما في انفسها ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف على
ما قبله وتانيثه اما لتاويل السفينة او باتة جمع فاك ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر
والثانية كما في قفل وقرئ بضم الحاء بما ينفع الناس اى ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع
او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكر ما مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من
مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب تحوض فيه والاطلاع
على عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية
او تبعيضية وايا ما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيى به
الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما يقتضيه
طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموتى في مقابلة الاحياء وبث فيها اى فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم وكلمة
معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيى ح متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه
قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها هم او على احيى بحذف الجار والمجرور والعائد الى الموصول وان لم يتحقق

الشرائط المعهودة كما في قوله وان لك شهدة يشفى بها ولكن على من صبته الله علقم اى علقم عليه وقوله لعل الذي
اصعدني ان يوقني الى الارض ان لم يقدر بخير قادت على معنى فاحيى بالماء الارض وبث به فيها من كل دابة
فانهم يتعيشون بالخصب ويعيشون باحيائها وتصريف الرياح عطف على ما انزل اى تقليبها من مهب الى آخر
او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سميت
بذلك لانسحابها في الجو او لسحبها الماء الثجوج وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا
وتسخيرها تقليبها في الجو بواسطة الرياح حسب ما تقتضيه مشية الله تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في
الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من
الامور المعدودة بكونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة
لايات اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى ايات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة و
الحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اى يتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي عليه السلام آية تصدقه في قوله تعالى وآلهكم آله واحد
وتجهيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تامل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته
الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واكتفى بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه
خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضي ذاته وجوده فضلا عن
وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاوجد حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما يقتضيه حكمته ويستدعيه مشيته
متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي
فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة آراء المشركين اثر تقرير وحدانية سبحانه وتحرير الآيات
الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا
عن الشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كالذي فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم
دون الله متعلق بيتخذ اى من الناس من يتخذ من دون ذلك الآله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة وآثاره الاسم الجليل
لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات اندادا اى امثالا واهوية ردوا دهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون
لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وضعهم بالتبري من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجع ضمير العقلاء
اليها في قوله عز وعلا يحبونهم مبنيا على ارائهم الباطلة في شانها من وضعهم بالا يوصف به الا العقلاء وتحبتهم تسوية القلب
من حب استعير طبة القلب ثم اشتق منه حب لانه اصابها وربح فيها والفعل منها حب على حد مد لكن الاستعمال مستفيض
على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحبت قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره
ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمن تحبتهم يطيعونهم ويعظمونهم ومجلة في حيز النصب اما صفة لانداد او
حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر شبيهي اى نحب مصدر مؤكد
للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعليها فانهم يقرون به تعالى ايضا وتشهد بون اليه
فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اى يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل يحب محذوف اى يحبهم
فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين لله تعالى فلا بد من اعتبار حذف مضاف اما في المحب لانه في وصفه كما اوكيفا ما سيأتي من التفاوت
البين قيل هو مصدر من المبني للمفعول اى كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير

بانه لاشئ احبّ اليهم لانداد هم وبين محبوبيته تعالى فالمصير ما اسلفناه فى تفسير قوله عز قائلا كاسئل موسى من قبل واظهار
الاسم الجليل فى مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة
جئ بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اى لكمؤمنون اشد حبا لله منهم
لانداد هم وما كان حب اولئك لله تعالى اشد من حب هؤلا لانداد هم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبنى للفاعل
ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى ما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور فى حبهم لانداد هم
لكونه منوطا بمبادئ فاسدة ومبان موهومة يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند اشتداد البلايا كما حكى وكانوا يعبدون
صنما آيا ما فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت بالهلة آلهتها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار
اختلال حبهم لها فى الدنيا وليس الكلام فيه بل فى انقطاعه فى الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سئل بل اعتبار
محل بما يقتضيه مقام المبالغة فى بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظيم ما اقترفوه والايثار للاظهار فى موضع الاضمار لتفخيم شأن
والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اى باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب المعدّ لهم يوم القيمة
اى لو علموا اذ اعاينوه وانما اوثر صيغة المستقبل طريا نا مجرى الماضى فى الدلالة على التحقق فى اخبار علام الغيوب ان
القوة لله جميعا سادّ مسدّ مفعولى يرى وان الله شديد العذاب عطف عليه وفائدة المبالغة فى تخويل المخاطب وتقطيع الامل
فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب جوازا تركه عقوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف لزيادة تخويفه عن
دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعتبر او تستمع من الضجر و
التفجع عليه اى لو علموا اذ يرؤا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه احد من انداد هم ان القوة لله تعالى جميعا ولا دخل لاحد
فى شئ اصلا لو تواصوا من حسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ لو ترى بالتا والقوة فانية على ان الخطاب للرسول عليه السلام
او لكل احد ممن يصلح للخطاب فاطراب جواب لو لرائيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البنا للمفعول
وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى تبرا الروسا من الذين
اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه فى الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعترفوا عن
نحا لظهرهم وقابلوهم بالطعن كقول ابليس انى كفرت بما اشركتمونى من قبل وقرئ بالعكس اى تبرا الاتباع من الروسا و
الواو فى قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ او الضمير فى رأو للموصولين جميعا
وتقطعت بهم الاسباب والوصل التى كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائفة والاغراض الداعية
الى ذلك واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرا او توسيط حال بينهما للتنبيه على علة التبرى وقد
يجوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حينئذ حين عاينوا تبرا الروسا منهم ونددوا عما فعلوا من اتباعهم لهم فى
الدنيا لو ان لنا كرة اى ليست لنا رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم هناك كما تبرأوا منا اليوم كذلك الاشارة الى مصدر الفعل
الذى بعده لا الى شئ آخر مفهوم مما سبق ومافيه من معنى البعد لما ان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما
عداه وانتظامه فى سلك الامور المشاهدة والكاف متعلق لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية
اى ذلك الارا الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اى ندامات شديدة فان حسرة الندم والكمد وهى تألم القلب
بخاره عما يوله واستفاتها من قولهم بعير حسير اى منقطع القوة وهى ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال
والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف
مبنى على عالم بعد خروجهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفى الخروج والضمير للدلالة على قوة امرهم

فيما اسند اليهم كانه قيل هم يغرسون البتة كل غرسة واجرد سبأ بن يشجب المغاليا يا ايها الناس كلوا مما فى الارض اى بعض ما فيها
من اصناف الماكولات التى من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله سئل ابن عباس نزلت فى قوم من ثقيف وبنى عامر
بن صعصعة وخزاعة وبنى مدلج احرموا انفسهم ما حرموا من حرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى حلالا حال من
الموصول اى كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اى اكلا حلالا ويؤيد الاولين قوله
طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت فى قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة وجيد الملابس
ويرده قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتدوا به فى اتباع اخطواته فانه صريح فى ان تحريم الكيف
كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تحريما ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى
وانما الذى نزل فيهم ما فى سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ
خطوات بسكون الطا وهما لغتان فى جمع خطوة وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطا كانها
على الواو وبفتحتين على انها جمع خطوة وهى حمرة من خطوا نه لكم عدو مبين تعليل للنهى اى ظاهر العداوة عند
ذوى البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمى وليا فى قوله تعالى اولياء هم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء
استيناف ببيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده والحصار معاملته معهم فى ذلك وكسوة الاصل مصدر سئ
بمعنى السوء وساءة اذا حزنه يطلق على جميع المعاصى سوا كان من اعمال الجوارح او افعال القلب لاشتراك كلها فى انها
تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اى وبان تفتروا
على الله تعالى بانه حرم هذا وذلك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله ما لا يعلمون
وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة فى الزجر فان التحذير عن الاول مع كونه
فى القبح والشناعة دون التحذير عن الثانى ابلغ وجه وآكده ولما بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا
يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا فيه دليل على المنع من اتباع الظن
رأسا واما اتباع المجتهد ما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعى فوجب به قطعى والظن فى طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما
انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جنايا تهم لصرف الخطاب عنهم و
توجيهه الى العقلا، تفصيل مساوى احوالهم لهم على نهج المبالغة اى اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا
كتاب الله الذى انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه آبا نا اى وجدناهم عليه اما على ان الظرف متعلق بمحذوف
وقع حالا من آبا نا والفينا متعد لواحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت فى المشركين امروا باتباع
القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من سائر الظاهرة والبينات الباهرة فبخوا بالتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد
وتحريم الطيبات وتحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبا نا لانهم كانوا خيرا منا واعلم منا فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا
تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استيناف مسوق من جهته تعالى ردا لمقالتهم
الحمقاء واظهارا لبطلان ارائهم والهمزة للانكار الواقع واستقباحه والتعجب منه لا للانكار الوقوعى كالتى فى قوله تعالى اولو كنا
كارهين وكلمة لو فى امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه غالبا لحظ طا
جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب
او الحمل على كل حال مفروض من الاحوال الحقيقة لذلك الاجمال بادخالها على ما بعدها منه واشدها منافاة له

ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ماعداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافي
القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى
ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك
احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء اذ لا يتسلى من ورود
الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان
ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق وان ما في حيز لو باق على ما هو
عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه
على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو
متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع
الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد
معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد النمر فيركبوا متن
العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لآبائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالا
بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين
ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من آبائهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا كانه قيل ايتبعون دين آبائهم حال كونهم عاقلين وجاهلين ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على
اي حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على
اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع كون آبائهم جاهلين
ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي
الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها عدم النفي هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان
ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع
لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه ايتبعون فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه
على كل حال وذلك في امثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد
من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام اي اعني قولهم بل نتبع واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار
ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع
ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان الجمع
يدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق
التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما يدل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر
السابقة لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله
الحقيقة لقرابتها بان تسمى مثلا وتسير في الآفاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم
اليه رأسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الا الدعاء

من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع
الا الصوت الراعي وهتفه بها من غير فهم كلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما
عليه فانها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو معيار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من
انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه
الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم
التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته
على البهائم وهذا غني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله تعالى الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك
وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما ثبت به افراد الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم اي هم صم فهم لا يعقلون
شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع
آيات الله تعالى ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا
فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون
فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس
والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها او
الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او استثناء الشرع
خروج الطحال من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم
ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم
والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل
لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق والجوعة
وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي
وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد
قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر حرمته على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر
حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون
ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر
آنفا وقال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي عليه السلام ويشترون به اي يأخذون
بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم
اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية
بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم
الاشارة مبتدأ ثان او بدل من الاول وخبره ما يأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع
النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله اكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله والتحقيق الحق بعد بيان بطلان الكل وتفصيل خصائص البر مما يختلف باختلاف
الشرائع ومما يختلف باختلافها اى ولكن البر المعهود الذى يحق ان يهتم شانه ويجد فى تحصيله بر من آمن بالله وحده
ايمانا برئيا من شائبة الاشراك كما يأتى اليهود والنصارى والمشركين بقولهم عزيز ابن الله وقولهم المسيح ابن الله
واليوم الآخر اى على ما هو عليه الامر كما يزعمون من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وانهم الانبياء يشفعون لهم ففيم نخوف
بالنار ايمان اهل الكتاب حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفى تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن
التوجه الى المشرق والمغرب من بحر الله ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو توجه الى المبدإ والمعاد الذين هما المشرق والمغرب
فى الحقيقة وكذلك اى ومن آمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين ابنائه بالقاء الوحى وانزال
الكتب والكتاب اى بجنس الكتاب الذى من افراده الفرقان الذى بنذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم
نعوت النبى عليه السلام واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما تفعل اهل الكتاب
ووجه توسيط الكتاب بين جملة الوحى وبين النبيين واضح وسيأتى قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وآتى
المال على حبه حال من الضمير فى آتى والضمير المجرور للمال اى اتاه كائنا على حب حاله كما فى قوله عليه السلام حين سئل اى الصدقة
افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول مسعود رضى الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى
الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اى اتاه كائنا على تحبب
الى الله تعالى لا على قصد الكسر والف وفيه نوع تعريض لبا ذلى الدنيا واخذ بها بالتغيير حيث ورى وقيل للمصدر اى كائنا
على حب الايتاء ذوى القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله الثانى اعنى المال للاهتمام به اولان فى الكلام مع ما عطف
عليه طولا لو روعى الترتيب لفات تجاوب الاطراف فى الكلام وهو الذى اقتضى تقديم الجار ايضا وقيل هو مفعول
الايتاء والبيانى اى المجاورين منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوى القربى عليهم لان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين
جمع مسكين وهو الدائم السكون لان الحلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل
اى المسافر سمى به ملازمته اياه كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجأتهم الحاجة
والضرورة الى السؤال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفى الرقاب اى
وضعه فى فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى فك الاسارى وقيل فى ابتياع
الرقاب واعتاقها واياما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للملكية كالذين من قبلهم اما لان ايتاءهم
بعدم قرار ملكهم نبا او توانيا فى الوجهين الاولين او بعدم ثبوته رأسا كما فى الوجه الاخير واما لان ايثارهم
فى الاستحقاق والحاجة ملا ان فى الظرفية المنبئة عن تمكنهم لا يوانى واقام الصلوة اى المفروضة منها
وآتى الزكوة اى المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم على الفريضة
مبالغة فى الحث عليه او المراد بها المفروضة والاول لبيان المصارف والثانى وجوب الاداء والموفون بعهدهم
عطف على من آمن فانه فى قوة ان يفاك ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب
استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يخرم حلا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس
وقوله تعالى اذا عاهدوا لان يذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص
غير سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو فى الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو على
اذا ذكرت صفات للمدح او الذم فخولف فى بعضها الاعراب فقد خولف لئلا فتناه ويسمى

او ياكلون فى المآل يوم القيمة عين النار عقوبة على اكلهم الرشى فى الدنيا وفى بطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد
الاكل وتقرير ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملأ بطونهم كما فى قولهم اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه و
منه كلوا فى بعض بطنكم تعففوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقدمه
على حرف الاستثناء والا فتعليقه بما يكلون بؤدى الى قصر ما يأكلونه الى الشيء على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا
عليها ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات
السنية والرزق ولا يزكيهم لا يثنى عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مولم اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظيره
لا لاعتبار المذكور خاصة لامع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها فى الحكم الذى يراد اثباته ههنا فان
المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة
ما بنذوه واظهار كنه ما اخذوه وابدا فخطاعة بنعاته وهو مبتدا خبره الموصول اى اولئك المشترون
بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا المشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة التى ليست
مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذى ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شئ وآن جل والعذاب اى اشتروا بالنظر
الى الآخرة العذاب الذى لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التى يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار
تعجب من حالهم الهائلة التى هى ملاسبتهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند كيموية نكرة تامة
مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصص شر فى شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اى شئ عظيم
جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اى اى شئ اصبرهم على النار وقيل هى
موصولة وقيل موصوفة بما بعدها وبخبر محذوف اى الذى اصبرهم على النار او شئ اصبرهم على النار امر عجيب
فكيع ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق اى ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالكلية
والكتمان ويركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا فى الكتاب اى
فى جنس الكتاب الآتى بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او فى التوراة بان آمنوا ببعض اياتها وكفروا
ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبى عليه السلام ونعوته المكرمة فمنع الاختلاف التخلف عن الطريق الحق او
الاختلاف فى تأويلها اخذا للقرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير الاولين كما حكى عن بعض المفسرين
لفى شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
البر اسم جامع للمراضى يختص بالحقاء لا اهل الكتاب بين فانهم كانوا اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت الى الكعبة
وكان كل فريق يدعى خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان حملة
النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب بحسب الوقوع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب
ليس لكونه مقربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا فى جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من
التوجه الى تلك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها كما فى قوله سلى ان جهلت الناس عنى وعنهم فليس سواء عالم
وجهول وقوله ليس غيظا ان تلم مكة وليس على فى لحظ مقول وانما اخر ذلك لان المصدر المؤول اعرف من
المعلى بالرام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان فى الاسم طولا فلو روعى
الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وورى بترفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعى
ان البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذلك الا ان يكون البر اسما كما يقع عنه جعله خبرا عنه فى الاستدراك

ان الصبر جيرل
عرف من الطلى
ما لام

ذلك قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما مر في صدر
السورة وقد قرئ والصابرون كالقرئ والحكوفيين في البأساء اى الفقر والشدة والضراء اى المرض و
الزمانة وحين البأس اى وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الطين لاستحضار بوقوعه احيانا
وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجليلة المعدودة ومافيه من معنى
البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اى في الدين واتباع الحق وتحري البر
حيث لم يغيرهم الاحوال ولم يزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة
لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية
لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا فانها مع تكثر شئونها وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلث
صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل والى الثانية
بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من عمل بهذه الاية
فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلاقي لما فرط من
المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التي عليها مبنى اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اى فرض والزم
عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الواجب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او
القاتلين القصاص في القتلى اى بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امراة دخلت النار
في هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية
بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر
بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتبعوا واداؤا وليس
فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر التخصيص
بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رائت الوجه ههنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رحمهما الله
بما روى علي رضي الله تعالى عنه ومن سائر الصحابة ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ونفاه سنة ولم يقده وبما روى عنه رضي الله تعالى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بدي عهد
ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير
نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة
من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب علينا انها شريعة لنا ولان القصاص
يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيها وقرئ كتب على البناء للفاعل و
نصب القصاص ممن عفي له من اخيه شئ اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض
العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض
الاولياء فهو شئ من العفو وقيل بمعنى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم تثبت عفا ه
بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال ... ديار عفا ها جور كل معاند ه
وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محي له من اخيه شئ صرف

للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفي
استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا فيما ذكر من قتل وعفا يعدى
بعن الى الجاني والذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب
قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم واريد
بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم عليه الصلوة والسلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف
عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة الدية
بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث للعفو عنه على ان يؤدي بها باحسان
من غير مماطلة وبخس ذلك اى ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل
والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى
العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث تيسيرا عليهم
وتنزيلا للتحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا
الحكم او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية فله باعتدائه عذاب اليم اما في الدنيا
فبالاقتصاص بقتله بغير حق واما في الآخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة بيان لما في
الحكم المذكور على وجه بديع لاتنال غايته حيث جعل الشئ محلا لضده وعرف القصاص ونكر
الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم
به يردع القاتل عن القتل فيتسبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد
فيثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول
فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا
لم يؤاخذ به في الآخرة والظرف ان اما خبر ان حيوة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن
فيه وفي القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي
الالباب اى ذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان
تنشيطا لهم الى التأمل في حكمة القصاص لعلكم تتقون اى تقوا انفسكم من المؤاخذة في امره والاخلال
في المحافظة عليه وتحكم به والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي اليه كتب عليكم
بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة او حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهرت اماراته او دنا منه
من الحضور وتقديم المفعول للافادة كان تمكن الفاعل عند النفس وقت ورود عليها ان ترك خيرا
اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبع مائة درهم فمنعه
وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد
الوصية وله عيال وارباعه ودنانير فقالت ما اراك تبقي فضلا وارادت آخر ان يوصي فقالت كم مالك فقال ثمانية
الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك
الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا واثار تذكير الفعل مع جواز تأنيثه ايضا
للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله فمن بدله بعد ما سمعه واذا ظرف محض

والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه
البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا سباغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدا خبره للوالدين و
الجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها وردّ بانه ان صح فمن ضرورة الشعر و
معنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول اية المواريث بقوله عليه السلام ان الله تعالى
قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الآحاد لكن حيث تلقته الامة
بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ عندنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي اية
المواريث واما الحديث بين جلية نسخها بيان انه تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين
حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى
آرائكم حيث قال بالمعروف اي بالعدل فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى تبيين طبقات الاستحقاق
لكل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم
القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شائبة مدخل لرائكم اصلا حسما يرجب عنه جملة المنفية
بلا النافية للجنس وتصدير الكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان اية المواريث لا تعارض
بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة اياها بالقبول
لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين
بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضرين بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا قيل
من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت اية المواريث
بيانا لانصباء بلفظ الايصاء المبهم منها تنبيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية
التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث
مقام الوصية فكان هذا بعض النسخ لا انه في نفسها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول الاية الوصية
حيث كان تفويضا للامر الى اراء المكلفين على الاطلاق وتنفي الخروج عن عهدة التكليف باداء
ما ادى اليه اراؤهم بالمعروف فيكون اية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير
الحقوق القاطعة باشتاع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة طهارفعة لحكمها
مما لا شبهة على احد وقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لظهار رافعة لحكمها حقا على المتقين مصدر مؤكد
اي حق ذلك حقا من بدله اي غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اي بعد ما وصل اليه وتحقق لديه
فانما اثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع
ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الايذان بعلية ما في حيز الصلة للاولى
وابثار الجمع لاستعار بعد والمبدلين انواعا او كثرتهم افرادا او الايذان بشمول الاثم لجميع الافراد
ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين ممن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء
وقرئ من موص جنفا اي ميلا باخطاء في الوصية او اثما اي تعمد للحيف فاصلح بينهم اي بين الموصي
لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى
حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به و
الصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الآية
وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو وقال
خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك نهار مع النية عن المفطرات المعهودة
التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب في حيز النصب على انه نعت للمصدر حذوكذا اي كتبا كائنا كما كتب او على انه حال
من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام المكتوب مشبها بما كتب فاحد الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من
لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب
على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب للنفس
المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما
يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه
يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صاد فوا حر شديد
فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة
لما صنعوا فصاروا بعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون اي تتقون
فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كان عليه السلام يحث عليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال باداء الله تعالى
او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا
والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلثة ايام من كل
شهر وانتصابه بيس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل هو عليه اعني صوموا اما على الظرفية او
المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محالا له بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا
المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم او يعسره او على سفر مستمرين عليه وفيه
عدول ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر
فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطاء
فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومُدّ عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء
الاسلام لانه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه
اي يكلفونه او يقلدونه ويطوقونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويَطَّيَّقونه ويَطَّيَّقونه بمعنى يتطيقونه واصلها
يُطْيِيقونه ويَطْيِيقونه من تفيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء وكقولهم تدير المكان وما بها ديار
وفيه وجهان احدهما ان لا مزيدة في يطيقونه والمعنى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم ومشقة وهم الشيوخ والعجائز وحكم
هؤلاء الافطار والفدية وهو غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا بعض يطيقونه اي يصومونه بجهد وطاقتهم فمعنى لا يطيقونه
فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون او تحملوا على انفسهم وتجهدوا بالصوم خير لكم من الفدية او من الافطار للمرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع
الخير او منها او من التاخير الى ايام اخر او الالتفات الى الخطاب للتنزيه والتشريط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم مع

على ما هو عليه في نسخة
مورد الوحي ١٨٠٣

فرض رمضان

تعسير اليهود وتعسفات
الصوم وغموضه

تحقق المبيح لافطار من الفضيلة والجواب بحذوف ثقة بظهوره اى اخترتموه او صار حتما اليه وقيل مضاف
ان كنتم من اهل العلم والتدبير علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدا سيأتى خبره او خبر لمبتدا
محذوف اى ذلك شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اى صيام شهر رمضان وقرى بالنصب على
اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا او بدل من ايام معدودات او رمضان مصدر رمض اى احترق من الرمضاء
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن دايه للغراب فعقوله عليه السلام
من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف لئلا من من الالتباس وانما سمي بذلك اما لان رمضت فيه من
الجوع والعطش او لان تماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه فى ايام رمض تحر عند نقل اسماء الشهور عن
اللغة القديمة الذى انزل فيه القران خبر للمبتدا على الوجه الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى
انزال فيه انه ابتدا انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض
حسبما يقتضيه المشية الربانية او انزل فى شانه القران وقوله عز وجل كتب عليكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل لثلث عشرة و
القران لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالا من القران اى انزل حال كونه
هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم
والاحكام فمن شهد منكم الشهر اى حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة فى
البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمين المبتدا معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان
مبتدا والموصول صفة له وهذه جملة خبرالة وقيل هى خبرانية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام فى ذلك
الشهر فمن حضر فيه فليصم اى فليصم فيه بحذف جار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من
شهد منكم هلال الشهر فليصم على انه مفعول به كقوله شهدت حجة اى صلوتها فيكون ما بعده
مختصا له كانه قيل ومن كان مريضا حاضرا فيه مقيما او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر
اى فعليه صيام ايام اخر لان المرض وحى فر من شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخه
خرينه بريد امه بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل الفعل محذوف يدل عليه ما سبق اى ولهذه الامور
شرع ما شرع من امر الله بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص فى اباحة
الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علة من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة
الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون
معطوفة على علة مقدرة مثل يسر لهذا عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اى يريد بكم لتكملوا
وقوله تعالى يريد ون ليطفئوا الخ وتعدية بالتكبير بتعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل بتكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال
وما يحتمل المصدرية والموصولة اى على هدايته اياكم او على الذى هداكم اليه وقرى ولتكملوا بالتشديد واذا سالك
عبادى عنى فى تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله عليه السلام ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فانى قريب اى فقل لهم انى
قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه سردى ان اعرابيا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان

تحصيل رمضان

تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا
دعونى لمهماتهم وليؤمنوا بى امر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد اى الحق
وقرى بفتح الشين وكسرها وما امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير الى
عقبه بهذه الاية الكريمة الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع باقوالهم يجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم فاعبدوه وحثا عليه
ثم شرع فى بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا اصابوا من
الاكل والشرب وبجماع قبل العشاء الاخيرة او برقدوا ثم ان عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبى عليه السلام
واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث
كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء و
الانهاء واثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمى خيانة وقرى الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام
الفاعل لما مر مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن
هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة
بهن وجعل كل من الرجال والمراة لباسا لاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت وكانت عليه لباسا اولان كلا منهما يستر حال صاحبه وعيبه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استيناف
آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من تخيانة كما لا كتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب
ونقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اى تاب عليكم لما تبتم مما فرفتموه وعفا عنكم اى ما اثره عنكم
فالان ناسخ التحريم بالمباشرة الرافع للمشقة بالنسبة الى ما عن الجماع الذى يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب
بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اى واطلبوا ما قدره الله لكم وقرره فى اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه
الحكمة فى خلق الشهوة وشرع النكاح لا اقتضاء الشهوة وقيل فيه نهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى
كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعرض فى الافق
وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه
وبذلك خرج عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى من انها نزلت ولم ينزل من
الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت تدفع ذلك كان قبل دخول رمضان
وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهار ما دل على النسخ على بعضهم ورفع تجويز المباشرة الى
الصبح دلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقته ولا تباشروهن
وانتم عاكفون فى المساجد اى معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع ومن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته
فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون فى المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطى فيه
حرام ومفسد لان النهى فى العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اى الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده
فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب تحد اطاجر بين الحق والباطل مبالغة فى النهى عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل
ملك حمى وحمى الله تعالى محارمه فمن رتع حول حمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى محارمه ونواهيه كذلك اى مثل ذلك
التبيين البليغ يبين الله آياته الدالة على الاحكام التى شرعها للناس لعلكم يتقون مخالفته او لعلهم يتقون نواهيه ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل نهى عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف حكم الله تعالى وعدل بعد النهى عن اكل اموال انفسهم فى نهار رمضان

ای لا یاکل بعضکم مال بعض بالوجه الذی لم یبحه الله تعالی وبین نصب علی الظرفیة او الحالیة من اموالکم وتدلوا بها الی الحکام
عطف علی المنهی عنه او نصب باضمار ان والا دلآء الالقاء ای ولا تلقوا حکومتها الی الحکام لتاکلوا بالتحاکم الیهم فریقا من
اموال الناس بالاثم بما یوجب اثاکتسابه کشهادة الزور والیمین الفاجرة او ملتبسین بالاثم وانتم تعلمون انکم مبطلون فان
ارتکاب المحظور مع العلم بها اقبح روی ان عبدان الحضرمی ادعی علی امرئ القیس الکندی قطعة ارض ولم یکن له بینة فحکم رسول
الله علیه السلام بان یحلف امرؤ القیس فهم به فقرا علیه علیه السلام ان الذین یشترون بعهد الله وایمانهم ثمنا قلیلا الآیة فارتدع عن الیمین
فسلم الارض الی عبدان فنزلت وروی انه اختصم الیه خصمان فقال علیه السلام انما انا بشر مثلکم وانتم تختصمون الی ولعل
بعضکم الحن بحجته من بعض فاقضی له علی نحو ما اسمع منه فمن قضیت له بشیء من حق اخیه فانما اقتطع له قطعة من نار فیکیا
تقال کل واحد منهما حتی نقال اذهبا فتوخیا ثم استهما ثم لیحلل کل احد منکما صاحبه یسئلونک عن الاهلة سالوه
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا یا بال الهلال یبدو رقیقا کالخیط ثم یزید حتی یستوی ثم لا یزال ینقص حتی یعود کما بدا
فلا یکون علی حالة واحدة فما بال الهلال یبدو ثم یذهب فنزلت وقیل ای مواقیت للناس والحج کانوا قد سالوه علیه السلام عن حکمة فی اختلاف حال القمر وتبدل امره فاجابه الله العزیز الحکیم
ان یجیبهم بان حکمة الظاهرة فی ذلک ان یکون معالم للناس فی عباداتهم للسیما الحج فان الوقت مراعی فیه اداء وقضاء
وکذا فی معاملاتهم علی حسب ما یتفقون علیه والمواقیت جمع میقات من الوقت والفرق بینه وبین المدة والزمان ان
المدة المطلقة امتداد حرکة الفلک من مبدئها الی منتهاها والزمان مدة مقومة بالماضی والحاضر والمستقبل والوقت
الزمان المفروض لامر لیس البر بان تاتوا البیوت من ظهورها کانت الانصار اذا احرموا لم یدخلوا دارا ولا خباء ولا خطاء
من بابه وانما یدخلون ویخرجون من نقب او فرجة وراءها ویعدون ذلک برا فبین لهم انه لیس بر فقیل ولکن البر من اتقی ای بر
من اتقی المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرین اوانه لما ذکر انها مواقیت للحج ذکر عقیبه ما هو من
افعالهم فی حج استطرادا او انهم لما سالوا اعلاما یعینهم ویختص بعلم الرؤیة فاجیبوا بان الاهلة مبعوث لبیان الشرائع لا لبیان
حقایق الاشیاء وترکوا السؤال عما یعنیهم وتخیص بعلم الرؤیة عقب بذکره جواب ما سالوا عنه تنبیها علی ان الحائق بهم ان یسالوا
عن اشباه ذلک ویتعلموا ما یعلم بها او اریدبه التنبیه علی تعکیسهم فی السؤال وکونه من قبیل دخول البیت من ورائه وجمع ولیس البر بان
تاکلوا فی مساکنکم ولکن البر من اتقی ذلک ولم یجتر ئ علی مثله واتوا البیوت من ابوابها آذ لیس فی العدول بر او باشروا الامور
من وجوهها واتقوا الله فی تغییر احکامه اوفی جمیع امورکم امر بذلک حرجا بعد بیان ان البر بر من اتقی اظهارا لزیادة
اعتناء بشان التقوی وتمهیدا لقوله تعالی لعلکم تفلحون ای لکی تظفروا بالبر والهدی وقاتلوا فی سبیل الله ای جاهدوا
لاعزاز دینه واعلاء کلمته وتقدیم الظرف علی المفعول الصریح لابراز کمال العنایة بشان المقدم الذین یقاتلونکم
قیل کان ذلک قبل ما امروا بقتال المشرکین کافة المقاتلین منهم والملجئین وقیل معناه الذین بدا صبونکم
القتال ویتوقع منهم ذلک دون غیرهم من الشیخ والصبیان والرهبانیة والنساء او الکفرة جمیعا فان الکل بصدد
قتال المسلمین ویؤید الاول ما روی ان المشرکین صدوا رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم عام الحدیبیة وصالحوه علی ان یرجع
من قابل فیخلوا له مکة ثلثة ایام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا یفوا لهم ویقاتلوهم فی الحرم والشهر الحرام
وکرهوا ذلک فنزلت ویعضده ایراده فی اثناء بیان احکام حج ولا تعتدوا ابتداء القتال او بقتال المعاهدین وجمعا
من غیر دعوة او بالمثلة وقتل من نهیتم عن قتله من النساء والصبیان ومن بجری مجراهم ان الله لا یحب المعتدین ای لا
یریدبهم خیرا وهو تعلیل للنهی او قتلوهم حیث ثقفتموهم ای حیث وجدتموهم من حل او حرم وحیث الثقف لحذق فی ادراک
الشیء علما او عملا وفیه معنی الغلبة ولذلک استعمل فیها قال فاما تثقفنهم فی الحرب فشردبهم من خلفهم اخرجوهم من حیث اخرجوکم ای مکة وقد فعل بهم ذلک یوم الفتح بمن سلم من کفارها والفتنة اشد من القتل ای محنة
التی یفتتن بها الانسان کالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وبقائها الم النفس بها وقیل شرکهم اشد من القتل
وصدهم لکم عنه اشد من قتلکم ایاهم فیه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ای لا تقاتلوهم بالقتال هناک ولا تنهتکوا حرمة
حرمة المسجد الحرام حتی یقاتلوکم فیه فان قاتلوکم فاقتلوهم فیه ولا تبالوا بقتالهم ثم لا تنهم الذین هتکوا حرمة فاستحقوا
اشد العذاب وفی العدول عن صیغة المفاعلة التی ورد النهی والشرط عدة بالنصر والغلبة وقری ولا تقتلوهم حتی یقتلوکم
فان قتلوکم فاقتلوهم وهکذا حتی یقتلوا بعضکم کقوله لهم قتلتمونا اسد کذلک جزاء الکافرین یفعل بهم مثل ما
فعلوا بغیرهم فان انتهوا عن القتال والکفر بعد ما رأوا قتالکم فان الله غفور رحیم یغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم
حتی لا تکون فتنة ای شرک ویکون الدین لله خالصا لیس للشیطان فیه نصیب فان انتهوا بعد مقاتلتکم عن الشرک
فلا عدوان الا علی الظالمین ای فلا تعتدوا علیهم اذ لا یحسن الظلم الا لمن ظلم فوضع الحکم وتسمیة الجزاء بالعدوان
للمشاکلة کما فی قوله عز وجل فمن اعتدی علیکم فاعتدوا علیه او الحکم ان فرضتم للمنتهین صرتم ظالمین وتنعکس
الحال علیکم والفاء الاولی للتعقیب والثانیة للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشرکون عام حدیبیة
فی ذی القعدة فقیل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء فی ذی القعدة ایضا وکرهتم القتال فیه هذا الشهر
الحرام بذاک الشهر الحرام وهتکه بهتککم فلا تبالوا به وحرمات قصاص ای کل حرمة وهی ما یجب الحفاظ علیه بحیث یهتک فیها
القصاص فلما هتکوا حرمة شهرکم بالقصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا علیهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوکم کما قال تعالی
فمن اعتدی علیکم فاعتدوا علیه بمثل ما اعتدی علیکم وهو فذلکة مقررة لما قبلها واتقوا الله فی شان الاقتصاد واخذ الحق
ان تعتدوا والا مالم یرخص لکم واعلموا ان الله مع المتقین فینجیهم ویصلح شؤنهم بالنصر والتمکین وانفقوا فی سبیل الله
امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس ای لا تمسکوا کل الامساک ولا تلقوا بایدیکم الی التهلکة بالاسر وتضییع
وجه المعاش او بالکف عن الغزو والانفاق فیه فان ذلک مما یقوی العدو ویسلطهم علیکم ویؤیده ما روی
عن ابی ایوب الانصاری رضی الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وکثر اهله رجعنا الی اهالینا واموالنا
نقیم فیها ونصلحها فنزلت او بالامساک وحب المال فانه یؤدی الی الهلاک المؤبد ولذلک سمی البخل هلاکا
وهو فی الاصل انتهاء الشیء فی الفساد والالقاء طرح الشیء وتعدیته بالی لتضمنه معنی الانتهاء والباء مزیدة
والمراد بالایدی الانفس والتهلکة مصدر کالتنزلة والنشرة وهی والهلک والهلاک واحد ای لا تفعلوا الفعل
الذی یؤدی الهلاک وقیل معناه لا یجعلوا انفسکم عرضة للهلاک بایدیکم وقیل معناه لا تلقوا بایدیکم انفسکم الیها بحذف المفعول واحسنوا
ای اعمالکم واخلاقکم او تفضلوا علی الفقراء ان الله یحب المحسنین ای یریدبهم الخیر وقوله تعالی واتموا الحج والعمرة لله
بیان لوجوب اتمام افعالها عند الشروع لانها وارشاد للناس الی التدارک لما عسی یعتریهم من العوارض المخلة
بذلک من الاحصار ونحوه من غیر تعرض لحالها فی انفسها من الوجوب وعدمه کما فی قوله تعالی ثم اتموا الصیام الی اللیل فانه بیان
لوجوب مد الصیام الی اللیل من غیر تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالی کتب علیکم الصیام الآیة کما ان وجوب الحج بقوله تعالی وللہ علی
الناس حج البیت الآیة فان الامر باتمام فعل من الافعال لیس امرا باصله ولا یستلزم له اصلا فلیس فیه دلیل علی وجوب العمرة
قطعا وادعاء ان الامر باتمامها امر بانشائها تامین کاملین حسبما یقتضیه قراءة وانجعوا الحج والعمرة وان الامر للوجوب
عالم یزل علی خلافه ولیس مما لا سداد له ضرورة ان لیس البیان مقصورا علی افعال الحج المفروض حتی یتصور ذلک بل الحج ان ملک
القراءة ایضا محمولة علی المشهورة فاطقة بوجوب اقامة افعالها کما ینبغی من غیر تعرض لحالها فی انفسها فالمعنی اکملوا افعالهما

وشرائطها وسائر افعالها المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير احلال شئ منكم شيئا منها هذا وقد قيل اتمامها ان يحرم بهما
من دويرة اهله حتى روى ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وقيل ان تعد كل واحدة منهما سفرا
كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل وجعل نفقتها حلالا ولا وجيل ان يخلصوهما للعبادة ولا تشوبهما
بشئ من الاغراض الدنيوية وايا ما كان فلا تعرض في الاية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روى عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال ان العمرة لقرينة حج وتحول عمر رضي الله تعالى عنه بهديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت
حج والعمرة مكتوبين على اهلت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فيعمل من اداة الوجوب مع كونه معارضا
بما روى عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل حج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه الصلوة والسلام
حج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اي منعتم من حج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه
من المضي لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فاذا امنتم
ولنزوله في محل بيبية وبقول ابن عباس رضي الله عنه لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند
ابي حنيفة رحمه الله تعالى لما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من كسر او عرج فعليه حج من قابل فما استيسر من الهدي اي
فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر وارادان يتحلل فعليه بذبح هدي تيسر
عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عندنا الا كثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم
النحر فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا حتى
تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث
يعلم ذبحه فيه حلا كان او حرما ومرجعهم في ذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل فلما
كان محصره عليه السلام طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله عليه السلام نحر هديه في الحرم
وقال الواقدي الحديبية بئر طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية
كجدي وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوج الى الحلق او به اذى من رأسه
كجراحة او قمل فحلق ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق
على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن او سعة فمن تمتع بالعمرة
الى الحج اي فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته
باستباحة محظورات الاحرام الا ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران
يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه عندنا وعند ابي حنيفة كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين
وقال ابو حنيفة في ايام الاشتغال باعمال بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يفوته يوم النحر وايام
التشريق وسبعة اذا رجعتم اي فرغتم من اعمالكم في احد قولي الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة
تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما هو قول كما جاء الحسن وابن سيرين وان بعد العدد جملة كما
علم تفصيلا فان اكثر العدد لا يخبر به وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كما لم صفة
مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة لكمال العشرة فانها اول عدد كامل آذ به ينتهي الاحاد
ويتم مراتبها او مفيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي وذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافع

ايام

ساق عرفات

لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا وفي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا
واهل الحل عند طاوس وغيره اهل مكة عند مالك واتقوا الله في الحافظة على اوامره ونواهيه للاسباب في حج واعلموا ان
الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن التهاون والاظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال
الروعة حج اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة
النحر عند ابي حنيفة وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه ووقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره
من المناسك مطلقا فان ما لا كراهة العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه واما
سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء
فمن فرض فيهن حج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال اي لا يرفث ولا يفسق ولا يجادل احد في حج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشأنه و
الاشعار بعلة الحكم فان زيادة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وآثارها
والنفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ينفى تضاعيف
الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ
الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك
ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فامروا بان يقفوا بعرفات
وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزى به خير جزاء وحث على فعل كثير اثر النهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد
التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون و
يقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس
واتقون يا اولي الالباب فان فضيلة اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم حثهم على التقوى ثم امرهم
بان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتزودوا من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المفرى عن شوائب الهوى فلذلك
خصص بهذا الخطاب اولوا الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه
اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمون بها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها
فلما جاء الاسلام تأثموا منها فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا اصببته بكثرة
واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول حذفه من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات واما نون وكسر وضعه
علمية وتأنيث لما ان تنوين جمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك تجمع مع الام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك اولان التأنيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست بتاء التأنيث وانما هي مع
الالف التي قبلها علامة جمع كمؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تأبى تقديرها لما انها كالبدل
منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه اولان جبريل
عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت اولان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا اولان الناس يتعارفون فيه
وهي من الاسماء المرتجلة الامن يجعلها جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الامر للوجوب ولا يكون الا بعده
وهي ما مور بها بقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبي عليه السلام الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر ما مور به

وقيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام
هو جبل تقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل بين مازمى عرفة ووادى المحسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر بغلس
بالمزدلفة ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعاه وكبره وهلله ولم يزل واقفا حتى اسفر واتما سمى مشعرا لانه معلم للعبادة
ووصف بالحرام حرمته ومنع عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر
واذكروه كما هداكم اى كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة وان هى المخففة واللام هى الفارقة
وقيل هى نافية واللام بمعنى الا كما في قوله عز وعلا وان تظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى من عرفة
لما من المزدلفة وخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك شرفا عليهم فامروا بان يقفوا معهم
ثم استغاثوا ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة
من عرفة اليها وخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اى الناسى على ان يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسى والمعنى ان الافاضة
من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم بفرط مغفرته ورحمته ومنع عليه منهو
تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عبادآتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم اى فاكثروا
ذكره تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر اباءكم ومفاخرهم واياما مهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين كل جمعة
وجمعة فيذكرون مفاخر اباءهم ومآثر اياما مهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بحذف المضاف اى ذكرا هو اشد من ذكر
الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اباءكم او كذكركم اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم او منصوب بالعطف
على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا
منكم لاباءكم فمن الناس تفصيل لمذكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب خير الدارين والمراد
به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الآخرين من يقول اى في ذكره ربنا آتنا في الدنيا اى اجعل ايتاءنا في
الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اى من حظ ونصيب لاقتصار همته على الدنيا فهو بيان لحاله في الآخرة او من طلب
خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة هى
الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة هى الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقرئ
من على كرم الله وجهه ان حسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة حورا وعذاب النار امرأة السوء وعن الحسن رضي الله عنه
ان حسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب الموجبة
لعذاب النار واولئك اشارة الى الفريق الاخير باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني
للتنويع اى لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به تعظيما منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم
في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذه شانه ان قدرته او بوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فيها دردا
الى الطاعات واكتب الحسنات واذكروا الله اى كبروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القربان ورمي الجمار وغيرها في ايام
معدودات هى ايام التشريق ممن تعجل اى استعجل في النفر والنفير فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين
يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر كما في قوله فمديدرك المتانى بعض حاجته و

وقد يكون من المستعجل النازل في يومين اى في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده نفرا ذا
فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال وبعده وعند البعض بعده
فقط فلا اثم عليه بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه فضيلة التاخر واما رد بنفي الاثم تصريحا
على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن موثم للمتعجل وموثم للمتاخر لمن اتقى خبر لمبتدا محذوف اى الامر ذكر من التخيير ونفي الاثم
عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاق بحقيقته والمنتفع به او الحاج حتى لا يتضرر بترك ما يتم نهما والقصد الاتم
في مجامع امورهم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعيشهم وتنتظم لهم سلك المتقين بالاحكام المذكورة والرخص
اذا حذروا الاخلال باذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اى للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء
والبعث واصل الحشر الجمع وضم المفترق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحشر حق
كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تعجيب مخاطب وتوجيه الى عليه السلام وهو كلام مبتدا
سيق لبيان تخرب الناس في شان التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما يبين
في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اى ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما ان به
فيه من حلاوة الشرف ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه
في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اى ما يقوله في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريده بما يدعيه من الايمان
ومحبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا آخر ليس بهذه الصفة او يعجبك اياك
قوله في الدنيا بحلاوته وفصاحته لانه في الآخرة على انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل ما يبرهقه من الحجة والكلفة
وانت خبير بانه لا مساغ حينئذ في سوء حاله فان ماله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل
معنى الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اى لا يصدر منه فيها الا القول الحسن ويشهد الله على ما في قلبه اى
بحسب اوعائه حيث يقول الله تعالى يعلم اني ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ و
يشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنه والله يشهد على ما في قلبه
على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فاجلة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الالد الخصام اى شديد العداوة
والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او اشد الخصوم
لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر
حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعي الاسلام ويحبه وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير
المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اى من
مجلس وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعل الاخنس بثقيف حيث بيتهم
واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه
قبر هلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام
وهى لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اى لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على
من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له على نهج الغلظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من
الفساد والنفاق واحذر سوء عاقبته اخذته العزة بالاثم اى حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي
نهي عنه جاجا ومنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدا وخبر اى كافيه جهنم

مظلب
ان الحصام
مصدر
القطر
لهم

وقيل جهنم فاعل حسبهم وتمد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقرئ لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب
اسم فعل ماض اى كفته جهنم وليس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعيينه
والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدا وخبر كما مر
اى يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للهلاك في الحرب او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضاة الله اى طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قبل ما قبله من حيث ان
ذلك يانف من الامر بالتقوى وهذا يأمر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان
الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم ينفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا
عليه واخذوا ماله فاتى المدينة فبشره ح بعض بشرى طريان اطلاقه على صورة البشري
والله رؤف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب وجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين امنوا ادخلوا
في السلم اى الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة
حال من الضمير في ادخلوا اوفي السلم او منهما معا كما في قوله خرجت بها تمشي بخ وردا نا على اشربنا ذيل مرط مرجل وهي
وهي في الاصل اسم لجماعة تكف مخالفيها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتانيث حتى يحتاج الى جعل السلم
مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع وانما هي للنقل كما في عانة وخاصة وفاطبة والمعنى اسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا
وباطنا وخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره وخطاب لمومني اهل الكتاب فانهم كانوا
يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا
والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في سعب الاسلام
واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ منها والخطاب للمسلمين واما خرطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان
الا بالكفر به الآن اذ انما يأتون ما يدعونه لانهم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق او بمخالفة ما
امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان زللتم اى عن الدخول في السلم
وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم الايات البينات والحجج القطعية الدالة على حقيقته وحجية ما دعوكم اليه
فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه حكمته من مواخذة المجرمين
مستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكاري في معنى النفي اى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد
والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اى امره وباسه او ياتيهم
الله بامره وباسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان باتي سوء صنيعهم موجب
لاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم
لامحالة كائنون فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها متربصون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل في جمع قلة
وهي ما أظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اى السحاب الابيض واما اهل العذاب فيه فانه مظنة الرحمة فاذا اتى
منه العذاب كان اقطع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث
يرجى منه الخير والملائكة عطف على اسم الجليل اى وتاتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره الكلي بل هم الآتون
بباسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتي اولا من جنس ما يلابس الغمام وتترتب عليه عادة

واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على
ظلل او الغمام وقضي الامر اى ايم امرا هلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل في حيز الانتظام واى
عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه وكانه قد كان او جملة مستانفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها
وقرئ وقضاء الامر عطفا على حمل الملك وإلى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع
وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بني اسرائيل خطاب لرسول عليه السلام او لكل احد
من اهل الحظ والمراد بالسوال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير مجيء البينات كم اتيناهم من آية بينة
معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عليهم السلام وآية نائطة بجحفلة الاسلام الامور المحدث فيه وكم خبرية او استفهامية
مفعوله وتحتها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر واية مميزها ومن يبدل
نعمة الله التي هي آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم وابدعها جعلها سببا للضلالة وازدراء
الرسل او تحريفها وتاويلها الزائغ من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك
مع ان التبديل لا يتصور قبل مجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فيل تقديره ضيعوها وبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم
حاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه
اشد عقوبة فانه شديد العقاب ولاظهار الاسم بجليل لتربية مهابته وادخال الروعة زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا اى حسنت في اعينهم وانشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها
والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شئ الا وهو
خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في حدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض
ويسخرون من الذين امنوا عطف على زين وابثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء
المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يستدنونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن
ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدئة منهم والذين اتقوا هم الذين آمنوا بقلوبهم واعمالهم وانما ذكر بالعنوان المنبئ
للايذان باعراضهم عن حدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم
يوم القيمة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة
او لانهم يتطاولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وجملة معطوفة على ما قبلها واثبات
الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اى في الدارين بغير حساب بغير تقدير توسع
في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة حقة ودين الاسلام
وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اى فاختلفوا فبعث
وهي قراءة ابن مسعود وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب كذى علمنه
من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر وهم المذكورون في حم عسق
ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث
الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اى جنس الكتاب او مع
كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الذي يخصه به لامع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب

عدد الانبياء
ورسل

وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم البينين لانبيا وخصوص الضمير العائد حينئذ بمعونة المقام بالحق حال
من الكتاب اى ملتبسا بالحق او متعلقا بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اى الكتاب
او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من البينين بين الناس اى محمد كورين والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة
التعيين فيما اختلفوا فيه اى فى الحق الذى اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اى فى الحق او
فى الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة
الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما فى تضاعيفه من الحق
فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اى عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه
ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اى رسخت فى عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام
اى فاختلفوا وما اختلف فيه هم وقيل بالمفعوط بناء على عدم منع الآء عنه كما فى قولك ما قام الا زيد
يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به من اى اختلفوا بغيا وتهالكا على حد بنيا فهدى الله
الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفى
ابهامه ادلالا وتفسيره ثانيا مما لا يخفى من التفخيم بما ذه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدى من يشاء
الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر
بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم
من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم التي لا محيص ولا مناص عنها لا بد منها
الاستبعاد اى بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما تاتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم من المؤمنين
اى وحال انه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة
هو متوقع وتنظر مستغرب استيناف وضع جوابا عما يثير قوله هذا من كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل
مستهم البأساء اى الشدة من الخوف والفاقة والضراء اى الآلام والامراض وزلزلوا اى أزعجوا
ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اى انتهى امرهم
من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤن الله تعالى واوثقهم بنصره و
المؤمنون متقدمون بآثاره المستضيئون بانواره متى نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة
لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات
القاصية ونهاية النهايات الدانية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عبل صبرهم
وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمع وراءها الا ان نصر الله قريب على التقدير
القول اى فقيل لهم في ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب التوقع الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على
الفعلية الناسبة لما قبلها وتصدير ها بحرف التنبيه والتاكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره
ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بنصر ما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله عليه السلام والاقتصار على حكايته
دون حكاية نفس نصر مع تحققه للايذان بعدم حاجة الى ذلك لاستحالة تخلفه ويجوز ان يكون هذا واردا
من جهته تعالى عند حكايته على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع محكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس

لا يتيسر الا بعد فضل الله ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسئلونك ماذا ينفقون اى من صنوف اموالهم فاما ان نفقتم من خير ما اما شرطية وما موصولة حذف العائد
اليها اى ما انفقتموه من خير اى خير كان فيفيد تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في جواب
الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض البيان للمصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين
لا ينذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موضعه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم جلة ماله عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا و
اين نضعها فنزلت والبتامى اى المحتاجين منهم وهم كلين وابن السبيل ولم يتعرض للمتأهل
والرقاب اما الاكتفاء بما ذكر في المواقع الآخر او اما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه
شامل لكل خير واقع في اى مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية بيان ما فيه فرض الزكوة فانها نسخ
به كما نقل عن السدى كتب عليكم القتال بناء الفعل للمفعول ورفع القتال اى قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل
وهو الله تعالى ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اى قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية
والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ
بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدته كرا لهم
له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال
فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وبجملته اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لهما من الاعراب والله يعلم
ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به وانتم لا تعلمون اى لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم
وانتم لا تعلمون نهاها فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتثلوا امره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روى ان رسول الله عليه السلام
بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم
عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف
وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام
شهرا يأمن فيه الخائف ويبذ عر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله عليه السلام العير وعظم ذلك على الحاج
السرية وقالوا ما نرى حتى تنزل توبتنا وردد رسول الله عليه السلام البصير والاسير وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لما نزلت اخذ رسول الله عليه السلام الغنيمة والمعنى يسألك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله تعالى
قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان كونه كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال
المعهود ولذلك يقال يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين
استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قل فيه قتال فيه كبير وجملة من مبتدا وخبر بحتها النصب بفعل
وانما جاز وقوع قتال مبتدا مع كونه نكرة لتخصيصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة لاى قتال
كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به واما لتأثير التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال
الواقع فيه اى قتال كان عن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام محلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في
الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

وصدّ عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعد مثله اى وكفر بالله وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور فى حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى اذ ليس باجنبى بخصر وقيل هو ايضا معطوف على صدّ بتقدير مضاف اى وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهو النبى عليه السلام ومن سكنون معه اى من المسجد الحرام وهو عطف على كفر به اكبر عند الله خبر لما يسئلونك المعدودة اى كبائر الذنوب اكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل اى افظع من قتل المحصر فى الاشهر الحرم ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة فى الدين حتى يردوكم عن دينكم حتى الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم تذكير لما كرر ما بينهما من العلاقة الحرجية لاشياع الامر اى ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم فى الدين وثباتهم قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اى ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيموت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب فى الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد وما ولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الارتداد وحموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر والفساد وجمع للنظر الى الجمع اى اولئك المصرون على الارتداد الى حين حموت حبطت اعمالهم الحسنة التى كانوا عاملوها حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له بتطرق فى الدنيا والاخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك كصوصون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار اى ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت فى اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر حرف الموصول مع اتحاد بهما واحد لتغاير شأن الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء اولئك المتصفون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بالهم من مبادئ الفوز رحمة الله اى ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو لما يذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للمرجو وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان فى فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم الاجر والثواب وجملة اعتراض محقق للمضمون ما قبلها يسئلونك عن الخمر والميسر نزلت فى شان الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فحفق المسلمون بشربها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فامّ احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد ابن وقاص فى نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله عليه السلام فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فانزلت انما الخمر والميسر الآية قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضى الله عنه انتهينا يا رب وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة منها فى بئر فبنيت فى مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف فنبت فيه الكلا لم ارعه وعن انس رضى الله عنه لو ادخلت اصبعى فيها لم تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اى ستره

يسمى به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكر هاى تخمرها والميسر مصدر ميمى من يسر كالموعد والمرجع بمعنى سيرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هى الازلام والاقلام الفذ والتوءم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى وصنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الاثنتين هى المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوءم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها فى الربابة وهى خريطة وتضعونها على يدى عدل ثم يجللها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قداحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين طهما ومن خرج له من تلك المشئومة غرم ثمن الجزور وربما عرمه وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه وسيجئ البرهان فى حكم جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبى عليه السلام انه قال اياكم وهاتين الكعبتين المشئومتين فانهما من ياسر العجم وعن على كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر وانما لم يذكر عن حكمها وعما فى تعاطيهما ما قال فيهما اثم كبير اى فى تعاطيهما ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التى هى قطب حدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنع للناس من كسب حطر سبد واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع جبان وتقوية الطبيعة وقرى اثم كثير بالمثلثة وفى تقديم بيان اثمه ووصفه بالكبر وتاخير ذكر منافعه مع تحضيرها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اى مفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد كثرتبة عليه وقرى اكثر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون عطف على يسئلونك عن الخمر فحقه عطف جملة على الجملة اى اى شئ ينفقونه فقيل هو عمرو من جموح ايضا سال اولا من اى جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا من اى اصنافها ينفق امن جيادها ام غيرها او سال عن مقدار ما ينفقه منه فقيل قل العفو بالنصب اى ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة حملتها ينفقون اى الذى ينفقونه العفو قال الواحدى اصل العفو فى اللغة الزيادة وقال الليث العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدى وكانت الصحابة يكتسبون ما كان يسيرا قدر نفقته ويتصدقون بالفضل وروى ان رجلا اتى النبى عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا اياها فاخذها فحذفها عليه فخذفها لو اصابته لشجته ثم قال ياتى احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه فى الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك فى سلك الامور المحسوسة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى مثل ذلك البيان الواضح الذى هو عبارة عما مضى فى اجوبة الاسولة المذكورة يبين الله لكم الايات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد تم المقام تحقيقا فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها منزلة الغوى والاضح ومحمد لولا ان الله تعالى بينها

بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون تكن تتفكروا فيها وتقفوا على
مقاصدها وتعلموا بما فى تضاعيفها وقوله تعالى فى الدنيا والاخرة متعلق اما بيبين اى يبين الكم فيما يتعلق
بالدنيا والآخرة الآيات واما بمحذوف وقع حالا من الآيات اى يبينها لكم كائنة فيهما اى مبينة لاحوالكم
المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشان التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اى تتفكرون
فى الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة فى الاحكام الواردة فى اوجيته الاسوة الماثرة فتختارون منها ما يصلح
لكم فيها ويجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام التحريمية وبجوز التعميم لجميع الامور
المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ اشارة الى ما مر من البيانات كلا او بعضا الى مصدرها بعده فانه فى فعيل
مستقيمين بعيارة عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد فى الاوجية المذكورة
يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون فى امورهم المتعلقة بالدنيا والآخرة تاخذون بما يصلح لكم وتفعلون
فيها وتذرون ما يضركم حسبما يقتضيه تلك الآيات المبينة ويسئلونك عن اليتامى عطف على ما قبله من
نظيره روى انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية تحاشى الناس عن مخالطة اليتامى
وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبى عليه السلام فنزلت قل اصلاح لهم خير اى التعرض لاموالهم
واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم
فاخوانكم اى فهم اخوانكم فى الدين الذى هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها
المبنى لطفه بالاصلاح والنفع وقد حمل المبنى لطفه على حصاهرة والله يعلم المفسد من مصلح العلم بمعنى يجوز
المتعدية الى الواحد ومن لتضمينه معنى التمييز اى يعلم من يفسد فى امورهم عند المبنى لطفه او كن يقصد بمخالطته
الخيانة والاف ومميز آله من يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازى كلا منها بعمله فيه وعد ووعيد
خلا ان فى تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اى لوقت، يعنتكم اى
يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب لا يعتر عليه امر من الامور التى من جملتها اعنانكم فهو تعليل بمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم اى فاعل للافعال
حسبما يقتضيه حكمته الداعية الى انباء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلامه من انتفا
مفسدتها ولا تنكحوا المشركات اى لا تتزوجوهن وقرى بضم التاء من الانكاح لا تزوجوهن من يحملن
حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهى ثابتة وروى ان رسول الله عليه السلام بعث
مرثد بن ابى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من مسلمين وكان يهوى امراة فى الجاهلية اسمها
عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال
نعم ولكن ارجع الى النبى عليه السلام فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة تعليل للنهى عن نكاحهن
وترغيب فى مواصلة مؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم فى افادة التاكيد مبالغة فى تحقق مضمون
وصلة امة اسوة حذف لامها على غير قياس وعوض منه تاء التانيث ولذلك يكون لامها واوا رجوعا بها الى اصل
فتاكد الكلابى اما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا تداعى بنوا الاماء ان بالعار وظهور بناء المصدر يقتضى

انه هيئة الامة واخرت له بالامة وقد وقعت مبتدا لما فيها من لام الابتدا او الوصف اى والوصف اى ولامة
مؤمنة مع ما بها من خاسة الرق وقلة الخير بحسب الدين والدنيا من مشركة اى امراة مشركة مع مالها
من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم قد مر ان كلمة لو فى امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشى
فى الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ طاها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب الجعل على تقديره
بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام اى ثبوت من حكم على كل حكم مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على
البعد امنه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته على ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية فان الشى متى تحقق
مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو
العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المشاركة لها فى جميع الاحوال المحققة لمضمونها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على وجه الايجاز كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة فى حيز النصب على الحالية من مشركة اى ولامة مؤمنة
خير من امراة مشركة حال عدم اعجابها واعجابكم اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادى الاعجاب
وموجبات الرغبة فيها اى على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للتخيرية تنبيها على انها حين تحققت
معه فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس ببعيد وتحقق انها
عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة
مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لا خصوص
منهم المؤمنات سواكن حرائر او اماء حتى يؤمنوا ويشرعوا اما هم فيه من الكفر ولعبد مؤمن مع ما به من ذل المملوكية
خير من مشرك مع ما له من عز الحرية ولو اعجبكم بما فيه من دواعى الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته اولئك
استيناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اى اولئك المذكورون من مشركات ومشركين يدعون من يقارنهم
يعاشرهم الى النار اى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومعاشرتهم
والله يدعو بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم الى الجنة ومغفرة اى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح المؤديين
اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء باذنه
متعلق بيدعو اى يدعو ملتبسا بتوفيقه الذى من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنتهم الى الخير وتصحيح ايلائهم
فعل الدعاء بالمصلة وبين آياته الشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون
اى لكى يتذكروا ويعلموا ما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والمغفرة ان هذا وقد قيل معنى والله يدعوا الى
الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه شنيعا لهم وانت خبير بان الضمير فى
المعطوف عليه الخبر اعنى قوله تعالى ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل يدعو بمعنى يسمى ويحكم كذا فى كرة اى الجنة
ومغفرة فانها موصلة الى عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين فى الجملتين
المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدا لكن يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار
ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه وان صح لا يحتاج الى التفكر كما فى الاحكام
السابقة وسيأتى سؤال عن تخصيص عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسولة الثلثة بالعطف لوقوع
الكل عند سوال عن تخصيص حكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك فى وقت على حدة وتخصيص مصدر من حاضت المراة
كما يجئ وحيث روى ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحائض ولا يواكلونهن كفعل اليهود والمجوس واشتد الناس

سوال عن تخصيص

اية

ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشيع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا وتتقوا وتصلحوا الان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون بر امتقيا فاعله بين الناس
ای ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا الان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون بر امتقيا فاعله بين الناس
فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع يسمع ايمانكم عليكم يعلم نياتكم فاحفظوا على ما
كلفتموه لا تؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو ماسقط من الكلام عن درجة الاعتبار وكم اراد به في الايمان ما لا يعقد
معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو يعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم وقد اختلف فيه فعند نا هو ان يحلف على شيء يظنه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه
الا الكذب وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يوكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالغ
على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي حلفه احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفت
قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بالقصد معه الى اليمين
ولكن عليه مكفوا بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب الله فحذف والله غفور حيث لم يؤاخذ
بالغموس كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة وجملة اعتراض مقرر لمضمون
قوله لا يؤاخذكم وفيه ايذان بان مراد بالمؤاخذة المعاقبة لا الايجاب. الكفارة اذ هي التي يتعلق بها المغفرة
والحكام دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل على واستعمالة من للتضمين معنى البعد اي للذين يحلفون
متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد الهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك للشيء كذا وترى الوا من نسائهم
وقرى يقسمون من نسائهم والايلاء من حمزة ان يقول والله لا آجبك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر اولا آجبك
على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك حكمه انه ان فاء اليها في مدة ما كوطئ ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث
القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار و
التوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤا اي رجعوا
من اليمين بالحنث والفا للتفصيل كما اذا قلت انا نشير عليكم بهذا الشهر فان اخذتم اخذتم عندكم هو والآلام البث
الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبته اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء
من ضرار حمراة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى بينهم من الطلاق وما يتعلق به من الرجعة
وحقا وله التي لا تخلو عنها حكاية عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات
اي ذوات الاقراء من تحاشر حمد خول بهن لما قدبين ان لا عدة على غير حمد خول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر
او حيل؛ الاشهر ووضع حمل وان عدة الامة قرآن او شهران تبر بعض خبر في معنى الامر مفيد لتاكيد باشعاره بان
اي امور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فحقهن امتثال الامر بالتربص فيخبر به موجودا متحققا
وبناوه على حمتبدا مفيد لزيادة تاكيد بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها
من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الابناء عن الانقياد باستنكاف منه من كون نفوسهن لهوا
الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلثة قروء نصب على ظرفية او مفعوليه
بتقدير مضاف اي تتربص بعض مدة ثلثة قروء او تتربص بعض مضي ثلثة قروء وجمع قرء في الاصل بدليل قوله
دعي الصلوة ايام اقرائك وقول عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى والتي ييئسن
من محيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم وهو بالحيض

على ذلك الا ان يسأل عن ذلك ابو الدرداء رضي الله عنه فنزلت قل هو اذى اي شيء يستقذر منه
ويوذي من يقربه نفرة منه وكراهة فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مباشرتهن في حالة المحيض فيل اخذ
المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة
فان آثرنا هلك سائر اهل البيت وان اكثرنا هلكت المحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مباشرتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعون نساءهن ولا يباعدونهن في المحيض
واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد
لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم المقاربة نهى للعزم على الفعل وبيان لغايته وهو انقطاع الدم
عند اكثر الحيض فان كان ذلك في اكثر مدة الحيض حل وطيهن بالاغتسال او بمضي وقت صلوة وعند الشافعي
ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يقرئ عنه قوله تعالى فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال
فاتوهن من حيث امركم الله من حيث اباحه لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى ان يندر منهم من
ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر
التوبة اشعار بانه مساس حاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر
نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور التي يبذر فيها من حيث
ان كلا منها مادة لما يحصل منه فاتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى
فاتوهن من حيث امركم الله اني شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يامرون من ورائها في قبلها
من دبرها بائتي ولده احول فنزل فقال رسول الله عليه السلام فتربت وقدموا لانفسكم اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب
الولد وقيل هو التسمية عند جماعة واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور واعلموا
انكم ملاقوه فتهيئوا لتحصيل ما ينفعون به حينئذ واجتنوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين يتقون ما
خوطبوا به من الامور والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او كل ما
يتبشر به من الامور التي تشرئب لها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما قبله تلوين للخطاب وجعل المبشر رسول الله عليه السلام
من جملة كفتة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على
مسطح لخوضه في حديث الافك فالعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير
حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى ما صح لاجله كما في قوله فلا تجعلوني عرضة لايمانكم فالمعنى على الوجه الاول لا
تجعلوا الله مانعا لكم عن الامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان تلاستهتارهم بها كما في قوله عليه السلام لابن سمرة
اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين
الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها والمعنى لا يمانكم متعلقة بفعل
او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله بركم وتقوى لكم واصلا حكم بين الناس عرضة اي برزخا حاجزا
بان تحلفوا به كما على تركها او لا تجعلوه كالعرضة التي يعترض الامور المذكورة فتمنع بما ذكر من حلف به كما على
تركها وقد جوز ان تكون اللام للتعليل وتعلق ان تبروا الخ اما بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير
بانه يودي الى الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وعلى الوجه الذي لا تجعلوا الله معترضا لايمانكم تتذرعوا به بكثرة الحلف به

دون الطهر ويقال اقرأت حمراة اذا حاضت وقوله فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات العدة تهن وهي تحيض الثلث
وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الاخر شائع ذائع وقرئ لقبل عدتهن
بغير همزة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استيفاء لكافة العدة وابطالا لحق الرجعة
وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر جواب الشرط محذوف يدل عليه
ما قبله دلالة واضحة اي فلا يكتمن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الاخر الذي يقع فيه جزاء العقوبة
منافية له قطعا وبعولتهن جمع بعل وهو في الاصل السيد مالك والتاء لتانيث جمع كما في الطرونة والسهولة
او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقتهن الذين طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه البعيد عنهم
بالبعولة فالضمير لبعض ذوات المطلقات احق بردهن الى ملكهم بالرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص
وصيغة التفضيل لافادة ان الرجال اذا اراد الرجعة وهمراة تابا هو وجب ايثاره قوله على قولها لا ان طها ايضا حقا
في الرجعة ان اراد واي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن احسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن
وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحة الرجعة بل هو حث عليه والزم جرمن قصد الضرار ولهن عليهم من حقوق
مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها ويحتشم الملي فظة عليها وللرجال عليهن درجة
اي زيادة في حسن حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية في الفضل
لما انهم قوامون عليهن حراس لهن وملاك امورهن يشار كونهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة
الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم ينيطوي شرائعه على الحكم والمصالح
الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان الى تلو الاوب حكمه ولما روي انه عليه السلام
سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف اي عدد الطلاق
الذي يملك الزوج فيه الرد والرجعة حينما بتين اثنان مرتان اي اثنان وايثارهما ورد به النظم الكريم عليه
لا بيان ان حقها ان يقع مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فامساك
اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان كما روي عنه عليه السلام
او بعدم الرجعة لان تقضي العدة قبلتين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية
بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق
دون الجمع بين الطلقتين او الثلث فان ذلك بدعة عند نا قوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدا او تخيير مستانف والفاء فيه
للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فاعلم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق
مما اعتدتموه اي من الصداقات وتخصيصها بالذكر وان كان حكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او
للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما اقوتهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق
له بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن كثير وتقديم الظرف عليه لكمال الاهتمام والتخطي مع الحكام
واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند تمرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك
مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن
الا يقيما حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وامدال ان بصلته
من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اي الزوجان حدود الله

الطلاق

بشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت
به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس
فاتت رسول الله عليه السلام فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق و
لكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا
واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقالت اتجد عليه في نفسك فقالت اجد عليه في دينه فاكره الكفر في الاسلام
حدود الله فلا تعتدوها بالتجاوز عنها ومن يتعد حدود الله فاولئك المعتدون وضع الاسم الجليل في مواقع الثلثة الاخيرة موقع
الضمير لتربية مهابته وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد الطلقتين
اي بقيتين فلا تحل اي له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان
النكاح ايضا يسند الى كل منها وتعلق نظائره من اقتصر على العقد والجمهور على الشرط الاصابة لما روي
ان امراة رفاعة قالت لرسول الله عليه السلام ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانه ما معه
مثل هدبة الثوب فقال عليه السلام اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم فقال عليه السلام لا الا ان تذوقي عسيلته
ويذوق من عسيلتك وعسيلته يجوز التانيث على الكثرة وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد مستفاد من لفظ الزوج
وحكمة من هذا التشريع الردع عن المبارعة الى الطلاق والعود الى تطليقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط
التحليل مكروه عندنا وبه روي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين لقوله عليه السلام لعن
الله محللا ومحللا له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا
ان يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله الخ اوجب مراعاتها على الزوجين من تحقق
ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لان العواقب غير معلومة ولان الاصابة للتوقع النافع للعلم ولذلك لا يكاد يقال
علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة المعينة تحقيقا من
التعرض لها بالتغيير وتخلي نفسه بينها بهذا البيان الرائق او تسميتها قيما سيتاتي بيانا اجمالا ان بعضها يتحقق زيادة
كشف وبيان بالكتاب والسنة وتجليه جبرئان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال
من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ
لانهم ينتفعون بالبيان اولان ما سيلحق بعض المنصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة بتمامها يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول
الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد ههنا لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
اذ لا امساك لا بعد تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى تنقضي اجلهن باحسن من غير
تطويل زمن العدة كما تارى اعادة للحكم في بعض صورة اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب ما حكم عليه ولا تمسكوهن
ضرارا تاكيد لما قبله بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وذكر صريح ما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار
بهن كان يطلق ثم يراجع قبل انقضاء العدة حتى اذا شارفت انقضاءها الاجل يراجعها للاضرار بها ليطول عليها العدة
فنهى عنه بعد ما امر بضده فاذكر وضرارا نصب على العلية او الحالية اي لاجل المضارة او مضارين
والام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك

حصة رفاعة مع امراته وام السبي باذانه عيلة احدها آخر

مطلب

المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا ايات الله همزوا بها هزوا بان تتركوا العمل بما تضمنته من الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا واذكروا
بالتاء ثم ضوا عنها وتنبهوا للواو في الحكي فظة على ما في قصاعيفها من الاحكام والحدود ومن قولهم لمن لم يجد في الامر انت بالذكر
كما تنهى عن الهزء بها واريد بما سيتلى من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها واذكروا حق رعايتها
والا فقد اخذوا هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الاساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها على موجب ايات
الله بحسب الظاهر دون حقيقته وهو الهزء وحيل كان الرجل يطلق ويعتق ثم يقول انما كنت اتلعب فنزلت
ولذلك قال عليه السلام ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم
للاعمال صالحة تكملكم الدينية والدنيوية اي فاثبتوا على ما انتم عليه من التمسك والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة
الله اي كائنة عليكم او صفة لها على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفس نعمة
ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كتبا من انبت ولا يقدح في عمله تاء التانيث لانه مبني عليها كما في قوله فلولا رجاء
النصر منك ورهبة عقابك قنوكما نوا انا كما مر وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من
الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب وحكمة بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن يجامع للعنوانين على ان العطف
لتغاير الوصفين كما في قوله الا احملك العرم وابن الهمام وفي ايهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر
مع كونه اول ما وجد في النعمة المامور بتذكرها ايذانه بتخطره ومبالغته في البعث على مراعاة ما ذكر فيكلفه من الاحكام بتعظيم به
اي بما انزل عليكم من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله في شان نواهي فظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة
واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيثيب آخذكم بما فيها من العقاب واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند
المقاربة له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها ولم يخرج والمراد جمع وخطاب
اما للاولياء والمارى انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل
نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه نسبة العضل
ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالمزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل عند ذلك ولان فيه دلالة
على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها والا لما صح نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي لا يقع مضرا عنهن
فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن يمكنهن ان يحترزن عن ذلك مخالفة اللوم والتعنيف واما الازواج حيث
كانوا يعضلون مطلقا نهم ولا يدعونهن يتزوجن طلقا وقسرا جاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما تعلق باحد
منهم للجميع شائع مستفيض وجمعن اذا وجد منكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من
جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون
عنه بمنزلة صدوره عن كلهم في استتباع الملامة وسراية الغائلة ان ينكحن اي من ان ينكحن محله نصب عند سيبويه
والفراء وجر عند الخليل على اطلاق المشهور وقيل هو بدل الاشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة
النكاح بعبارتهن اذ واجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فالاقبال
الاخير اذا ترضوا ظرف لما تعضلوا او صيغة التذكير باعتبار تغليب الذكور على الاناث او التقييد به لانه المعتاد ولا
يتجوز بجمع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضي يفيد لزوجه والتحكم بالمعروف

الجار على الشيوع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين ومروءة وفيه اشعار بان الجمع بين التراضي
بغير كفو او بما دون مهر مثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم شانه
والخطاب لجميع المكلفين كما في بعده والوعيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتنزيل القبيل والفريق واما لان
الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول عليه السلام كما في قوله تعالى يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة الخطاب له عليه السلام كما ان حقيقة امر كل احد بوعظه به من كان منكم يؤمن بالله
واليوم الاخر فيه رمز الى الامتثال بامره ونواهيه اجلالا له وحثا من عقابه وقوله تعالى ذلكم اما متعلق بكان
عند من يجوز عملها في حظ وف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يوعظ اي كائنا منكم اي الاتعاظ به والعمل
بمقتضاه ازكى لكم اي انمى واتفع واطهر من ادناس الاثام واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء
والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما جيء به هنا
وانتم لا تعلمونها فوعوا ائتمروا وانتهوا بامره تعالى ونهيه في كل ما تاتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن
شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولاد هن حصوصا وامور الشر اكما وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في تحمل على تحقيق متعلقه
ومعناه الندب او الوجوب ان حتم عادة عدم قبول الصبي ثدي الغير او فقدان الظئر او تعذر الوالد عن الاستيجار
والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لتعطفهن نحو اولاد هن وتحكم عام للمطلقات وغيرهن وتخصيص بهن اذ الكلام
فيهن حرلين كاملين التاكيد بصفة الكمال ليتبين ان التقدير تحقيقي لا تقديري مبني على مسامحة معتادة لمن اراد
ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه حكمه اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز التعضي وقيل
اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت غلامها لفلان
ولده وعلى المولود له اي الوالد فان المولود يولد له وبسببه وتغيير العبارة للاشارة الى ان حق الولد
الارضاع ومؤنة المرضعة عليه ازقهن وكسوتهن اجرة كهن واختلف في الاستيجار للام وهو غير جائز عندنا
ما دامت في حبالة الزوج او العدة جائز عندهما بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس
الا وسعها تعليل لايجاب المعروف او تفسير له وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي
امكانه لانتفاء وقوعه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الا
ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع على بدل كل من لا تكلف وصله على القراءتين لا تضار
بالكسر على النهي للفاعل وبالفتح على النهي للمفعول وعلى وجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضرر والباء من صلته اي
لا يضر الوالدان بالمولود فيفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية
الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافه ما اليه وللتنبيه على انه
جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضر به او يتضارا بسببه وعلى وارث مثل ذلك عطف على قوله لكما
وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل
عصبانه وقيل هو وارث الاب وهو الصبي اي تحمى المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه واما على الاول
اذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الابوين من تحول عليه السلام واجعله حوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب
من ارزاق والكسوة فان اراد ا اي حوالدان فصالا اي فطاما عن ارضاع قبل تمام حولين والتنكير للايذان بانه فصال

غير معتد وعن تراضٍ متعلق بمحذوف يقع حالا من ضمير منهما اى صادرا عن تراض منهما اى من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالمولود بان علم كراهة الارضاع وبخل الاب بالاجرة وتعاسر فى شان المولود وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والنشوز من مشورة وهى استخراج الراى من نشرت العسل اذا استخرجته وتنكير التفحيم فلا جناح عليهما فى ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رايهما واجتهادهما على ان صلاح المولود فى الفطام وقيل يتفقان على نحطا وان اردتم بيان حكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات لاخطاب الاباء لفرط الاهتمام بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اى ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت كمراة الصبى واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثانى بحرف جر يقال استرضعت كمراة للصبى اى ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف حرف الجر ايضا كما فى قوله تعالى واذا كالوهم اى كالوا لهم فلا جناح عليكم اى فى الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اى الى المراضع ما اتيتم اى ما اردتم ايتاءه كما فى قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله وفى ما ايتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وتاتى ما او تيتم اى من حيث انه عز وجل كما فى قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وعادة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وليس التسليم شرطا للصحة وانما هو مندوب اليه والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدرلهن ما جزايد بيد كان ذلك ادخل فى استصلاح شؤون الاطفال واستقرار الحال فى شان مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية مهابته وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اى وازواج الذين يتوفون منكم اى يقبض ارواحهم بالموت فان التوفى هو القبض يقال توفيت مالى من فلان واستوفيته منه اى اخذته وقبضته وخلصا لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العايد الى المبتدا اى يتربصن بعدهم كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه وقرى يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير فى مثله الا حين يقولون صمت عشرا ومن البين فى ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة فى هذا التقدير ان جنينى اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلثة اشهر وان كانت انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى ترادى حاملة والكتابية وحرة والامة فى هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف فى الامة وقوله تعالى واولات الاحمال خص الحامل منه وعن على وابن عباس رضى الله عنهما انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاقة بالحكام وخلصوا جميعا فيما تفعلن فى انفسهن من التزين والتعرض للخاطب وسائر ما حرم على المعتدة بالوفاة بالوجه الذى لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى ان الزهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكففن عن ذلك والا فعليهم جناح والله بما تعملون خبير فلا تغمر اخلاف ما امرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ايهام المقصود بحال يوشك ان يفهم حقيقة ولا مجاز القول الذى ارجنبك لاكلمك عليك وحاصله ان مالة الكلام عن نهجه الاغر يحسن منه اى جانب والكناية هى حمل الشى بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد طويل العماد وكثير الرماد للطويل والكثير الرماد من حظبة النساء الخطبة بالكسر كالعقدة وجلبة ما يفعله مخاطب من الطلب والاستلطاف

بالقول والفعل فقيل هى ما خوذة من الخطب اى الشان الذى له خطر لما انها شان من شئون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة يجرى بين جانب الرجل وجانب المراة والمراد بانبات المعتدات للوفاة وتمتيعهن بخطبتهن ان يقول لها انك جميلة او صالحة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد بها ما حل بها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصح بالنكاح او اكنتم فى انفسكم اى اضمرتم من قولكم بكم ظلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة صبرهم ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن المحذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا حال كونكم مستورين بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مبدءه الذى هو الوطى مما يستتر به وايثاره على اسمه لما يدان بانه مما ينبغى ان يستتر به ويكتم وحمله على الوطى لما يوهم الرخصة فى المحظور الذى هو التصريح بالنكاح وقيل النهى متسلط على نظم فى ان تواعدوهن فى السر على ان المراد بذلك نحو المواعدة بما يشبه الجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ مما يدل عليه النهى اى لا تواعدوهن شيئا من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من المواعدة بقول معروف اولا تواعدوهن شيئا من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقة القطع بدليل قوله تعالى لام لاصيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى من لم يبت الصيام والنهى عنه للمبالغة فى النهى عن مباشرة عقد النكاح اى لا تعزموا عقد عقد النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اى العدة المكتوبة المفروضة آخرا وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اى لا تمضوها ولا تلزموها ولا تعقدوا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن القصد واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من ذوات الصدور التى من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء او افلاعا عنه بعد عقده واعلموا ان الله غفور يغفر لمن تقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المواخذة واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لما دخاك الروعة لا جناح عليكم اى لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذا لابوعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النهى عن سر المكاثر انهى عن الطلاق فحظن ان فيه حنثا ففى ذلك ان طلقتم النساء مالم تمسوهن اى مالم تجامعوهن وقرى تماسوهن بضم التاء فى جميع مواقع اى مدة عدم مسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف وقيل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض شرط على شرط فيكون الثانى قيدا للاول كما فى قولك ان تاتنى ان تحسن الى اكرمك اى ان تاتنى فحسنا الى والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى اقعد من الاول لان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان مظروف امر ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من كمية ابو الزمان كما فى قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفى جناح ربما يوهم امكان تمسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الكلام فى الزمان وكمية او تفرضوا لهن فريضة اى الا ان تفرضوا لهن اوحتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والنقل من الوصفية الى الاسمية والنصاب به على المفعولية ويجوز ان تكون صفة لمصدر محذوف واعرابا وتقديرا انه لا تبعة عليكم مطلقا بمطالبة مهر اصلا اذا كان الطلاق قبل تمسيس على كل حال الا حال تسمية مهر فان عليكم نصف المسمى وفى حال عدم تسمية عليكم متعة لا نصف مهر مثل واما اذا كان بعد تمسيس فعليكم فى صورة التسمية تمام المسمى وفى صورة عدم تمام مهر مثل وقيل الكلام اوعاطفة تدخلها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم تمسوهن او لم تفرضوا لهن

مطلب ان ذكر الثلثة للتمثيل واذا كان ذكر الثنتين كذلك فالحيض اذا كان ذكرها كذلك فالثلثة تحرك لاربعة

مطلب ان ما الظرفية للمصدر

ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فطلقوهن ومتعوهن وحكمه فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهى درع وملحفة وخمار
على حسب حاله كما ينبئ عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى ما يليق بحال كل منهما وقرئ سكون الزال وهى جملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب مبنية لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اى على الموسع
او على جعل الالف واللام عوضا من الضمائر اى عليه ومن يجوز عليه موسعكم ح وبهذا اذ لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها
الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اى تمتيعا بالمعروف اى بالوجه الذى تستحسنه الشريعة وتحكم به
حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين اى الذين يحسنون الى انفسهم بمراعاة الامتثال او الى مطلقاتهم
بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للكمال رتبة ترغيبا وتحريضا وان طلقهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن
قبل ذلك فريضة اى وان طلقتموهن من قبل تمسيس حاكم كونكم مسمين لهن فيما سبق اى عند الكل ح مهرا على ان تجعله حالا من فاعل
طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعول له لتحقق الرابط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبنى للفاعل او للمفعول ح لان كلا منهما
حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالمفارضة فيما سبق والمارية بمقارنتها وكذا الحالة اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها
فنصف ما فرضتم اى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح فى ان المسمى فى الصورة المذكورة انما
هو نصف المهر وقرئ بالنصب اى فأدوا نصف ما فرضتم ولعل تأخير حكم التسمية مع انها الاصل فى العقد والاكثر فى الوقوع
لما ان الاية الكريمة نزلت انصارى تزوج امرأة من بنى حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتحا صحاكى الحال
فقال عليه السلام عند اظهار ان لا شئ له يمتعها بقلنسوته الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى فلهن نصف ما فرض
معينا فى كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك ح بعد وجوبه وظاهر الصيغة فى نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما عرف
فى الاعتبار دون التحقيق فان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر
فيه ان تاثيره فيما عطف على محله من قوله ح او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو والذى بيده عقدة النكاح اى يترك
الزوج الى لك لعقدة وحلها بعود ضميره من نصف مهر الذى ساقه اليها تمليكا على ما هو المعتاد وتكرر فان ترك حقه عليها عفو
بلا شبهة او سمى ذلك عفوا فى صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فرجع الاستثناء الى منع الزيادة
فى المستثنى منه كما انه فى الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اى فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة فى جميع الاحوال الا فى
حال عفوهن فانه لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفى ذلك او ينحط فى حال عفو الزوج فانه ح يكون لهن الزيادة
على ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثانى فلا بد من حمل الاستثناء على المنقطع لان فى صورة عفو الزوج
لا تصور لكون حق عليه هذا عندنا وفى القول القديم للشافعى رح ان المراد عفو الولى الذى بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر ح على
خلاف الاول لشهادة قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى ح فانما استفاد حق الصغيرة ليس شئ من التقوى وعن جبير بن مطعم
انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول وكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اى لا
تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشئ المنسى وقرئ بكسر الواو وتحتمل فى الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب
ان الله بما تعملون بصير فلا يخفى عليه شئ من التفضل والاحسان حافظ على الصلوات اى داوموا على اداء الصلوات
لاوقاتها من غير اخلال بشئ منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها فى تضاعيف بيان احكام الازواج
والاولاد قبل الاتمام لتوبيخ بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها حثا عليها من غير استدعاء عنها بذكر بل ان
انفسهم ايضا كما ينبئ عنه الامر بها فى حالة الخوف ولذلك امر بها فى خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية تمهيدا لتلك
الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اى المتوسطة بينها او الفضلى منها وهى صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب

شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله قبورهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التى شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب
وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملئكة الليل وملئكة النهار فيه وقيل هى صلوة الظهر
لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلعم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله عليه السلام
افضل العبادات احمزها وقيل هى صلوة الفجر لانها بين صلوتى الليل والنهار والواقعة فى وقت مشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة
العصر وقيل هى صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث كونها بين صلوتى النهار والليل ووتر النهار ولا تقضر فى
السفر وقيل هى صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين فى طرفى الليل وعن عائشة وابن عباس انه عليه السلام يقرأ والصلوة
الوسطى وصلوة العصر فثبت ان احد الاربع قد خفت بالذكر مع العصر لانها ادهى بالفضد وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ
بالنصب على المدح وقرئ الوسطى وقوموا لله اى فى الصلوة فانتهين ذاكرين ربكم فى القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو
اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشئ من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح فان حفظتم اى من عدو
او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا
اى راجلا او راكبا جمع راكب كقعود وقاعد فصلوا رجالا على اقدامكم او راكبين حسبما يقتضيه حالكم ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف فى جملة وجوز ان يتبع
اداء ما حاميه ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اى فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم
متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اى ذكرا كائنا كما علمكم اى كتعليم اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة وحمل
بالتشبيه ان تكون الصلوة حمدا موافقة لما علمه الله سبحانه وايراد ذلك بعنوان تذكير النعم او اشكروا الله تعالى شكر ابوار
تعليم اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرايع والاحكام التى من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتى الخوف والامن هذا وفى ايراد
الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز رمز الى جواب الاولى والاطناب فى جواب الثانية
المبنيين على تنزيل مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا اجراء مقتضى المقام الاول
فى كل منهما مجرى مقتضى المقام الاخر من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولى الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وتسطت بينهما مما اشير اليه من الحكمة
الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اى يوصون او يوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية
لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف فى حديث اى حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
او والذين يتوفون اهل وصية ازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية متاعا
الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد
كما فى قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات ولهن بالرفع على الذين يتوفون ان يوصوا قبل
الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت مدته بقوله تعالى اربعة
اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما فى التلاوة متاخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثهن الربع والثمن وكذا السكنى عند ابى حنيفة
ى باقية فان خرجن عن منزل الازواج باحتيار من غير اجتناء منهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن من معروف لا ينكره
الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المخطوبة اخرجها عند ارادة الخواستگار
وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانما كانت مخيرة بين ملازمته مع اخذ النفقة وبين خروجها مع تركها
والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعى فى احكامه مصالح عباده والمطلقات سواكن دخولا بهن اولا متاع
اى مطلق المتعة ان علة للوجوب ومتعوهن وجوبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهرى للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل

اللام للعهد والمراد غير حمة خول تبين والتكرير للتاكيد بالجمع فرق شرعا وعادة حقا على المتقين اى مما لا ينبغي كذلك
اى مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم اياته الدالة على احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون فتعملوا بمقتضاها
وتعملوا بوجهها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبارهم وتعجيب من شانهم البديع فان سماعهم
طائفة له الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ من خطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث
حق لكل احد ان يحمل على الاخبار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب بها وان لم يكن عن رآهم او سمع بقصتهم فان هذا
الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجب كما انه شاع في غير الرائي لشيء عجيب يحاكي الرائي له بناء على ادعاء ظهور
امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الكل هذا والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة
في شهرته وعراقته في التعجيب والتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار
باعتبار معنى النظر على تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء معنى الم ينته علمك اليهم وهم الوف
اى الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا وجملة حال من ضمير خرجوا وقوله تعالى حذر الموت
مفعول له اى ان اهلها داود دان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها بارين فاماتهم الله ثم
احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقتيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد
عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقيه واصابعه تعجبا مما رأى من امرهم فاوحي اليه ناديهم ان قوموا
باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم
ملكهم الى الجهاد فخيروا حذر الموت فاماتهم الله تعالى ثلثة ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة
عن تعلق ارادته تعالى بموتهم فورا واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت واوناه و
اسرع زمان واوناه باشر آمر مطاع لما مور قطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون
ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اى فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره
لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال لانه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتحريض
لاسباب الشهادة وان الموت حيثما لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فلا بد ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل
عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين
سمعوا قصتهم فقد هداهم الى سلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرون
فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار ان الناس في مقام الاضمار لمزيد التشنيع
وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يقتضيه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار فاحثوا عليكم وقاتلوا
في سبيل الله لا حكمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله
مرد جزلا وان تقصر عنه يسير وتنوال واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليهم بما يضمرونه
في انفسهم وهو من وراء جزاء خيرا وشرا فارغبوا الى الاستثمال واحذروا المخالفة وهل لهذه من ذي الذي
يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل
لتقديم العمل الصالح طلبا للثواب الاجزل والمراد ههنا اما الجهاد او الانفاق في سبيل الله عز وجل او
ابتغاء المرضاته وايا ما كان فالعمل الصالح المستتبع له انتظاما اوليا قرضا حسنا اى اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس
وعوضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرض الله قرضا وقرئ بالرفع اى

فيضاعف اجره وجزاه فضل ذلك مضاعفة له بناء على ما ينبغي في المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المفاعلة
للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان
لتضمن المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر وجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى
وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اى يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقبر تارة ويوسع اخرى حسبما
يقتضيه مشيئته المبنية على حكمه ومصالح فلا يجلو اعليه عاوسع عليكم كيلا يدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض
في الذكر ايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم
على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق وقطع عنه لا يذان باستقلاله في التعجيب مع ان له مزيد
ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال الى الملا من بني اسرائيل من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم
جماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤن العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم يملؤن
بما يقتنى منهم ومن بعيضته وحاز قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملا اى كائنين من بعض
بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد زمن الفعلين عند اختلافهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر
المقام اى الم تر الى قصة الملا او حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل
شمعون بن صفية بن علقمة بن ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل
قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلقانا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اى
انهض للقتال معينا امير انصدر في تدبير امرك عن رايه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اى البعثه لنا
مقدرين القتال او استيناف مبني على السوال وقرئ بقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على جواب الامر والوصف للملكا قال
استيناف وقع جوابا عن سوال نباش اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط لاعتنائه اى هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما توقعه منكم والمراد تقرير انه متوقع
كائن وانما لم يذكر في جواب الشرط ما التمسوه بان قيل فما لكم لا تقاتلون مثلا مع انه اظهر تعلقا بحالهم بل
ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى
فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان ايرادا ما ذكره ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال وهو المبعوث
لانفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استبعادا مجيء ما بعد ان لا تقاتل اى اى سبب لنا في ان
نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا
من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب من الاهل والاولاد واذا الانباء بالذكور لمزيد تقوية اسباب
القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا
من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سوال
النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك لهم تولوا اى اعرضوا وتخلفوا الا قليلا لما رأوا الامر بعد مشاهدة كثرة العدو
وشوكته كما سيجيء بتفصيله واما ذكر ههنا حال امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التفاوت والتباين
الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم وجملة اعتراض تذييلي

اضعافا
اسم بمصدر

معنى الملا
وهو اسم
لجماعة
لا واحد له

مصدر
كالوت
وجالوت
وسنه

وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم
اي قال لهم بعد ما اوحي اليه او حي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعل فعلوتا زيدت في الطول ياه
منع صرفه وملكا حال منه روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتى بعضا فتاس بها من يملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت وبا
الا طالوت قالوا استبعادا لكمه اي يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال الواو للحالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا وحاله انه لا يستحق التملك
لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه التملك من حال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة ببسبط
معينين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وسبط الملكة سبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام
ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين فقيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاءا قال ان
الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بأن ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى
وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية
وحسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابرة الحروب وقد حضه الله عز وجل بهما
بسطة واسعة وذلك فوق الطول وزاده بسطة في العلم العلم اي العلم الملكي او به وبالابدان ايضا وقيل قد اوحي اليه بذلك
والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه
وقيل بالجمال وقيل بالقوة والعدة يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك وحكمته تقتضي لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء
من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
وقال لهم نبيهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهته
المنافي بين متفرع على الاول بني مستتبع للثاني كأنهم طلبوا منه عليه السلام آية تدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم
روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية تملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي
هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان وزنه فعلوت
على تأنيثه من غير ان يقلب ياء وقيل فعلوة وقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة
موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم
ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء وحملته تحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند
طالوت وهذا قول ابن عباس وقال ابن زيد الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه صور جميع ما تناسل فيه من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم الى ان توفي فتوارثه
اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى
فكان عليه السلام يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدم فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده
الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء اتوا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا
حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملئكة تحمله فوق العسكر ثم تقاتل العدو
فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقظوا النصر فلما عصوا واقدموا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت
وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده
ابتلي بالبواسير فهلك من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على

وتاء التابوت لغير التأنيث كملكوت ورهبوت

تابوت كيف رفع الى السماء وهبط هنا

التوراتين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملئكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما رأوه بهتوا
السكينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة
من ربكم اي في ايتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التوراة المودعة فيه بنا على ما قيل
من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها راس وذنب كرأس الهرة وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر شبوا وكسروا
ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان طشتا من ذهب من الجنة كوجه الانسان وفيها زبر الانبياء عليهم السلام بقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي
رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام والآن هي انائها وهي اوعيتها
انفسها وآل موسى وآل هرون هم انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل عليهم السلام حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا
الملئكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملئكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له الى ذلك اشارة
الى ما ذكر من شأن التابوت خصوصا من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه او الى نقل القصة وحكايتها خصوصا ابتداء من جهته تعالى
جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وايرادا على خلاف مخطط مع تعدد المنافي طالوت على التقديرين تأويل الفريق
او غيره كما سلف لآية عظيمة تكليم داله على ملك طالوت او على نبوة محمد عليه السلام حيث اخبر بهذه التفاصيل عالما بها على ما هي عليه من غير
سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بملكه علمكم او بشيء من الآيات وان شرطية وجوابها محذوف دل عليه ما قبله وقيل
هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس والاول اظهر لفظا ومعنى لانه فاعله ومفعوله شيء استعمل
محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل مفعولا وقد جوز كونه اصلا برأسه تمازا من المتعدي بصدر
كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلق بمحذوف وقع
حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة
ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي الا الشيخ الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان
الوقت قيظا وسلكوا مفازة قالوا ان يجرى الله تعالى لهم نهرا فبعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيته تعالى من جهته النبي عليه السلام
او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتداء اشرب
من النهر بان كرع لانه الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي واشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل به ومتحد معي
من قولهم فلان مني كأنه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ما كولا كان او مشروبا
او غيرهما قال وان كنت لا منك ضربة حرمت النساء سوالم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مبني الامن اغترف غرفة
استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخرج من جملة الثانية لانها ارتكال الغاية بها ومعناه الرخصة في اغتراف
الغرفة باليد دون الكف وجمع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف
وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده يروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وادابته ودوابه واما الذين شربوا
منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فاتبلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم
وهم الذين لم يجاوزوا النهر او لم يشربوا اصلا على ما سيجيء والاستثناء من التولي وقرئ الا قليل منهم بالنصب على الاصل وضعف باعتبار عدم عودة الضمير جائز
فان قوله تعالى فشربوا منه قوة ان يقال فلم يطيعوه فحق ان يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان
يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت
والذين آمنوا معه عطف على ضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق

بحذف وقع خبرا من كموصول كانه قيل فظاهر جاوزه وحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان
من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اى بعض من معه من مؤمنين لبعض للطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اى بمحاربتهم
ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما رأوا عددهم من الكثرة والشوكة فيما كانوا مائة الف مقاتل شاكى
السلاح قال اكثر المفسرين مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال بعضهم تعقيبا قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل اى
الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويرتقبون ثوابه وانما اوردهم بذلك الوصف لائقا بمقام ايمان الباقين فان
درجات المؤمنين في اليقين والترقب متفاوتة او الذين يعلمون انهم سيستشهدون عما قريب فيبلغون الله تعالى وقيل مؤمنو
عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمنخزلين عنهم كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والهزيمة بينهما كم من فئة اى
فرقة وجماعة من الناس من فاءت رأسه اذا شقفتها او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة
قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اى كثيرا من الفئات
القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيته تعالى فلا يذل من نصره وان
قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في جواب كم نكتة بديعة حيث لم يقل اطاقت بفئة كثيرة
حسبما وقع في كلام اصحابهم مائتي من كما تقتضيه بصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لكفاية
بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي
ان يكون مدار الحكم الوارد على حصوله اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه
بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنته تعالى حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معيته نصره وتوفيقه حتما وحثهم على
المعية بالاثابة كما فعل بأباه انهم انما قالوه تتميما لحجتهم وتأييدا له بطريق الاعتراض الذي تستشعر لاصحابهم و
تثبيتا لهم على الصبر كمؤدى الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة تعلقا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلاما
من جهته تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهته تعالى او السكينة
انهم ملاقوا نصر الله الغريب كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وابرادهم بلفظ
ان اسماع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه وبارزوا اى ظهر جالوت ومن معه من مؤمنين وصاروا
الى البراز من الارض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير
مطيقين لهم عادة فالوا اى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني منضمين الى الله تعالى مستعينين
به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدايد الحرب وافتتاح موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى الكمال دأبا رالافراغ صوب عن الكثرة وتنكير الصبر للتفخيم من الجزالة للايحاء وتثبيت اقدامنا
في مواحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والركوز عند تقارعه وعدم التزلزل وقت
المقاومة لا يتجرد التقرير في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير
العائد الى جالوت وجنوده لتكرار علة النصر عليهم ولقد اغوائه الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ
الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم اى كسروهم
بلا مكث باذن الله بنصره وتأييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فانصرنا على القوم الكافرين
للايماء بمضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشي ابو داود في عسكر طالوت معه
ستة من بنيه وكان داود اصغرهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه

من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار فقال كل منها انا الحجر فاتك بي فتقتل جالوت فحملها في مخلاته فقيل لما اطلع ابنه
خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في الزحف وقد برز جالوت فنفض المخلاة فسقطت الى البراز ولا
يكاد يبارزه احد وكان ظلوما غشوما فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فخرجوه فحتى ان حية اخرى
ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف
قال طالوت انكحه بنتي واعطيه نصف مملكتي فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه في صدره فنفذ
الاحجار منه وقتل بعده ناسا كثيرا وقيل انما كلمه الاحجار عند هزيمة طالوت في المعركة فاخبر بطالوت ما وعده
وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة
وذلك قوله عز وجل واتاه الله الملك اى ملك بني اسرائيل في مشارق الارض ومغاربها وحكمه اى النبوة ولم
يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط
وعلمه مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه الله تعالى اياه مما لا يكاد
يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيته كالسرد والة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك
من الامور الخفية ولولا رفع الله الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر منهم يردهم
عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع الله على ان صيغة المغالبة للمبالغة
لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها
وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بغيهم وقتلهم المسلمين او لولم يدفع بالمسلمين
بعض الكفرة ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين
كافة وهذه اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضع
ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه
ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كما انه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض
فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصل احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر
طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد لما ان شأن الشارحية آيات الله المنزلة من عنده سبحانه
وجملة مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك اى بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما
جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب باطن في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اى ملتبسة باليقين الذي
لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اى نتلوها عليك ملتبسا
باطن وخصوصا او من الضمير المجرور اى نتلوها عليك ملتبسا بالحق والصدق وانك لمن جملة المرسلين اى من جملة الذين ارسلوا الى الامم
لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شهادة
منه سبحانه بهر رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام المجادلة بين يهود
تمهيد المرسل استشعر فيه رمز الى انه عليه السلام من افاضل الرسل العظام عليهم السلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة
الى جماعة الذين من جملتهم المسيح عليه السلام فالام في الرسل للاستغراق وما فيه من معنى البعد لما ان بعلو طبقتهم وبعد
منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت عليهم عليهم السلام فضلنا بعضهم على بعض
في مراتب الكمال بان خصصناه بما يقتضيه بمشيتنا بآثار جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل لمشيته

المذكور اجمالا اى فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة تخيرة وفى الطور وقرى كلم الله بالنصب وقرئ كلما لم الله من كلمه فانه كلم الله سبحانه وتعالى كلمه وبوئه كليم الله بمعنى مكالمه واريد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الما مر بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما تلى من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اى رفعه على غيره من الرسل المتقاوتين تلك الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف كما فى درجات الشرف والظاهر انه رسول الله عليه السلام كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك فى قوة بعضهم فانه قد خص بالوجوه العامة وبحج الطية والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعلية الفائتة للحصر والابهام تنفخيما شانه ولاشعار بانه العلم الفرد الغنى عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل عليهم السلام واتينا عيسى ابن مريم البينات الايات الباهرة وجمعات الطاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايدناه اى قويناه بروح القدس بضم الدال وقرى بسكونها اى بالروح المقدسة كتولك رجل صدق وهى روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة اولانه عليه السلام لم تنشه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبرئيل عليه السلام وقيل بالانجيل كما مر واحاده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين فى شانه عليه السلام من التفريط والافراط والاية ناطقة بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن يقاطع ذلك قوله تعالى ولو شاء الله عدم اقتتال الذين من بعدهم اى جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة اى لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل متفقة على كلمة الحق فجعل المشيئة مخذوف كونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء ان سن جميعا ما اقتتلوا وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهته تعالى الرسل البينات المعجزات الواضحة والايات الظاهرة الدلالة على حقيقة الحق الموجبة لاتباعهم المزاجرة عن الاغراض عن سننهم المؤدى الى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائى تولف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه لما بينهما من الملازمة بحسب الواقع اى ولو شاء الله عدم اقتتالهم لما شاء عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا فمنهم من آمن اى بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعلوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا لا ارجح منه فاقتضى الحكمة عدم مشيته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بحسب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا او ما نبض منهم عرق النطاول والتعادى لما ان الكل تحت ملكوته تعالى وقهره فالتكرير ليس للتاكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضع الاستدراك موضعه بل موجب لمشيته تعالى ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اى من الامور الوجودية والعدمية التى من جملتها عدم مشيته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيته سبحانه غير كائن الا ما كان او كائنا ما لم يكن يا ايها الذين امنوا انفقوا فى سبيل الله مما رزقناكم اى شيا مما رزقناكموه على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى لحث

على الانفاق كما فى قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة تكملة لما تعلقت به اختها ولا صفير فيه لاختلاف معنييها فان الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اى انفقوا البعض مما رزقناكم من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون على شىء قط مما فرطتم فيه اذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تقدرون به على الفداء ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تسألوا شفعاء يشفعون لكم فى حط مأثمكم وانما رفع الثلثة مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرى بفتح الكل والكافرون اى والتاركون للزكوة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ومن لم يحج ولا يذان بان ترك الزكوة من صفات الكفار قال السدى وبيل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة هم الظالمون اى الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا الاشياء فى غير موضعه حيث منعوه حق الغير وحبسه

الله لا اله الا هو مبتدا وخبر اى هو المستحق للعبودية لا غيره وفى اضمار خبر لا اشارة الى الوجود او صحة ان يوجد خلافا لمنكرة معروف الحى الذى لا يجوز عليه الموت والفناء او هو اما خبر ثان لو خبر مبتدا محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له وتعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اى دائم القيام بتدبير خلقه وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تاخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدى بن الرقاع العاملى وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض الحيوان من اكثر خلاء اعصاب الدماغ من رطوبا الابخرة المتصاعدة بحيث يقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس رأسا والمراد بيانا انتفاء اعتراضى منهما له سبحانه وتعالى لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فكيف الاعلى النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقى بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوى كما فى قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما اخر النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجى وقد توسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفى لكل منهما كما فى قوله عز وجل ولا تنفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الاية واما التعبير عن عدم الاعتراء او العروض بجدم الاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لهو وضعها انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والتحلية تاكيدا لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون موتا فى الجملة قاصرا فى الحفظ والتدبير وقيل استيناف موكد لما سبق وقيل حال موكدة من الضمير المستكن فى القيوم له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده فى الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما الممكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذوى الذى يشفع عنده الا باذنه بيان لكبريائه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا من ان يدافعه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الحاضى او امور الدنيا وامور الاخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما فى السموات والارض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذوى الذى من الملئكة والانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشىء من علمه اى من معلوماته الا بما شاء ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه

السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد ونحوه
كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمته شانه عز وجل وسعة سلطانه واحاطته علما بالاشياء اقتطبه على طريقة
قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز
عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي كما كان اعظم يكون عظم الملك اعد
اكثر واوفر فعبر عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية وقيل
هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة
في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن ابن عباس انه العرش
ولا يؤده اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما كما ان حفظهما
مستتبع حفظه وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذي يستحق بالبينة اليه كل ما سواه
ولما ترى من انطوا هذه الاية الكريمة على امهات المسائل المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها
ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب كون وجود لذاته موجد لغيره وما ان القيوم هو القائم
بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز وحلول المبرا عن التغير والفتور لمناسبة بينه وبين الاسباح
والاعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك ومملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش
الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليتها وخفيتها كلياتها وجزئياتها
واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان
متعال عما ينال الاوهام عظيم لا يحيط به الافهام تقدست بفضائل الرتبة وخواص فائقة خلت عنها
اخواتها قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قراها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويحرس
سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما
ولا يدخلها ساحر ولا لص اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وقال عليه
السلام من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد
ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم
وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور
وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص
سيادته عليه السلام للعرب بالذكر في اثناء تعداد اسادات الامة لا يدل على نفي ما دلت عليه الاخبار الصحيحة
وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر لا كراه في الدين جملة مستانفة جيء بها اثر
بيان تفرده سبحانه بالسنون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف
والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فتقبل
منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصلوا انفسهم
باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه عليه السلام ثم قدما
المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا آدعكما حتى تسلما فابيا فخصما الى رسول الله عليه السلام فنزلت فخلاهما
قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله ع وجل قد علمت من

لدن عذرا اي اذ قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يتبع توهم الشركاء غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد
الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي الموصل الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بناء
مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلبت مكان عينه ولامه فقيل هو في الاصل مصدر والياء ذهب الفارسي فعيل الصحيح
مفرد مذكر وانما جمع والتانيث لارادة الآلهية وهو راي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب الجمهور وقيل يستوي فيه
الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يتعمل اثرا ما يتميز به حق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والايات البينة ويكفر بالشيطان
او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى بان تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة
ويؤمن بالله وحده بان شد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل موجبة للايمان والتوحيد
وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقف عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى
اي بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها العظيم الكسر
يقال بانه كذا ان انفصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية وبحجة اما استيناف مقرر لما قبلها
من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى ولها في خبر يكون اي كائن لها
والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يقتضي انفصاما لثبوته
بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه فلا استعارة في مفرد
ويجوز ان تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه
كما قيل فانه غير مذكور في خبر الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من ملازمة او ترشيحي لاستعارة الاولى والكل مع
ما قبله من الاقوال عليهم بالغرائم والعقايد وجملة اعتراض تذييلي حاصل على الايمان رادع من الكفر والنفاق بما فيه من الوعد
والوعيد الله ولي الذين امنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مالا
او حالا يخرجهم تقسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات
الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل ما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها
القوية الجليلة بل ما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستوقف الى النور الذي هو نور الايمان ونور الايقان
بمراتبه ونور العيان اي يخرجهم بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يليق بها من النور وافراد
النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم
الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدا واولياؤهم مبتدا ثان والطاغوت خبره
والجملة خبر للاول والجملة المجموعة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم
الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايذان الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا
يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور
البينات التي شاهدوها من جهة النبي عليه السلام بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات
ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تقرير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر
واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث خلق الله تعالى وقدرته سبحانه او لتلك الاشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملازموها بسبب عالمهم من
الحرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه استئناف على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم

الطاغوت وتقريره له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كان ما بعده استشهادا على ولايته تعالى للمؤمنين وتقريرها
وانما بدئ بهذا الرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله والاستقلال بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجراؤه على يدي حجه
في الله عز وجل وما اتى بها في اثناء تلك المناظرة الملكي حاقة ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار
النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة ابراهيم عليه السلام فان ما يحكى عنه من الدعوة الى محي وما
الى حاضر حجة الكفار من آثار ولايته تعالى وهمة الاستفهام للانكار النفي وتقرير للمنفي اى الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت
الماردكيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اى قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من
الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من تحطب. فظهر ان الكفرة اولياء هم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتاييده في الحجة ان آتاه الله الملك اى لان آتاه اياه حيث ابطره ذلك
وحمله على المحاجة او حاجه ولاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لان احسنت
اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من اتاه
على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح الياء بالي وقرئ بخذفها رويا انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه
فقال من ربك الذي تدعونا اليه قال ربي الذي يحيي ويميت اى يخلق الحياة والموت في الاجساد قال استيناف مبني على السوال
كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية اللحقه فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق
الآخر فقال اذلك قال ابراهيم استيناف كما سلف كانه قيل فما ذا قال ابراهيم لمن في هذه المرتبة من الحماقة وباذا الجمه فقيل
قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق حسبما يقتضيه مشيته فات بها من المغرب ان كنت قادرا على مثل مقدوره وانه تعالى
لم يقف عليه السلام لابطال مقالته التعيين ايذانا بان بطلانها من جليا والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التعلل
لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وانى تمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر
اى صار مبهوتا ومرتى على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اى فغلب ابراهيم الكافر واسكته واريد الكفر في
غير الصلة لكونه كالعلة للحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون
ما قبله اى لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى ما هي الاستدلال
والى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استيناف وقع جوابا عما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقريرها
معطوف على الموصول السابق داخل معه في حكم الرؤية او الفارقة على الواو الجامعة لان حاز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر
والكاف اما اسمية كما اختاره قوم حيا بها للتشبيه على تعدد المشبه به وعدم انحصاره فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل
نصر دال على ان المشبه به هو المجموع من حيث هو مجموع او الم تر الى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واوجه من
ان يحمل الاستبهاء الى نور العيان والشهود اى قد رايت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا اما هذا واما
جعل الهمزة لمجرد التعجيب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج اى انظر اليه وتعجب من امره وفي الكاف او ارايت
مثل الذي مر اى ايذانا بان حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يدركه كما استقر عليه راى الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل
وفخامة شانه الجليل فتدبر والمار عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن يزيد العدني الكل
والسدي وقيل هو ارميا ابن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال
مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل
على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر اباد وقال السدي هي دير سلماباد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل

النقصة التي وقعت بين بني اسرائيل
وبخت نصر وكيف فرقهم وكيف خرب
بيت المقدس

لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله تعالى عليهم بخت نصر البابلي
فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم
وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه
فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر مجتازا على بيت المقدس فراه على
اقفر ما رأى واوحش منظرا وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم
الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض اى تهدمت وهي حالة من ضمير مر او من قرية عند من يجوز مجيء الحال من
النكرة مطلقا قال اى تهدمها على اثر تهدمها واستشعر اليأس عنها اني يحيي هذه الله وهي على ما ترى من حالها العجيبة
المباينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل واني نصب على
الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واما ما كان فالمراد استبعاد عمارتها
بالبناء والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا ابدي سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع
عادة تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كانه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير
معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه واكده اراه الله عز وجل آثار ذي آثير البعد الامرين في نفسه ثم في
غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما محل احيائها على احيائها لاهلها فيابانه التهض
حال القرية دون حالهم والاقتصار على ما ذكر من تراب وعظام مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغايته بعده
عن قبولها على انهم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة للامر لها كما ستحيط به خبرا فاماته الله والبثه
على الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارا قد
اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب واما حماره وبقيته
تينه وعنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وجل
ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له بوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل
فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بخت نصر بعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل ورد هم الى بيت
المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا اكثر مما كانوا عليه فلما تمت
المائة من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه واثباره على احياه لدلالته على سرعته وسهولته تاتية على
البارئ تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال
استيناف مبني على السوال كانه قيل فما ذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت لينظر له عجزه عن الاحاطة بشؤنه تعالى وان
احياه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه تهيئ في جملة البر بعد مدة طويلة ويحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع
في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو بقاء الغذاء المتسارع اليه الفساد بالطبع على ما كان عليه هيئا
طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزا محذوف اى كم وقت لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مامور بذلك من قبله تعالى
قيل نودي من السماء يا عزير كم لبثت بعد موتك قال لبثت يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استعظار
المدة لبثه واما ما يقال من انه مات ضحى وبعث بعد حمائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما فالتفت الى ما فرأى
منها بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فبعيد عن التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم وبناء على حسبان الصروب
لتحقق الغروب من اوله قال استيناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اى ما لبثت مائة عام عطف على مقدر اى

ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فالنظر لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا الى الطعامك وشرابك لم يتسنه اى لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روى انه وجد تينه واعنبه كما جنى وعصيره كما عصر وحجلة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يسنهم سوء اى من الطعام والشراب واوراد الضمير جريا على الحجى الواحد كما تقدم او اما من الاخير اكتفاء بدلالة حاكه على حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرب بكسر التين والهاء اصلية اى هاء سكت واشتقاقه من السنة اى لم تسنه الماء اى لم يصبه او قبل اصله يتسن من حما حمسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضى البازى وقد جوز ان يكون مضى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيها اى مر على حاله كانه لم تثبت مائة عام وقرئ لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك وتطلع به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف تقديره لتعلم ما عاينت ولنجعلك آية للناس فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد هرطويل ولنجعلك آية للناس كموجود بين في هذا القرن بان يتحدث اليك ويأخذ منك ما طوى عنهم منذ احقاب من علم التورية كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اى ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا من البعث المشهود عليه بالقدرة من دليل على ما ذكر من البعث المديد ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى الحمار وتكرير الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد بنظام الحمار ايضا كما ان المأمور به اولا هو نظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من البعث المديد وثانيا هو نظر اليها من حيث بعثها الحسية ومباديها اى وانظر الى عظام الحمار التي هي كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شهدت نفسك كيف تنشزها بالراء المهملة اى رفع بعضها الى بعض وترديها الى اماكنها من جسد فتركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي تنشرها بالراء المعجمة اى نحييها وقرئ بضم النون وكسر الشين فخلعله اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف ينظمها وانظر اليها وهي مركبة مكسوة لحما او بدل الشمال او ظرف لانظر الى العظام كيفية انشازها وربط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا يقتضي الحكمة بيانه روى انه نودي ايتها العظام البالية ان الله يأمركن ان تجتمعي فاجتمع كل عظم من اعضائها التي ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الروح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمجلها والراس بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له اى ما دل عليه الامر بالنظر اليها من كيفية الاحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر سيق عليه الامر المذكور وانما حذف لما يدان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر ولاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كأنه قيل فانشزها الله تعالى وركبها فنظر اليها فتبين له كيفية ذلك فلما تبين له ذلك اى اتضح اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه شيء من الامور وانما صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل وانما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستظهارا لما ظهر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اى فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روى انه ركب حماره الى محلته وانكره الناس وانكر الناس والمنازل فاطلق على رؤوسهم حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذو لك عزير قد فقدنا

منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا وقال لعلي عزير قالت يسخر بي ان الله اماته عاما ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لعله يرد عليك بصرك حتى اراك فدعا ربه فمسح يده على عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في اندية لهم وكان في مجلس ابن الغزير قد بلغ مائة وثماني عشرة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الي هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداوين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان فتش تحت نصر بيت المقدس من قرأ التوراة ارجعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التورية فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التورية يوم سبيت في خابية في كرم فان ارتبتموني فكرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جدة ففتشوا فاخرجوها فعارضوها بما املى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا واذ قال ابراهيم دليل اخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور واني لم اسلك مسلك الاستبعاد وكما قبله بان يقال او كالذي قال رب انى يحيي هذه الله بعد موتها ذكره عليه السلام في اثناء الملحمة ولانه لا خلاف عليه السلام في ان ابراهيم كان عالما بان الله تعالى يحيي الموتى عليه من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر خوطب به نبينا صلى الله عليه وسلم تذكيرا لقومه لما ان ذكر ما وقع في ايامهم من الآيات العظام اثر ذكر ما وقع في ايام من قبلهم من الآيات الجسام وقوله تعالى اذ جعلكم خلفاء اى واذكروا وقت قوله عليه السلام وما وقع فيه من تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على عامة من ولايته تعالى وهدايته لوجيه الامر بالذكر في اثناء هذه الوقائع الى الوقت دون ما وقع فيه منها في الوقائع مع انها المقصودة بالذكر لما ذكر غير مرة من كمال عنايته تعالى في ايجاب ذكرها ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة كما ان الشخص كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية اولم يذكر كما نهاك عن كلمة الاستعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة ارني من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد بدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو جملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصري اى اجعلني مبصرا كيف تحيي الموتى بان تحييها وانا انظر اليها وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عندي بمعنى مثل اي مثل احياء الموتى عندك او بالمصدر المحذوف اى احياء كيف تحيي اى احياء مثل احياء اى حال كيف تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل ومعلوم فالاستفهام ههنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اى ارني بصري كيفية احيائك للموتى واني سألته عليه السلام ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان واما ما قيل من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال ابراهيم عليه السلام ان احيا الله تعالى بما يرد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر فمما لا يكاد يصدق بان يريد ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان قال استشكل كرر غير مرة اولم تؤمن عطف على مقدر اى الم تعلم ولم تؤمن بانى قادر على الاحياء كيف اشاء حتى ارائه قال الخفاجي وعلا وهو اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما يجيب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على اى كيفية شئت ولكن سألت ما سألت ليطمئن قلبي بمضاعفة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة على بصيرة على كيفية معينة قال محمد الفاء جواب شرط محذوف اى ان اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل اسم جمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كرك وصرد وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة للاربعة اى اربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل سرد ال الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانس واجمع

خواص الحيوان وسهولة تأتي ما يفعل به من التخيرية والتفويق وغير ذلك قصرهن من صاره يصوره اى اماله وقرئ
بكسر الصاد من صاره يصيره اى املهن واصمهن وقرئ قصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صارّه يصرّه و
يصيره اذا جمعه وقرئ قصرهن من التقصير بمعنى حبسهن اى احبسهن اليك لئلا تطمح ابصارهن وتعرف شيئا منها مفصلة ثم تعلم بعد
الاحياء ان جزءا من اجزاء انهام ينتقل من موضعه الاول اصلا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها و
يفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على اجبال وذلك قوله ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا اى جزءا منهن وفرق اجزاءهن على عاما يحضرك من اجبال فنيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على
كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزءا بضمتين وجزءا بالتشديد بطرح همزته وتخفيفا ثم ادعهن اجراء الوصل مجرى الوقف ثم
سعيا اى ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله
ولما ترتب عليه من عجايب آثار قدرته تعالى كما روى انه عليه السلام نادى فقال تعالوا بين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير
الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضوت كل جثة الى رأسها فعاد كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من
الهيئة تبيانا بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من تجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الى
الذكر اصلا دنا هيك بالقصة دليلا على فضل تخمير ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث اراه الله تعالى
ما سأله في محل عسير ما يكون من الوجوه وآثر عزيزا ما اراه بعدما امنه عام عليه السلام واعلم ان الله عز بر
غالب على امره لا يعجزه شيء عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في افعاله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايراد بها
بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه منتظما للحكم ومصالح مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اى في وجوه الخيرات
من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة
انبتت سبع سنابل اى اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة بحيث اجد
ولكن في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك والاسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع
وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدي الناظر والله يضاعف لمن يشاء اضعافا فوق ما مثل الله كما لمن يشاء
ان يضاعف له تفضلا على حسب حال منفق من اخلاصه وتبعه وذلك تفاوت مراتب الاعمال في مقاديرها ثوابا والله واسع
لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله جملة مبتدأة جيء بها لبيان كيفية الانفاق الذي يتبين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اى ما
انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى
ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما
وتم لاظهار علو رتبة المعطوف فيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها
وعبد الرحمن بن عوف حين اتى النبي عليه السلام باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالها شيء من المن والاذى لهم فهم
اى جسما وعدلهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا من موصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله
عند ربهم من التاكيد والتشريف ما لا يخفى وكلمة عن في الخبر المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب
الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك
وان لم يفعلوا لتكليف بهم اذا فعلوا فاياه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من طوق مكروه من مكاره

ولا هم يحزنون لفوات مطلوب المطالب قل او جل اى لا يعتريهم ما يوجبه لانه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
ولانه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف وخشية استعظام الله
وهيبته واستقصار النجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص خواص حقهم بين والمراد بيان دوام انتفائهما لا
بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الجملة الثانية مضارعا لان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام قول معروف اى كلام جميل يقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شيء ومغفرة اى ستر طاوع
من السائل من الالحاف في المسئلة وغيره مما يتعلق على المسؤول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف
وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اى ومغفرة كائنة من المسؤول خير اى من صدقة يتبعها اذى لكونه مشوبة بضرر
يتبعها وخلوص الاولين من الضرر وجملة تستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بنيل المغفرة من الله تعالى
بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار خيرية بالنسبة الى السؤال يؤدي الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة
اليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة والله غني لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤونة المن والاذى وبيرز فهم من جهته اخرى جليلة
لا يحاط بها من صحائف المن والاذى بالعقوبة لانهم لا يستحقونها بسببهما وجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار
الخيرية بالنسبة الى السؤال قطعا يا ايها الذين امنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في اي العمل
بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اى لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالذي في محل النصب اما على انه نعت لمصدر
محذوف اى لا تبطلوا ابطالا كابطال الذي ينفق ماله رياء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اى لا تبطلوا مشابهين
الذي ينفق اى كالذي يبطل انفاقه بالريا وجيء من صيغ المصدر المقدر على ما هو رأى سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه
علة لينفق اى لاجل رياء الناس واما على انه حال من فاعله اى ينفق مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم
حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الغاير بط بعدا بما قبلها اى فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اى
حجر املس عليه تراب اى شيء يسير منه فاصابه وابل اى مطر عظيم القطرة فترك صلدا املس ليس عليه شيء من الغبار واصلا
لا يقدرون على شيء مما كسبوا لانتفاعهم بما فعلوا رياء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا وجملة
استئناف مبني على السؤال كانه قيل فاذا يكون حالهم في فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كذا كون مثل من شبهوا بهم
وهم الصحيح. المن والاذى كذلك والضمير الاخيران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا والمراد
بالجنس ادنى جمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد
وجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها وفيه تعريض بان كلا من الرياء ومن والاذى من خصائص الكفار وحالا بد للمؤمنين
ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله اى لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اى وتثبيت
بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قوله تعالى ورحمة منه هو من عطف ذكر من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل
ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او د تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء
من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم وتخصيل ان يكون للبعض وتثبيتا من انفسهم عند هو مبتدأ انها
صادقة تخلصة فيه وبعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن الخبائث وجعلها
كالمهور التي هي كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالكسر والضم والفتح ثلث وقد قرئ بها المكان المرتفع اى مثل بستان
بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد لطافة هوائه بهبوب الرياح المتخلفة له فان اشجاره الزلى يكون
احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فتقل سلما من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ بكسر الجيم

اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها وقرى بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اى مثلى ما كانت تثمر فى سائر الاوقات
بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اى مضاعفا فان لم يصبها وابل
اى فطل يكفيها ببرودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل والطل مطر الصغير القطرة وقيل الذى يصيبها طل وتعبير
ان نفقا هنا لا زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت متفاوتة باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين
حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين جنة المعهودة باعتبار ما اصابها من مطر الكثير والسير كما ان
كل واحد من مطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جدوان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة فى
زلفاهم وحسن حالهم عند الله والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شئ منه وهو تهديد فى الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم
الود حب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالها واو الهمزة لانكار الوقوع كما فى قوله أأصرب ابى لا انكار الواقع كما فى قولك انضرب اباك
على ان ناط الانكار بسببين جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابته الاعصار وما يتبعها من الاحتراق انما تكون له جنة وقرى جنات
من نخيل واعناب اى كانت منها على ان يكون الاكل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين بحيث معين لفنون المنافع والبهاء
المستتبعان لا على ان لا يكون فيها غيرهما كما يستفاد من جنة تطلق على الاشجار المتكاثفة قال زهير كان عينى فى غربى مقتلة
من النواضح تسقى جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجرى من تحتها الانهار اذ على الاشتمال
من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وكذا لابد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سيأتى مجازيا وتخلية فى محل الرفع على انها صفة جنة
كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك وفى محل النصب على انها حال منها لانها موصوفة لما فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثانى
مبتدأ اى صفة للمبتدأ اثابة نفقاتهم اى له رزق من كل الثمرات كما فى قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له وقيل
بالثمرات العموم بل انما هو انكثير كما فى قوله تعالى واوتيت من كل شئ واصابه الكبر اى كبر سنه الذى هو مظنة شدة حاجة الى ما ذكر
وشيخوخة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اى وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير فى اصابه اى اصابه الكبر
وحال انه ذو ذرية صغار لا يقدرون على الكسب وترتيب مباديه المعاش قرى ضعاف فاصابها اعصار اى ريح عاصفة تستدير
فى الارض ثم تتصاعد منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيها نار شديدة فاحترقت عطف على اصابها وهذا كما ترى تمثيل حال من يعمل
اعمال البر وحسناتها ويقدم اليها ما يحيط بها من العوارض ثم يبدو يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها بها منشورا فى الصحف وان سلم
عليها كذلك توجيد الكفاف مع كون تمتى طب جسما قد مر وجه مرارا اى مثل ذلك البيان الواضح تجارى فى الظهور مجرى الامور المحسوسة
يبين الله لكم الايات العلائم لعلكم تتفكرون كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعلموا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات
ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اى انفقوا من حلال ما كسبتم وجاده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اى من طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا تقصدوا
اتما اصله ولا تتيمموا وقرى بضمها وقرى ولا تأموا والكل بمعنى لا تقصدوا الخبيث اى الردى الخسيس وهو كما للطيب من الصفات
الغالبة التى لا تذكر موصوفا بها منه تنفقون حال متعلق بتنفقون او الضمير للخبيث والتقديم للتخصيص وجملة حال من قال تيمموا اى
لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه ومن جنسه اى مختصا به الانفاق واباه كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق
الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب من عباس رضى الله عنه انهم كانوا يتصدقون بشذاذ تمرهم ودنى ثماره فنهوا عنه وقيل متعلق
بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للحال اى لا تقصدوا اعيه بالانفاق حال كونكم غير مغمضين فيه او لا تيمموا تيمم الهبى او مختارا وتخصيص
ذلك لان الانفاق فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اى ولا تقصدوا الخبيث كائنا من حال او ما اخرجنا لكم او ما اخرجنا
تنفقون اياه وقوله تعالى لستم باخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اى تنفقون وحال انكم لا تأخذونه فى معاملاتكم فى وقت من الاوقات

او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم فيه او الا بان اغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الا مع غمزة بطل
اغماض بصره اذا غمضه وقرى على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه او لو جدوا مغمضين وقرى تغمضوا وتغمضوا
بضم الميم وكسرها وقيل لما الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون وحال
انكم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومالكم لا تستحيون الا كخاركم فكانه قيل أتنفقون هذا واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم
وانما يأمركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وابذان وذلك
من آثار جهلهم بشئ تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد وحسبان ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه او مضطر اليه مستحق
للحمد على نعمه العظام وقيل حامد يقبول الجميد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما يكون من جهته
مخيرة متبوعا على شئ من زمان او غيره يستعمل فى الشر استعمالة فى الخير قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا واى بعد كم فى الانفاق
الفقر ويقول ان مطاوعته انفاقكم ان تنفقوا واما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يعدهم بجى الفقر الجهته لان اذعانهم
فى الاجبار يتحقق بمجيئه كانه نزل فى تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته اولو قوعه فى مقابلة وعده تعالى على طريقة
المشاكلة وقرى بضم الفاء والسكون وبضمتين وفتحتين وبالحاء المهملة اى بالخصلة القبيحة اى ويغريكم على البخل ومنع
الصدقة اغراء الآمر للمامور على فعل المامور به والوجه ستمى البخيل فاحشا قال طرفة ترى العبد فيها يقتنى المال فاحشا ويصطك عقيلته
مال الفاحش متشدد وقيل بالمعاصى والسيئات والله يعدكم اى فى الانفاق مغفرة لذنوبكم وجبر فى قوله تعالى منه متعلق بمحذوف
هو صفة لمغفرة موكدة لفخامتها التى افادها تنكيرها اى مغفرة مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفة محذوفة لدلالة
المذكور عليها كما فى قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اى وفضلا كائنا منه تعالى اى خلفا عما انفقتم زائدا عليه فى
الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل لتوابا فى الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من مغفرة واخلاف ما تنفقون
عليم بما فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او بعلم ما سيكون من مغفرة والفضل فلا احتمال للخلف فى الوعد وجملة تذييل
تقرر المضمون ما قبله يؤتى الحكمة قال مجاهد الحكمة هى القرآن والعلم والفقه وروى عن ابن نجيح انها الاصابة فى القول والعمل وعن ابراهيم
النخعى انها معرفة معانى الاشياء وفهمها وقيل هى معرفة حقايق الاشياء وقيل هى الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل
انها تفسير القرآن باربعة اوجه فقاره بكواظ القرآن والاخرى بما فيه من عجائب الاسرار والعبر والثالثة بالعلم والفهم والرابعة بالنبوة ولعل
الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبنية فى تضاعيف الآيات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتانها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل
اى يبينها ويوفق للعلم والعمل من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه فى ضمن الامر
من حكم البالغة التى يدور عليها فلك مصالحكم فاغتنموا وسارعوا الى العمل بها وهو جواب سؤال تقدم الكلام عليه كما مر مرارا
وجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء الفعل للمفعول وقرى على بناء الفاعل اى ومن يؤته الله الحكمة و
الاظهر فى مقام الاضمار للاظهار فى الاعتناء بشأنها والتنكير لعلة الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير فانه قد جمع خيرا الدارين
وما يذكر اى ما يتعظ بها او اى من يتفكر فيها الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون
الى مشايعة الهوى وفيه من الترغيب فى تحمى فقه على الاحكام الواردة فى شأن الانفاق ما لا يخفى وجملة اما حال او اعتراض تذييلى
وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلى شامل لجميع افراد النفقات وما نافية او شرطية وما كان منها فى سبيل الله وما كان منها فى طاعته او
موصولة حذف عائده اى وما انفقتموه من نفقة اى اى نفقة كانت فى حق او باطل فى سر او علانية قليلة او كثيرة
او نذرتم النذر عقد الضمير على شئ والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اى نذر كان فى طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بما
او بالافعال اى الصيام او الصلوة وغيرهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثانى مزيدة فى الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلقه

العلم للاتى والمرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما فى قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا صح هناك التثنية وبزيادة قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما فى قوله عز وعلا واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها واخرى الاحق رعاية للقرب كما فى هذه الآية الكريمة وفى قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل
النظم عليهما وبيانها بالذكر ونظائره او على حذف الاول لدلالة الثانى عليه كما فى قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
فى سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف وفى نحو هما مما عطف فيه بالواو ومجاهد يصف مستغنى عنه
بهم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الحق اى فانه يقع بجازيكم عليه
البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب ووعد وعيد ومالظالمين بالانفاق والتذرع للمكافاة او بمنع الصدقات وعدم
الوفاء بالنذور واباء بانفاق كيفيت او بالربا والمكس والاذى وغير ذلك مما ينتظمه شان الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه
الذى يجق ان يوضع فيه من انصار اى اعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لكفاءة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع بمقابلة
الظالمين اى وما للظالم من الظالمين من نصير من الانصار فى الجملة ايستاء تورلا فاقتها من حرف مفيد لغاية حال من نفعل ما نفعل
من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية الاخلاء ان تبدوا الصدقات فنعما هى نوع تفصيل لبعض ما اجمل فى الشرطية وبيان له
ولذلك ترك العطف بينهما اى ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها وبعدان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين
على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ كسبحين واخفاء حركة العين وهذا فى الصدقات المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفاء
فالاخفاء افضل وهى التى اريد بقوله تعالى وان تخفوها اى تعطوها خفية وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه
واجب الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الايتاء كما ان الاشتهار فان الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا دون العلن
ذلك عند الناس فهو خير لكم اى فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال واما فى الواجب فالامر بالعكس لدفع
التهمة عن ان يحاسب ويرضى به فيها صدقة السر فى التطوع تفضيل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها
بخمس وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سياتكم اى والاخفاء ومن تبعيضية اى شيئا من سياتكم كما سترتموها وقيل نزيد على ما
الاخفاش يقرى بالنون مرفوعا ونجزم ما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف
اى ونحن نكفر او على انها جملة مبتدا اه من فعل وفاعل وقرئ بجزم ما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار
والاعلان خبير فهو ترغيب فى الاسرار ليس عليك هداهم اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين لان الاتيان بما امر وابه من حمل من
والانتهاء عما نهوا عنه من القبايح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد والحث عليه والنهى عن الشر والردع عنه بما
اوحى اليك من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته لاذلك ممن يتدبر
بما ذكر ويتبع حكمه ويختار الخير والجملة معترضة جئ بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله عليه السلام مع الالتفات الى الغيبة
فيما مر من الخطاب المتعلقة بالمكلفين مبالغة فى حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبى عليه السلام موذن
بوجوبه عليهم حسبما يطابق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر تعرض المسلمين نهى رسول الله عليه السلام المسلمين عن التصدق على المشركين كى
يحملهم حاجة على الدخول فى الاسلام فنزلت اى ليس عليك هداهم حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم فى الاسلام فلا تتعرض فى الكلام
وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بزيادة تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى الخطاب للمكلفين
لمزيد العناية بامرهم نحو الامتثال على التلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبى عليه السلام وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية
ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لا اسم الشرط مبينة ومخصصة له اى اى شئ تنفقوا كائنا من مال فلانفسكم اى فهو لانفسكم لا ينتفع به
غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من خبيث او تنفقوه الدنى لكم لا يغرنكم من الفقراء حتى تمنوه ممن لا ينتفع به بين حين

الذين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل اى اعم الاحوال اى ليست نفقتكم شيئا من الاشياء الا
لابتغاء وجه الله او ليست فى حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فى باب تمنون بها وتنفقون بخبيث الا لابتوجه مثله الى الله تعالى
وقيل هو نفى بمعنى النهى وما تنفقوا من خير يوف اليكم اى اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم فى ان
تمنوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجلها نهوا تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتايج دعائه عليه السلام اللهم
اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل نزلت فى اسماء بنت ابى بكر فانها امرت بها وهى مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن
جبير انهم كانوا يتقون ان يعطوا اقرباءهم من المشركين ودوى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار فى اليهود ورضاع كانوا يتقون
عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب ولعل الواجب فلا يجوز صرفه الا الكافر وان كان ذميا
وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من تخلف المنفق اليه وقرئ بالياء على ان الضمير لما فى كل كلام كما فى قوله عز وجل
فى بضع آيات لا خرعون اى اعمد واللفقراء الذين احصروا اما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله بالغزو
وحبهم والا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض اى ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
كانوا نحو من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يتفرغون لاوقاتهم بالتعلم وبجاهدون كانوا يخرجون فى كل سرية
بعثها رسول الله عليه السلام يحسبهم جاهل بحالهم اغنياء من التعفف اى من اجل تعففهم عن المسالة تعرفهم بسماهم اى
تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف وراثة الحال وقيل بكلام يقال لكل احد ممن له حظ من الخطاب جاهلا
فى بيان وضوح فقرهم لا يلحون الناس الحافا اى الحافا وهو ان يلازم السائل المسؤل حتى يعطيه من قولهم الحفنى من فضل
لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده ومعنى لا يلحون لونهم شيئا وان سالوا لحاجة اضطرتهم اليها لم يجدوا وقيل هو نفى لكلا الامرين
جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اى لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك
احسن جزاء فهو ترغيب فى التصدق لا سيما على هولاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات
والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت فى شان الصديق رضى الله عنه حيث تصدق باربعين الفا دينارا عشرة الآف منه بالليل
وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل فى على كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم تصدق بكل واحد
منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل
فى رباط الخيل والاتفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء لما فى المبتدا من معنى الشرط او لان فى الموصول ابهاما يزيله الصلة
فى وهم الذين هم ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقديره الذين يأكلون الربوا اى يأخذونه
والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به وليشمل عينه فى حكمه ومع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة فى المقدار او فى
نوع حسبما فصل فى كتب الفقه وانما كتبت بالواو كالصلوة على لغة من يفخم فى اخواتها وزيدت الالف تشبيها بواو جمع لا يقومون اى
من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان اى الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان
فيصرع وخبط الشر بغير اكثروا الخبط العثو من خمس اى خنوق وهذا ايضا من زعمائهم ان بحنى تمسه فيخبط عقله فذلك تفاعيل
حين الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفى اى لا يقومون من الصعق بسبب اكلهم الربوا او يقومون او يتخبطون فكيف
تنهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا ختلال عقولهم بل لان الله تعالى اراد فى بطونهم ما اكلوا من الربوا فثقلهم فصاروا مختبلين
يتهوضون ويسقطون تلك سبيلهم يعيرون بها عند اهل المحشر وذلك اشارة الى ما وقع من حالهم ومالهم اهم الاشارة من معنى البعد
للايذان بفظاعة ما لهم وصيه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد
ما فضاها بهم الى الربح فاستحلوه استحلالة وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع مائة درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا

فنظرة اى فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار والامهال وقرئ فناظره اى فالمستحق ناظره اى منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اى فحمله بالنظرة الى ميسرة اى ايسار وقرئ بضم السين وهى لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما خ قوله واخلفوك عدا الامر الذى وعدوا وان تصدقوا بحذف احدى التاءين وقرئ بتشديد الصاد اى وان تتصدقوا على معسر بما عليكم بالابراء خير لكم اى اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه وهو مندوب الى ان تتصدقوا بربوس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم حسبما كلفوا به وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد به التصدق على الانظار لقوله عليه السلام لا حر الا دين رجل مسلم فيموت ولم يترك الا كفانه ليكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جواب محذوف اى ان كنتم تعلمون انه خير لكم عاجلتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم وللتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة فى التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل فى التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون الى الله اى سببه اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس كاملة والتعميم للمبالغة فى تهويل اليوم اى تعطى كملا ما كسبت اى جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس تفيد ان المعاقبتين وان كانت عقوبة باتهم مؤبدة غير مظلومين فى ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لان الخبر اى كل ان الافراد او فى حال الكسب عن ابن عباس رضى الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين شروع فى بيان حال المداينة الواقعة فى تضاعيف ما جاء فى شان بيع السلم بالنقد وبعد بيان حال الربوا اى اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين رفع توهم كون التداين بمعنى مجازاة والتنبيه على تنوعه الى المال والحال وكونه جعلا وانه الباعث على الكتبة وتعيين حرج للضمير ومنصوب بمضمر على الامر الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يفيد فاكتبوه اى الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان حمل به السلم وقال قد اشهد الله الربوا اباح فى السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما لتعينه او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اى افعل الكتابة وقوله تعالى بينكم لما يذان بان الكاتب ينبغى ان يتوسط بين المتداينين ولا يكتب كلا منهما ولا يكتفى بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اى كاتب كائن بالعدل اى وليكن المتصدى للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دينا حتى يجئ كتابه موثوقا به معدلا بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه اى عادلا وقيل متعلق بالفعل اى وليكتب بينكم بالحق ولا يأب كاتب اى ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتابا كما علمه الله تعالى طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة بقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن ابائها تاكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهى عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذى عليه الحق الاملال والاملاء لغتان جميلا للمبالغة فى التحذير اى وليتق الملى دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اى من الحق الذى عليه على الكاتب شيئا فانه الذى يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص

ان خليدا اجد والبيتين والخرد ا

صدره

آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام

على ما ذكر ابن عباس رضى الله عنهما

الواقعة بهم

صلاة بحملوا فاسواه البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين فى الاول ضائع حتما وفى الثانى متجر بما سيأتى انه الى الله وترقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهته الله تعالى لتسويتهم وابطال ليقياس لمرقوعه فى مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك فى المناط وجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اى فمن بلغه وعظ وزجر عما نهى عنه الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام لتشريفه وتهويل ما ارتكبه من المعصية وفانتهى عطف على جاءه اى فانزجر بلا تراخ وتبع النهى فعله ما سلف اى ما تقدم من اخذه الربوا قبل التحريم ولا يستتبع نهيه بما مر تتبع بالظرف ان جعلت من موصولة بالابتداء ان جعلت شرطية على رأى سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله بجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اى الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد وجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر والفساد اصحاب النار اى ملازموها لا يفارقونها خالدون ابدا وجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اى يذهب بركته ويهلك مال الذى يأخذه ويعرضه للفناء او يذهب به بالكلية فى الدنيا او يعذب به فى الآخرة بتخليد صاحبه فى النار او يمحق دينه ويبطل ثوابه بما يرتكب فيها ويربى الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد اموال اربابها اخرجت منه الصدقة روى عنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى احدكم مهره وفصيله عليه السلام ما نقصت صدقة من مال قط والله لا يحب اى لا يرضى لان المحب يختص بما يحبه كل كفار مصر على تحليل الربوا اثيم منهمك فى ارتكاب ما حرم الله ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاء هم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الصالحات لانافتها على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال بعد الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدا وخبر واقعة خبرا لان اى اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام تشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى توا الفكم عقابه وذروا ما بقى من الربوا اى واتركوا ابقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على تحقيقه فان ذلك يستلزم لا محالة امرهم به البتة وهو شرط حذف جوابه لفقة ما قبله اى ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا ما روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند حلوله بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا اى ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا فاذنوا اعلموا من الاذن بالشئ اذا علم به آذنته به فعلم كقوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا بها من حاذن بالشئ اذا علم به آذن على الاول فكحرب للمرتدين واما على الثانى فكحرب البغاة وقرئ فاذنوا اى فاعلموا غيركم فيسلم اموركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لما فى ينوع من تجويز عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روى انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدان لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الاتجار بحرمتها بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رءوس اموالكم تأخذونها كلا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة وجملة اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير فى لكم والعامل ما تضمنه مجاز من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اى لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار حرمته فهم مرتدون وما لهم حكم بقى فى حال الردة فى المسلمين عندنا ج وكذا سائر اموالهم عندنا تنفع وعندنا هو لورثتهم ولا شئ لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شركة مفاوضة على الشائع تسلم لهم رءوسهم فكيف بربوس اموالهم والا فكذلك عندنا خلافا لزفر رحمه الله تعالى فانه يقول من عامل الربوا يستتاب فان تاب والا قتل وان كان ذو عسرة اى ان وقع تعرض من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها

على ما ذكر ابن عباس رضى الله عنهما

الواقعة بهم

ناقصة

فلو اريد نهيه لنهى عن كليهما وقد نعلم ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف العلى حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء
والنهى عن البخس لما فيه من الدواعي الى احدهما عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتحقيقا ما في وسعه
بما امكن فان كان الذي عليه الحق صحيح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لالان الامر والنهي لغير معينها
ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يملّ هو اي غير مستطيع لا علة اخرى
او عي او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وصي او مترجم
بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف به من عليه الحق لانه قد يقع منه الزيادة كما يقع منه النقص
واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليستحلا الشهادة على ما جرى بينكم من حدانية وتسميتها شهيدين لتنزيل ما من
منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهد وا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن بتعيضية اي شهيدين
كائنين من رجال مسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطاب الشرع لا ينتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في
موضعه واما اذا كانت حدانية بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكفار عند ذا كان لم يكونا اي الشهيدان
جميعا كما طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اي فليشهد
رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي
ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجالكم وامرأتان اي كائنون مرضيين عندكم وتحقيصهم بالوصف المذكور مع
الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بانه ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا
فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين ودين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير
المحذوف الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلكم بعد التهم وثقتكم بهم وادراج
ان الى الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في الثاني
والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو
فادفعه كأنه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل اختيار ما على النظم الكريم على
ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى لتأكيد الابهام ولمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحد
بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى
ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل حامر من
تنزيل ما سيصير منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحي آي العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم
احد فنزلت ولا تأب مرا اي لا تمتنع من كثرة مداينا تكم ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الصغر
الذي هو صفة المداين كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبي عليه السلام لا يقول احدكم كسلت
صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا او مجملا او مفصلا لا اجله متعلق بمحذوف وقع حالا
من الهاء تكتبوه اي ستقع آي الذمة لاوقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة لما امر به من الكتب و
الاشهاد اقسط للحق اعدل عند الله اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت طحا واعون على اقامتها وادعى لانتفاء
من ارتاب فانه قياسي عند كبير به او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب طوبى
وادنى ان لا ترتابوا واقرب لانتفاء كم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تريدونها بينكم

استشهدوا على الدين

على المعلمة من الجزم بلا تدغم

في الرهن بمقبوضة

على اكتب لشهادة الشركاء وشهادة الزور وكتمان الشهادة

على ولا ضرار الكاتب والشهيد

استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم
بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اي فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع
تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا
لانه احوط والاوامر الواردة في الاية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها وشخصها والايصار
الكاتب ولا شهيد نهي عن مضارة محتمل للبناء للفاعل كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة
والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يجبرهما او يكلفهما ما خرج عما حد لهما
او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا اما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم
اي خروج عن الطاعة ملتبس بكم والقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكاما
المتضمنة لمصالحكم تديرا والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وما يجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلث
لادخال الروعة وتربية المهابة والتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حيالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد والثالثة
تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في حدانية وقرئ كتابا وكتبا
وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به او فعليكم او فليرهن رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط
السفر في مشروعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في حدانية من يهودي بعشرين صاعا من شعير
واخذه لاهله بل لان التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعواز الكاتب والكلام تتميم لما مر
انه في حكم الكتابة توثقا واعوازا ولجمهور العلماء وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلا هما جمع
رهن بمعنى مرهون وقرئ سكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين فلم يطلب به واستغنى
بامانته عن الارتهان وقرئ فان أدن من بعضكم اي آمنه الناس وصفوه بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا بنزع الخافض
اي على بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعيينه طريقا للاعلام وحثه على الاداء
امانته اي دينه وانما سمي امانة لانه ائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء التي هي
لان من قلبت من الهمزة لازما في حكمها ولتتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي جمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية
من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود وتحملونها اي تتحملونها ايتكم على الكتم عند المعاملة ومن يكتمها فانه
آثم قلبه اثم جزاء وقلبه مرتفع به على الفاعلية كما انه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبره مقدم والجملة جزاء ان
واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين واللاذن او لعبالغة لانه رئيس الاعضاء
واعماله اعظم الافعال كأنه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب على البدل من نفسه
وقرئ اثم قلبه اي جعله آثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من الامور
الداخلة في حقيقتها وخارجة عنها المتمكنة فيها من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا فلا شركة لغيره
في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقوة او بالفعل او تخفوه بان
تكتموه منهم ولا تظهروه بأحد الوجهين ولا يندرج فيه ما يجري عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها
اذ التكليف بحسب الوسع جاء بكم به الله يوم القيمة وهو حجة على منكري الحشر من المعتزلة والروافض وتقديم مجاز ومجيء جزم على الفاعل
للاعتناء به وما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعنى

على المعلمة من الجزم بلا تدغم

في الرهن بمقبوضة

على اكتب لشهادة الشركاء وشهادة الزور وكتمان الشهادة

على ولا ضرار الكاتب والشهيد

لوا نام يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في التفريق المغايرين هو التركيب وكونهم بالكسر متفرقا على كفرهم بهم
وقرئ بالبناء للمفعول اسناد الفعل الى الكل وقرئ لا يفرقون حملا على لفظ كل وقوله تعالى وكل اتوه داخرين فان جملة نفيها حال من الضمير
المذكور وقيل خبر ان لكل كما قيل في القول حمقد رفلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي
الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قدم تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على
تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وانما اظهر الرسل
في الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما لاحضار عن توهم اندراج ملائكته في حكم
او للاشعار بعلة عدم التفريق اد لا يجان لا عترافه لان مجمع عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر التحيثيات الخاصة
وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب معنى من وهو حكاية لامتثالهم بالامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا
اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بحقيته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا
امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة
حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب مغفرته ان لما ان تقديم الوسيلة على المسؤل ادعى الى الاجابة والقبول وتكرير
العنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي المرجع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو
تذييل لما قبله مقرر لحاجة الى مغفرته فان الرجوع الى محل الجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة
جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بجميل الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة
ابتداء الا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية
اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم برکوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق
الصلوة والصوم والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتريدون ان
تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم
فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فسؤلهم الغفران متعلق بمحذوف
عز وجل في قوله فنسخها فمن شاء انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم بيانا ان المراد بما في
انفسهم ما عزموا عليه من الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه
كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي بمشيته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما تتسع فيه
طوقها وتتيسر عليها دون ما تضيق الطاقة ويجهدها تفضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر اي وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بما يجري لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
تلوين للخطاب والتفات الى مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها بيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنوع التخفيف
والتيسير يتضمن مراعاة منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان
اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته لها
لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او الشركا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء
مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب
الشر لما فيه من مزاولة اعمال ما في النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا شروع
في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور الجبلية الى النسيان او الخطا

من تفريط وغلبة مبالاة ونحوها مما يدخل تحت التكليف او بانفسها من حيث تاثيرها على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في تعلق
بها عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطأ موجب للهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يقتضي
العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعده لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع
في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعوا بهم بعد
العلم بتحقق الموعود لاستدامة والاقتداء بالنبي في ذلك كما في قوله تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحملنا
عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لاظهار مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه
والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل
بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا
او على انه صفة لاصرا على اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من قتل النفس في التوبة وقطع
موضع النجاسة وخمسين صلوة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا الخطيئة حرم عليهم
من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله
ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في حقهم ووضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام
بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع
عن امتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على ما قبله واستعفا عن العقوبات الناشئة لا تطاق
بعد الاستعفا عما يؤدي اليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيما كلف فيه قيل
لا تكلفنا ملك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في حق ما فرط علينا فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل
باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير له بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفا
عن التكليف بما لا يفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والى ان سئل التخلص عنه
والتشديد ههنا للتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا اي آثار ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا
ولا تفضحنا على رؤوس الاشهاد وارحمنا وعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة
على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولينا سيدنا ومخدومنا عبيدك اوناصرنا ومتولي
امورنا فانصرنا على القوم الكافرين لان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به
عامة الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله وجهاد في سبيله تعالى حسبما امر في تضاعيف السورة
الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت
وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله آيتين من كنوز رحمته كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق
بالفي عام من قرأ بهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ آيتين
من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكثر ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال
السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط
القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة

قال صلى الله تعالى عليه وسلم السحرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان حالا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة كلفظ ميم وكاسين و
ياسين الموازنة كقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لكن اذا كرر حسبما ذكر في سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها كالحكاية
فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماً او سوره فهي على نمط التعديد وهو الاصل لزمها التقاء اساكن كما هنا او لا
الوقف قطعاً فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة الشهيرة
فاما على حركة همزة اجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف حتى يبقا اثر حركتها في حكم الكاتب بمستدا
به والميم يكون حركة لغير ما في حكم الوقف على السكون دون حركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء
الساكنين التي هي الياء والميم ولام اجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على قوم مانع الدرج وقد عرفت ان سكون
الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها
الاتصال بما بعدها وضعاً واستعمالاً فيسقط بها همزة الوصل ويحرك اجتزاءً بالالتقاء اساكن كيف ثم ان جعلت مسرودة على نمط
التعديد فلا محل لها من الاعراب كأ ثر الفواتح وان جعلت اسماً للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدا محذوف واما النصب
على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرا ونحوهما واما الرفع بالابتداء والنصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه
فلما سائغ لشئ منها لان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للقسم عليه فان الاسم الجليل مبتدا او ما بعده خبره والجملة مستانفة
اي امر مستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدا محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدا
او بدل منه او من الخبر الاول او هو خبر وما قبله اعتراض بين المبتدا او الخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال سنه وآيا ما كان فهو كالدليل
على اختصاص استحقاق المعبودية بسبحانه وتعالى لما سيجيء ان معنى الحي الذي لا يجوز عليه الموت والفناء ومعنى القيوم الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه
بدونها وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل
عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله
الاعظم قال الحي القيوم ويروى ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعوه يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى
بعرش بلقيس ودعا بذلك وقرأ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربانا فانه روي ان وفد نجران قد موا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلثة منهم كانوا اكابرهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب
مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارس
ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم ومتولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له الكنائس
فلما حرج من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعس
الابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست انك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره
فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كل ما
فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم
ثياب الحبرة جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من امثالنا ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا

مطلب
مصاحف الحي القيوم

مطلب
معنى اهل نجران كفار
لا حدوسه وما جرى بينهم

يصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأيت عيسى
هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو
ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة يقول ذلك فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال
لهم رسول الله عليه السلام اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله ان يكون ولدا لله
فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه ابا فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان
عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام
فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء قالوا بلى
قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان
ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع
المرأة ولدا ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام كيف يكون
هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا الجحود فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم
واجاب به عن شبههم وتخفيفا للحق الذي فيه يمترون نزل عليك الكتاب اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية
الافراد في حيازة ما به الاشتراك في الجنسية كما انه هو حقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصدير باسمي التوراة والانجيل وصيغة
التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول الحاصر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى ما هو المؤخر والجملة اما مستانفة او خبر اخر
من الاسم الجليل او هي خبر قوله الحي لا اله الا هو حي اعترض او حال وقوله عز وجل الى القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب
بالتخفيف ورفع الكتاب فانظاهر حينئذ ان تكون مستانفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده بالحق
حال من الفاعل او المفعول اي نزله بحقانية تنتزل عليها او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره التي
من جملتها اخبار التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله كما مر من حجج البينة مصدقا حال من الكتاب
بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فمنهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف
ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من ضمير عليك في جار ومجرور لانه
حينئذ يتحمل ضميرا لقيامه مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بهاتين الحالتين
الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما لما بين يديه مفعول
مصدقا واللام لتقوية العمل لكونه فرعا لما يريد اي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضور ما وكمال ظهور
امرها بين الناس وتصديقها اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه جليلها والامر بالعدل والحث
وكذا في انباء الانبياء والامم ونحو ذلك وكذا في نزوله على النعت المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم
والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرائع المختلفة باختلافها فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما يقتضيه
الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم وانزل التوراة والانجيل
تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعه محله تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه رفعة وبهاء و
يزداد في القلوب قبولا ومهابة وتتفاحش حال من كفر بها في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام
اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام واما نجم نيفا وعشرين سنة فلا يأبى انزالهما عليه ايضا كما انزل القرآن عليه
عبري والانجيل سرياني ويفصده القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من بنية العرب والتصدي لاشتقاقها من الورى والنجل تعسف

مطلب
التوراة عبري
والانجيل سرياني

من قبل متعلق بانزل اى انزلها من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر لمبالغة فى البيان هدى للناس فى حيز النصب على
انه علة لانزال اى انزلها لهداية الناس او على انه حال منها اى انزلها حال كونها هدى لهم والاظهر ان يقال انه مصدر جعل لفعل الهدى
مبالغة او حذف منه مضاف اى ذوى هدى ثم انه اريد هدايتها بجميع ما فيها من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين
نزولها الى زمان نسخها وان اريد هدايتها على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه والا فان هدايتها بما عدا الشرائع
المنسوخة من الامور التى يصدق فيها القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبى عليه السلام ثم الناس خاطبة وانزل للفرقان
الفرقان فى الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر على
طريق التعميم بالتعميم اثر تخصيص بعض شاهير ها بالذكر كما فى قوله عز وجل فاتبثا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة وابا ثم نفس
الكتب حمذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير بر وصفى منزلة
التغاير الذاتى كما فى قوله اسقى فلما جاء امرنا بخينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وبخيناهم من عذاب غليظ واما النزول
فانه مشترك بين المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشد الزاجرة عن الشر والغى وتقديم الاول
عليه مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوبيخ فى الاحكام والشرائع وشيوع اقترانها فى الذكر واما القرآن فنفس
ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم يخص بعضها ثم رفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجى الى الارض وثانيا انزاله
الدفعى الى السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العارى عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المحققة فانزال الكتب
المذكورة الفارقة بين الحق والباطل ان الذين كفروا بآيات الله وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب تنزيله او منها ومن
المعجزات الآتية مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لخشية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا
بان ذلك الاستحقاق لاشتراطه بالكفر بالكل بل يكفى فيه الكفر ببعض منها وخمرادا بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام
المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اى ان الذين كفروا باذكر من ايات الله الناطقة بالحق لا سيما
بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه تجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقرآن
اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا بايا
الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآيا تها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبى عليه السلام وغيرها لهم بسبب كفرهم بها عذاب
مرتفع اما على الفاعلية من يحار وجر ور اوعلى الابتدا او جملة خبران والتنوين للتفخيم اى اى عذاب عذاب شديد لا يقا
قدره وهو وعيد جئ به اثر تقرير امر التوحيد الذاتى والوصفى والاشارة الى ما نطق بذلك من الكتب الالهية حملا على
القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشا ويحكم ما يريد ذو انتقام عظيم خارج
عن اوامر جنسه وهو افتعال من النقمة وهى السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلى
مقرر للوعيد ومؤكد له ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء استيناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته
بجميع ما فى العالم من الاشيا التى من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية
لما قبله من الوعيد وتشديدها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وغيرها عن
علم عز وجل جاذكر بعدم خفائه عليه كما فى قوله سبحانه وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء وايذانا بان علمه تعالى بما
وان كانت فى اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما فى
علوم المخلوقين بل هو فى غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الكلمة لتقوية الحكم وكلمة فى متعلقة بمحذوف
وقع صفة لشئ مؤكدة لعموم مستفاد من وقوعه فى حيز النفى اى لا يخفى عليه شئ ما كائن فى الارض ولا فى السماء اعم من ان

يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما وبحركته منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على
السماء للاظهار الاعتنا بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفى بينهما للدلالة على الترقى من ادنى الى الاعلى باعتبار القرب
والبعد منا والمستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشا جملة مستانفة ناطقة ببعض
احكام قيومية تعالى وجريان احوال المخلوق فى اطوار الوجود حسب مشيته الجارية على حكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه
بالاشيا قبل وجوداتها الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشية قبل تحققها عبر تب
وكلمة فى متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اى يصوركم وانتم فى الارحام مضغ وكيف معمول يشا و
جملة فى محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم كما شا على مشية تعالى اى مريدا او من مفعوله اى يصوركم كائنين على مشية تعالى شا بعين
طائفة قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة وغير الالتصاق بالصفات المختلفة من الذكورة
والانوثة وحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة انبا انوا
المتقلبين فى هذه الاطوار على مشية البارئ عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما يخفى وقرى تصوركم على صيغة التحاشى من
التفعل اى صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يتصف بشئ مما ذكر من الشئون العظيمة الخاصة بالالوهية احد سبحانه
الوهية العزيز الحكيم المتناهى فى القدرة وحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من خلط البديع هو الذى انزل عليك الكتاب شروع
فى ابطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن فى نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستيناف انزل بيانا اختصاص الربوبية ومناطها
به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيته قيل ان وفد نجران قالوا للرسول الله
صلعم الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا فحسبنا ذلك شقى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب
المؤسس على المحاورضية وفروع مبنية عليها ناطقة بابطال قاضية بابطلان ما هم عليه من الضلال وخمرا د بالانزال القدر
المشترك المجرد عن دلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتنا
بشان تلاوته عليه السلام بتشريف الانزال عليه من التشويق الى ما انزل اى ان النفس عند تاخير حاقه التقديم لا سيما بعد
الاشعار برفعة شانه او منفعته يبقى مترقبة له فتتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تفسيره الاتى به
منه آيات الظرف خبر وآيات مبتدا او بالعكس تاويل مر تحقيقه فى قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقوله
الضاعة والكتاب اوفق بجزالة جمعه اذ المقصود الاصلى انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونها من الكتاب فتذكر
وجملة مستانفة او فى حيز النصب على الحالية من الكتاب اى هو الذى انزل الكتاب كائنا على هذه الحال اى منقسما الى محكم
ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية محكمات صفة آيات اى قطعية دلالة على المراد محكمة
العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اى اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فاعلم او بالكتاب بكلا والاشتمال
بمعنى فى مكان واحد الغيبة اللام فان ذلك يؤدى الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات وجملة اما صفة لها ضفة اخرى
او مستانفة واما اخر الام مع تعدد الآيات لما ان مرادا بيان اصلية كل واحد منها او بيانا ان الكل بمنزلة آية واحدة
كما فى قوله تعالى وجعلنا ابنها آية للعالمين وقيل الكتاب بالمعنى المذكور جمع كما فى قول الراعى بها جيف الحسرى فاما عظامها
فبيض واما جلدها فصليب اى واما جلودها واخر نعت لمحذوف معطوف على آيات اى وآيات اخر وهى جمع اخرى
وانما لم ينصرف لانه وصف معدول من الآخر او من آخر من شتابهات صفة اخر وفى تحقيقه تحمله للمحذوف اى محتملا
لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض فى استحقاق الارادة بها والا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتامل الانيق فالتشابه
فى تحقيقه وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شان الامور المتشابهة ان يجر

Istituto Italiano di Numismatica
1923